ترتيبات عشوائية

رواية

دنيا كمال

t.me/qurssan

لمزيد من المعلومات عن الكرمة :facebook.com/alkarmabooks

حقوق النشر © دنيا كمال ٢٠١٩
الحقوق الفكرية للمؤلفة محفوظة

جميع الحقوق محفوظة. لا يجوز استخدام أو إعادة طباعة أي جزء من هذا الكتاب
بأي طريقة من دون الحصول على الموافقة الخطية من الناشر.

كمال، دنيا.
ترتيبات عشوائية: رواية / دنيا كمال - القاهرة: الكرمة للنشر، ٢٠١٩.
٢٦٤ ص؛ ٢٠ سم.
تدمك: 9789776743045
١- القصص العربية.
أ- العنوان.
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ١٦٣٠٢ / ٢٠١٩

٢٤٦٨١٠٩٧٥٣١

تصميم الغلاف: كريم جودة

t.me/qurssan

أبي العزيز،

اليوم تمر سنة كاملة ونحن لسنا معًا. اليوم هو الأربعاء، الخامس عشر من ديسمبر عام ٢٠٠٤، أعرف أنه الأربعاء بفضل أيام الأسبوع المسجلة على شريط الدواء. ربما كان صاحب تصميم علبة الدواء يعلم أن من يتعاطى هذا النوع من الأدوية لا يستطيع التفريق بين الأيام، لأنها ببساطة تبدو جميعًا مثل بعضها.

أكتب لك اليوم لأخبرك أنني أُصبت بنوبة عنيفة من الحساسية التي يقولون إنها تحدث بسبب التوتر أو الإجهاد العصبي الشديد، احمرَّ جلدي كله وأُصبت بحكة شديدة، واضطررت إلى أن أذهب إلى المستشفى ليعطوني حقنة مضادة للحساسية، أنهت الأزمة في دقائق معدودة.

بدأت في تناول الكثير من الأدوية مؤخرًا، بعد حوالي شهرين من رحيلك وجدت نفسي أقف في مطبخ شقة ماما، وأنا أمسك بمقص كبير وأحاول بشرود أن أجرح معصمي، لا أتذكر أي شيء

t.me/qurssan

عن اللحظات التي سبقت هذه اللحظة، ولا أتذكر كيف نهضت من السرير واتجهت إلى المطبخ وبحثت عن المقص وبدأت بالفعل في استخدامه، أفقت في لحظة ما على صوتك وأنت تهتف بي: «إيه الهبل اللي بتعمليه ده؟!»، ثم سقط المقص من يدي، وتلفتُّ في لهفة كي أخبرك أني «ما كنتش أقصد»، ولكي أحتضنك سريعًا قبل أن تذهب من جديد، لكني لم أجدك.

قال لي طبيبي النفسي إن هذا لم يكن صوتك، وإنه ما زال يوجد جزء واعٍ في عقلي يحذرني عندما يشعر أنني على وشك ارتكاب حماقة ما، كنت أنظر إليه باستهزاء وأقول: «طبعًا»، بالضبط مثل الطبيب الذي أصر على أن ضمة يدك ليدي عندما كنت في غيبوبتك كانت انقباضة عضلات، لا علاقة لها بأي شيء آخر. أنت تعرف أنني لا أصدق الأطباء، ولا أصدق الأشخاص الذين يصرون على أن يخبروني بأشياء أجدها خالية من المنطق، ولا أصدق هذا الطبيب الذي أخبرني منذ سنة أنك لن تستطيع أن تنهض من غيبوبتك الأخيرة، ولم أصدق عمتي وهي تعطيني الكفن الخاص بك كي أسلمه للمستشفى، ولم أصدق الموظف الملول في شباك قسم الوفيات بالأهرام وهو يتأكد من تهجئة اسم عائلتنا، ومن مقاس حروف كلمات النعي، ولم أصدق الحانوتي وهو يُهيل التراب على مرقدك، ولم أصدق كل من كان يقف بالخارج ويدعو بأدعية لم أصدق منها حرفًا.

منذ ذهبتَ وأنا لا أتذكر أي شيء، الأيام تمضي في غرابة شديدة، ويبدو أنني أفعل أشياء وأقول كلامًا وأذهب إلى أماكن، من دون أن

t.me/qurssan

أتذكر أي شيء بعد الرحيل منها، ثم أُبحلق في سقف غرفتي منتظرة أن أغرق في نوم يشبه الإغماء. مرت سنة كاملة من دون أن أراك، ولا أدري كم سيستمر هذا، ولا أدري إن كنت سأستطيع أن أظل سنة أخرى من دون أن أجدك هنا بجانبي في كل ما يحدث.

لا أعرف لماذا قررت الكتابة لك اليوم، ربما لأنني أشعر أنني على حافة الجنون، وربما لأنني لم أوافق على ما حدث، ولم أوافق على ذهابك المفاجئ، وأشعر في قلبي أنك أيضًا لم توافق على هذا، وألعن اليوم الأسود الذي فرَّقنا عن بعضنا البعض، وإن كنت أثق في لقاء قريب.

لم يبقَ شيء مثلما كان منذ سنة بالتمام والكمال.

مدينة نصر ـ القاهرة

ديسمبر ٢٠٠٤

t.me/qurssan

عزيزتي جميلة،

أتممتِ عامك الثالث منذ شهر واحد، ما زلت أتذكر يوم مولدك، عندما أخرجتك الممرضة من غرفة العمليات، وعندما كان الجميع مشغولين بالصلاة والدعاء، كنت أقف عند باب الغرفة، في لحظة لم أعرف أنها ستتسبب في تغيير كل شيء في الحياة. عندما جئتِ إلى الحياة، كنت أنا في عامي الأول بالجامعة، أتحسس الطريق بحذر شديد إلى سنوات النضج الأولى، وعندما حملتك وأنتِ صغيرة جدًّا تفتحين عينيكِ بترقب وحيرة، عرفتُ أن هذه اللحظة ستظل معي إلى الأبد. هناك لحظات لا نستطيع أبدًا أن نمسحها أو ننساها مهما حدث من أشياء تبدو لنا ضخمة ومهمة، وهذه اللحظة كانت اللحظة الأهم حتى اليوم.

ثم أصبحت أحاول طوال الوقت أن أقضي معكِ أكبر عدد من الساعات، حتى إن كنت في السنوات التي سبقت مجيئك أتعمد قضاء الجزء الأكبر من يومي خارج البيت، وأصبحت أجلس أمامك من

t.me/qurssan

دون أن أفعل أي شيء، فقط أراقب تعبيرات وجهك التي تتغير كل يوم بسرعة وتطور غريبين لم أفهمهما منذ وُلدتِ. يتهمني الجميع بأنني أخاف عليك بدرجة مَرضية، فعندما بدأت تتعثرين في خطواتك الأولى، كنت أمشي في ظلك خوفًا من أن تخذلك قدماك وتقعي على وجهك، أو تؤذي نفسك بأي شكل. كانت أمك تشتكي طوال الوقت من تتبعي لخطواتك، وتطلب مني أن أتركك لتستمتعي بتجربتك في خطواتك الأولى، وكنت أتهمها بالاستهتار وأصف قلبها بـ«القلب الميت»، واعتذرت هي لي في اليوم الذي كسرت فيه أصابع قدمك اليمنى، بعد أن أتممتِ سنة واحدة وبضعة أشهر، عندما سقط قالب حديد وزنه خمسة كيلوات على قدمك الصغيرة، أثناء محاولاتك الفضولية لاستكشاف غرفة الصالون. ما زلت أتذكر خطواتك المضحكة المرتبكة وقالب الجبس يمنعك من التقافز بحرية كافية.

لم أتصور قَطُّ أن تُجبرني طفلة في عامها الثالث على التغلب على مخاوفي من الأطفال، الذين أراهم طوال الوقت وكأنهم شياطين صغيرة، يقومون باستغلال كل من حولهم لتلبية طلباتهم الأنانية، التي لا يستطيع أي شخص ـ خصوصًا المقربين ـ رفضها، حتى وإن تظاهروا بالصرامة والرغبة في التربية، ولم أتصور أنني سأجلس لساعات أمامك، أُدربك على نطق اسمي الذي لا يتطلب مجهودًا كبيرًا لنطقه، ولم أتصور أن هذا الكم من الفرحة سيدخل إلى قلبي في هذه اللحظة التي ستنظرين لي فيها بذكاء شديد، وتهتفين باسمي بدلع وثقة أذابت قلبي في ثوانٍ. الكل ينبهر عندما تبدئين الكلام، حتى وإن كانت بعض الكلمات متلعثمة وبعض الأحرف تفتقد للنطق السليم،

t.me/qurssan

إلا إن استرسالك في الحديث عن أشياء عادية ببساطة شديدة يبهر الجميع، يرددون كل يوم أن هذه الطفلة تتمتع بذكاء غير عادي.

اليوم أخذناكِ إلى الحضانة للمرة الأولى، لم أنَم دقيقة واحدة ليلة أمس، ولم أتخيل أننا من المفترض أن نتركك للمرة الأولى كل هذه الساعات وحدك، وسط مجموعة من الأشخاص الذين لا نعرف عنهم أي شيء، ربما يكونون قتلة محترفين أو أشرارًا أو حتى أشخاصًا عاديين، لن يبذلوا المجهود الكافي كي يمنحوكِ الوقت والاهتمام اللذين اعتدتِ عليهما منا. في الصباح الباكر جلست في المقعد الخلفي للسيارة أنظر إليكِ وأحرِّك كاميرا الفيديو على وجهك، وأنت تنظرين من النافذة بحماس وبلا ذرة خوف. انهالت عليكِ الأسئلة الساذجة المملة مثل: «إنتِ لابسة إيه يا جميلة؟»، وتردين أنت باستغراب: «دي مجلَّد سوتلة سوداء» (دي مجرد سترة سوداء)، بلغتك العربية الفصحى التي تعلمتِها بسرعة من أفلام الكارتون المدبلجة، يضحك كل مَن في السيارة من فصاحتك في وصف ملابس الحضانة، التي لن تستطيع طفلة أخرى وصفها بالمفردات نفسها.

تماسكتُ بصعوبة وأنت تحتضنيني بألفة قبل أن تأخذي حقيبتك الصغيرة وتنطلقي بحماس عجيب إلى الحضانة، وتذكرت يومي الأول في حضانتي منذ حوالي عشرين سنة، أمسك بجونلة أمي وأرمق الجميع بنظرات كارهة، اختنقت بالبكاء وأنا أدخل بصحبتها إلى المدرسة ورفضت أن أترك يدها، هذه اللحظة المخيفة التي انتهت عندما جاءت كارمن فقط لتمسك بيدي وتسألني بفضول: «إنتِ بتعيطي ليه؟ ما تخافيش هنلعب مع بعض». يومًا ما ستكبرين

t.me/qurssan

وستقابلين كارمن، لتعرفي أن الطمأنينة ربما تأتي على يد أشخاص تهديهم لك الحياة في لحظات نادرة، وفي بعض الأحيان يكون القدر كريمًا فيظلون معك في أكثر اللحظات قسوة.

أفكر طوال الوقت أن الحياة لم تعد كما كانت منذ جئت إليها، فعلى الرغم من السعادة غير المحدودة التي تمنحينها لي وأنت تفعلين أشياء غاية في الذكاء والحساسية، فإنني أصبحت أشعر بالقلق طوال الوقت، أشعر بالقلق إن جرحتِ قدمك وأنت تمارسين شقاوتك المعتادة، أشعر بالقلق من الشوارع والميادين والسيارات والأعمدة العشوائية التي قد تصطدمين بها وأنت تنطلقين في ألعابك، وأشعر بالقلق من شراسة الأشخاص وغبائهم وقلة حساسيتهم تجاه لطفك الزائد، وأشعر بالرعب عندما أتخيل أي أذى يمكن أن يلحق بكِ على يد أي شخص قريب أو بعيد. لم تعد الحياة آمنة مثلما كانت، وأصبح من الصعب أن نضرب بها عرض الحائط لأنك هنا وسطنا، بلا حيلة وبكثير من البراءة التي تجعلني شخصيًا أتحول إلى وحش كاسر، قادر على القتل في أي لحظة قد أشعر فيها أن هناك خطرًا ما يحيط بك.

أخبرتني أمك ـ التي تخاف من خيالها ـ في لحظة تأملية وهي تنظر إليك وأنت نائمة: «عارفة؟ دي أول مرة أحس إني ممكن أتحول لدرع بشري لو البت دي جرالها حاجة، يعني أنا دلوقت بس بقى فيه شخص ممكن آخد رصاصة بداله من غير ما أفكر». أريد أن أخبرك فقط في هذا اليوم أننا سنتحول جميعًا إلى بلدوزرات حية، تجرف أي أخطار أو تجارب سيئة قد تمسُّك من أي جهة، وأريد أن أخبرك أنني لم أعرف أن قلبي به هذا الكم من الحب غير المشروط

t.me/qurssan

إلا عندما رأيتكِ، وأنني أكره الحضانة وكل ما يجعلك تبتعدين عن نظري لساعات حتى إن كانت قليلة.

في انتظار عودتك سالمة من أول يوم دراسي، كي تخبريني بكل ما حدث في هذا اليوم العجيب.

محبتي.

مدينة نصر ـ القاهرة

سبتمبر ٢٠٠٥

t.me/qurssan

أبي العزيز،

اليوم تمر سنتان منذ رأيتك للمرة الأخيرة في تلك المستشفى التي أكرهها من كل قلبي، ما زال كل شيء كما تركته و«على حطة إيدك» مثلما يقولون، فقط مزيد من الأحداث القاتمة تدور في أفلاكنا، ونكارك قدر ما نستطيع حتى نكمل الحياة في عالم أسوأ بكثير من دونك. كانت سنة صاخبة، حدث فيها الكثير من الأحداث الرذلة، انتخابات هزلية، وتفجيرات، وأحداث شغب، يغلوش عليها الجميع قدر استطاعتهم، وأغلوش أنا شخصيًّا عليها بطريقتي المعتادة في استقبال كل الأخبار ببرود كامل، لأنك لست هنا لأشاركك أيًّا منها.

ما زلت أحاول المحافظة على جلسات الأصدقاء القريبين من قلبي وقلبك، وإن كانت معظم الأشياء فقدت مذاقها منذ رحيلك، وما زلت أيضًا أتناول ذلك الدواء الذي أتصور أنه الفاصل الوحيد بيني وبين إقدامي على تقصير المسافات بيننا، وبيني وبينك لا أحبه كثيرًا، وأشعر أنه يحولني تدريجيًّا إلى شخص فاقد الإحساس بكل شيء، ربما يساعدني على

t.me/qurssan

التخلص من الألم، ولكنه يأخذ الكثير من الأشياء في طريقه. المهم أنني ما زلت أتنفس، إن كان هذا مهمًّا من الأساس، ولكنني لست الشخص نفسه الذي تركتَه في غرفة المستشفى المخيفة منذ سنتين كاملتين.

تخرجت من الجامعة، إن كان هذا خبرًا مهمًّا، وبدأت التحضير لرسالة ماجستير لا أظن أني سأحصل عليها في النهاية، المهم أنني مشيت في الطريق الذي رأى الجميع أنه الأمثل لي، لكنني لا أشعر بأي شيء، لا أعرف إن كان هذا بسبب الدواء أم بسبب أن لا شيء يهم حقًّا منذ ذهبتَ. أعمل كثيرًا، وأحاول أن أظل مشغولة جدًّا طوال اليوم، حتى وإن كنت أفعل كل شيء بأوتوماتيكية وبلا أي مشاعر. وعلى الرغم من كل هذا لا أستطيع أن أهرب من اللحظات التي تسبق النوم، حين تهاجمني فيها لحظاتنا الأخيرة معًا، أعرف أنك كنت معي، وإن أخبرني الجميع أنك كنت في مكان بعيد حيث لا تراني. لا أعرف ما الطريقة المناسبة كي أمحو هذه اللحظات من ذاكرتي، وأحاول طوال الوقت أن أستحضر لحظاتنا القديمة معًا، ولكن تظل صورتك الشاحبة في ثلاجة المستشفى هي التي تتصدر كل شيء.

ما زلت أرتدي السواد، يخبرني الجميع أن هذا سلوك ساذج ولا يليق بشابة صغيرة في مقتبل العمر، وأنا لا أرد عليهم أبدًا، لا أعرف كيف أخبرهم أنني لا أحتمل رؤية أي شيء ملوَّن، وأن كل شيء أصبح مصبوغًا باللون الأسود منذ ذهبتَ، ولا أعرف كيف أشرح لهم كل هذا بطريقة متحضرة من دون لطم على الوجه أو صراخ أو انهيار عصبي، ولذا أُفضل دومًا أن أصمت.

لا أستطيع أن أفكر في أي شيء، سوى أنني أريد أن أبتعد عن

t.me/qurssan

الجميع، وأريد أن أبتعد عن الشوارع التي تُذكرني برحلتي إلى المستشفى عندما أخبروني أن قلبك توقف عن العمل، والتي تُذكرني برحلاتي من وإلى غرفة العناية المركزة، والتي تُذكرني أيضًا بالطريق الذي قطعناه ونحن نذهب إلى المقابر. كل شيء يُذكرني بهذا اليوم، الوجوه التي رأيتها، والبنايات التي اصطفت على جانبَي الطريق، والسيارات وأرقام لوحاتها، والأدعية والأطباء والأقارب والعائلة والأصدقاء. لم أعد أحتمل أي شخص أو أي شيء، وأشعر أنني أقترب ـ بدأب شديد ـ من فقدان عقلي. أنهض من نومي بصعوبة بالغة لأرتدي ملابسي وأذهب إلى العمل ثم الجامعة ثم العمل من جديد، أمضي كل الأيام برتابة، منتظِرة اللحظة المناسبة التي سأستطيع فيها الهروب من كل هذا الصخب وكل هذا الجنون.

أشتاق إلى كل أحاديثنا معًا، كل تقطيمك اللطيف لي عندما أفعل شيئًا غير لائق، وكل كلمات التشجيع والحب الذي أخذتُ منه ما أخذت من دون أن يقل يومًا ذرة واحدة، أفتقدك وأفتقد رائحتك وتعليقاتك الذكية على كل شيء، وأفتقد سخريتك وجلساتنا مع أصدقائك وأحبابك، وأفتقد رهاناتنا على أغاني أم كلثوم، وتدريباتك لي وأنت تضع الأشرطة وجهاز الكاسيت على الطاولة أمام كنبتنا الزرقاء، تشغل الدقيقة الأولى من كل أغنية وتسألني عن اسمها قبل أن تبدأ حتى المقدمة الموسيقية المألوفة، ونقاشاتنا الحامية عن أي أغنية أجمل: «عودت عيني» أم «هذه ليلتي»؟ وأُصر أنا أن أجمل ما قالت الست هو «يا ريت يدوم للقلب صفاك»، وتُصر أنت أن «كل ليل إذا التقينا صباح» هو الأقرب إلى قلبك.

t.me/qurssan

أشتاق إلى كل ملاحظاتك المشجعة على كل توافه الأمور التي طالما شغلتني وأنا مراهقة عبيطة، لا أهمية لما أفعل، وصبغك لكل أفعالي بقيمة استطعت أن تخترعها بلا افتعال ومن دون أن أشعر يومًا أنك لا تعنيها. أفتقد إحساسي الدائم أنني أهم شخص في العالم فقط لأنني ابنتك، وأفتقد نظراتك الفخورة بي، وحكاياتك الدائمة لأصدقائك عن أشياء لم أدرك يومًا أنها مهمة، إلا عندما تكلمت أنت عنها، أفتقدك وأفتقد الأيام التي أصررت أن أغيب فيها عن المدرسة حتى تأخذني إلى المسارح القديمة، لأستمع وأنا طفلة إلى أشخاص يتلون أشعارًا تعلمت أن أحبها على يديك، وأفتقد لحظات الدهشة الأولى وأنا أستمع لتلك الفتاة الصغيرة وهي تقول على المسرح: «خليك هنا ويايا وإحنا بقينا في آخر الدنيايا».

لم أعد أنتظر سوى أن نجتمع يومًا ما، ولم أعد أرى في تلك الأيام والليالي التي تمضي من فوقي أي شيء سوى أنها فواصل أعبرها لأقترب من يوم لقائنا المنتظر، لأقترب من هذا الحلم الذي أتمنى أن أراك فيه منذ رحلت، ولم أعد أنتظر أي شيء سوانا معًا، نستمع إلى أم كلثوم ونتراهن وتخسر الرهان، من أجل أن تراني أتقافز منتصرة وأنت تخدعني خداعك اللطيف، وتتظاهر أنك لا تتذكر أن بليغ حمدي هو من لحَّن «فات المعاد» للست.

لك مني كل القبلات حيثما كنت، وإلى أن تقربنا الأيام أكثر فأكثر.

مدينة نصر ـ القاهرة

ديسمبر ٢٠٠٥

t.me/qurssan

عزيزتي جميلة،

أكتب إليك اليوم ونحن لسنا على بُعد خطوات للمرة الأولى. في الأعوام السابقة لم أُقدر كمَّ التميز الذي تمتعتُ به حيث كنت أستطيع رؤيتك في أي لحظة، بسبب وجودنا في المدينة نفسها، تفصلنا عن بعضنا كيلومترات قليلة. أما اليوم، فأنا أجلس وحدي في غرفة باردة صغيرة في مدينة ربما تكون لطيفة، لكنها ليست بالقرب الكافي منك. أفتقدك بشدة وأفتقد صوتك الرفيع وهو يخبرني بحماس عن كل ما حدث خلال اليوم، مثل دينا عبد الله في فيلم «الحفيد» المشهورة باسم «رويتر». أتأمل بشغف صورك وأشعر أنني سأعود يومًا ما لأجد كل شيء قد تغير، وأفزع عندما أتصور أنكِ ربما نسيتني ولن تتذكري كل ما فعلناه معًا في أعوامك الأولى. لا أعرف الآن كيف تستطيعين النوم من دون وصلة الرغي القديمة التي كنا نقوم بها كل ليلة تقريبًا، ولا أعرف أيضًا كيف يفسر لك كل من حولك عدم وجودي، وأعشم نفسي أنهم يقولون لك إن

t.me/qurssan

هناك من تحبك بجنون، ولكنها كانت لا بد أن تسافر حتى تحتفظ بالبقية الباقية من عقلها.

أصبحتِ في الرابعة، وهذا يعني المزيد من الرغي، والمزيد من الشقاوة، والكثير جدًّا من الذكاء الذي طالما أبهرني منذ عامك الأول. لديَّ الكثير لأحكيه لك وإن كنت لا أعرف متى ستستطيعين قراءة هذه الخطابات، وإن كانت ستثير مللك أم ستجدينها دليلًا على أنك لم تغيبي عن عقلي يومًا واحدًا. أنت تعرفين أني لا أتعامل مع الكثير من الأطفال، لا أتخيل نفسي أبدًا وأنا أتعلق بطفل صغير مهما كان لطيفًا وجميلًا، كنت دائمًا أسخر من حكايات أبي عندما كان يخبرنا أنه كان يستمتع بتغيير حفاضات أمك وهي طفلة، بل ويرى أن من يُمنح هذه الفرصة فهو حتمًا شخص محظوظ جدًّا، وكنت أسخر دومًا من عصبيته عندما يغير أي شخص مكان أوراقه وكتبه، وكنت أصدقه بالعافية عندما يحكي لنا عن رد فعله عندما تقطع أمك أوراقه وهي طفلة لم تتعدَّ العامين، فيقول لها مرحًا: «قطعي وأنا أكتب تاني». لم أتصور أني سأنظر إليك يومًا وأنا أعرف يقينًا أن أيًّا كان ما تفعلينه سيظل على قلبي زي العسل، حتى وإن كان يدفعني إلى تقطيع شراييني عندما يفعله أي شخص آخر غيرك.

أكتب إليك لأخبرك أنني أتعلم منك خفة الدم، وأتعلم رقة القلب والطيبة الشديدة التي لا حدود لها، وأتعلم أن هناك بعض الأفعال من الممكن أن تُسهل الحياة كلها فقط إن أتت من الشخص الصحيح. أفكر فيك طوال الوقت، وأفكر في خروجي من الدائرة الآمنة التي لم أتخيل يومًا أنني سأهرب منها. أخبرتك كثيرًا أنني أحب السفر،

t.me/qurssan

وتحدثنا عن مشاريع للسفر معًا ـ أنا وأنت ـ وحدنا في يوم ما، لا أعرف متى أو كيف سنستطيع تحقيق هذا الحلم، ولكنني أعدك أنني سأفعل كل ما يمكن كي نلف العالم معًا، سأعمل كثيرًا وسأكسب كثيرًا، وسنذهب لنرى كل الأشياء معًا. أريد أن أصطحبك معي لتشاهدي القلعة القديمة في حلب، ولنمر على الأبواب العتيقة، ولنأكل الحلوى الشامية التي أعرف أنك ستحبينها، حتى وأنت تفضلين مذاق الليمون اللاذع على السكر، أنا لم أرَ الكثير في هذا العالم بعد، ولم أذهب لكل البلاد التي أحلم بها، لكنني أثق أننا سنفعل هذا يومًا، وعندما يحدث سيكون رائعًا ولن ننساه أبدًا.

أعلم أنك لا تريننى واعظة تعطي الكثير من التعليمات، وهذا على الرغم من طلبي منك طوال الوقت أن تنتبهي لنفسك، وأن تتصرفي بلا شقاوة، وأن تتأني في كل تصرفاتك سواء المدرسية أو الاجتماعية، فتردين دائمًا بحضن مطمئن، وعلى الرغم من كل هذه التحذيرات والمخاوف، فإنني أعرف أننا سنظل أصدقاء، سنظل نحفظ أسرارنا غير المهمة، حتى مجرد وقوفي أمام غرفتك ليلًا مثل الناضورجي، حتى لا تقفشك أمك وأنتِ تُقلبين في كتبك الصغيرة التي أدمنتها فور أن تعلمتِ القراءة.

أحتفظ لك بكل شيء حتى تكبرين، وأحتفظ بصورك وأنتِ صغيرة جدًّا، وأحتفظ بألبومات كاملة سوف تضحكين كثيرًا عندما تشاهدينها: صورك وأنت نائمة، أو تلعبين، أو تداعبين حيوانات في حديقة لا أتذكر مكانها، وصورك في زِي الحضانة المضحك، وصورك وأنت ترتدين الفساتين التي أحضرها لك بمناسبة وبغير

t.me/qurssan

مناسبة، وأحتفظ بأوراق وخطابات وصور لأشخاص، وأدعو الله كل يوم أن تستطيع ذاكرتي أن تحتفظ بكل هذا حتى أحكيه لك في يوم من الأيام، عندما يكون عقلك الصغير قادرًا على حفظ كل هذه التفاصيل. أخاف أن أنسى أي شيء، وأعدك أنني سأعمل جاهدة على تقوية ذاكرتي. هناك سنوات وسنوات مضت قبل مجيئك، وهناك عشرات الأشخاص والقصص والحواديت التي لا بد أن تعرفيها، فقط في الوقت المناسب.

يؤرقني السفر كثيرًا، ولكني أعدك أيضًا أنني لن أطيل الغياب، وأنني سأعود لأراك في أقرب فرصة، لا أريد أن يفوتني أي شيء، أصبح الوقت مهمًا، وأصبحت للدقيقة قيمة لأن هناك أشياء تتغير طوال الوقت، ولا بد أن أكون بجانبك وهي تحدث. ربما يكون السبب الوحيد الذي يجعلني أتحمل الفقد الذي لم أتصور يومًا أن أواجهه هو وجودك معنا في هذه الحياة.

كوني ذكية وطيبة كما أنت، حتى أعود ونتحدث في كل الأشياء المؤجلة.

محبتي غير المحدودة.

حلب ـ سوريا
أكتوبر ٢٠٠٦

t.me/qurssan

عزيزي بابا،

أكتب لك هذه الشتوية من مدينة جديدة، استطعت بحيلة ما أن أترك القاهرة. لا أعرف حتى الآن كيف تحايلت على كل شيء حتى تتركني القاهرة أغادرها بسلام، ولا أعرف كيف أقنعت الجميع أنني لا بد أن أذهب، وربما تكون نظرة الجنون في عيني قد أفزعت البعض، وأقنعتهم أن من الأفضل أن أبتعد بعض الشيء عن جنون القاهرة الذي لم يعد وجودكَ يخفف من حدته، ولا أنكر أنني كنت متحمسة وأنا أقف في طوابير المطار وأقوم بكل الإجراءات وحدي للمرة الأولى. وعلى الرغم من قصر الرحلة، فإنني لصقت وجهي في شباك الطائرة ولم أبعده إلا عندما هبطت في مطار دمشق، ثم انطلقت منه في رحلة بالسيارة عبر طرق صحراوية، أجمل مائة مرة من طرق مصر الصحراوية، إلى حلب.

أكتب لك من غرفتي الصغيرة جدًّا بحلب، تلك الغرفة التي علقت على حوائطها كالعادة مجموعة الصور التي لا تفارقني

t.me/qurssan

منذ كنت مراهقة، مع بعض التغييرات الطفيفة، وعلقت صورتي المفضلة لك، وإن كنت لا أستطيع أن أجد صورة حديثة حلوة لنا معًا، فأكتفي بصورتك المفضلة لي وأنت تبتسم في طمأنينة، وتبدو رائقًا من خلف نظارتك الكلاسيكية التي يعتبرها الجميع جزءًا من وجهك. وضعت أيضًا صورًا لأبو تريكة حبيب قلبي، وصورة لحنظلة، وصورتين لأم كلثوم ورشدي أباظة، وبوسترات بعض أفلامي المفضلة، وبعض الصور للأماكن التي أفتقدها في القاهرة. لم تسمح مساحة الحائط الصغيرة بتعليق كل ما وددت أن أراه كل صباح عندما أفتح عينيَّ.

أريد أن أحكي لك الكثير والكثير عن حلب، وعن العمل وعن الطقس البارد الذي يشبه أوروبا (على الرغم من أني لا أعرف طقس أوروبا إلا من أفلام السينما). أذهب كل يوم في جولات حول حي المحافظة الذي أسكن به، وهو حي يشبه الزمالك وإن كان أجمل وأهدأ وأكثر امتلاء بالأشجار. بعد أسابيع قليلة حفظ الجميع وجهي، وأصبح من العادي أن يناديني صاحب البقالة الصغيرة بجانب مغسلة السيارات كي يعطيني بعض الحلوى أو يسلم عليَّ، أصبح من العادي أن يطلب النادل تحضير طعامي المعتاد فور أن يرى وجهي في «بريمروزا»، مطعمي المفضل هنا، الجميع يعلم الآن كيف اعتدت أن أشرب قهوتي، وكيف أتناول طعامي، ويعلمون المكان المفضل الذي أجلس به وحدي ولا أغيره أبدًا. تحاول حلب بشدة أن تصبح أليفة كالقاهرة، ولكن، على الرغم من كل الوجوه الفقيرة التي أراها وأنا أطوف بأبوابها القديمة، والابتسامات المستسلمة للمارة، والفروق

t.me/qurssan

الهائلة بين حالة الناس المتواضعة في أحياء سكنية وبين حالتهم الميسورة جدًّا في أحياء أخرى، حتى ومع كل هذه الأمور المتشابهة، تظل القاهرة الأكثر حياة وجنونًا وشبابًا.

أريد أن أحكي لك أيضًا أن الناس هنا يثيرون طوال الوقت إلى طوائفهم وعباداتهم، وأن المرء مهما قرأ عن هذه الأشياء فإن رؤيتها في الحقيقة تظل أسوأ وأكثر إثارة للتوتر، وفي ملاحظة تأتي على القدر نفسه من إثارة التوتر، أجد الأحياء المسيحية هنا أكثر الأحياء لطفًا، حتى وإن كان سكانها على قدر من التحفز الدائم الذي لم أفهم سببه. أقابل هنا مخبرًا كل مائة متر، ويحذرني الجميع من التعامل مع أي شخص أو من إلقاء تعليق أو نكتة سياسية أو من ذكر رئيسهم صغير السن ـ الذي ورث البلد ـ بحلو أو وحش، وألقي بمعظم التحذيرات عرض الحائط، وإن كنت أخاف أحيانًا من سوء تقديري، وأخشى أن يلقي بي هذا في مشاكل لن أستطيع مجابهتها.

أفتقدك جدًّا، وأفتقد حواديتك عن كل بقعة في الأرض، حكيت لي عن الشام وبغداد وبيروت وبرلين ولندن وباريس ونيويورك، والآن أحكي لك: كل ما يدور حولي من حكايات أراه ثقيل الدم لأنك غير موجود، ما زلت غاضبة، وما زلت لا أصدق ما حدث، وما زالت الأيام تمضي ببطء وثقل منذ رحلت. أفتقد القاهرة وبيتنا القديم وكنبتنا الزرقاء الآمنة، وأفتقد جلساتنا معًا بلا ضغائن وبكل السلام النفسي الذي ربما لم يستطع أن يحتويه العالم، وأفتقد حبك للحياة حتى وإن كنت تغضب أحيانًا بسبب نشرة الأخبار، وأفتقد دفعك لي لأخذ كل المجازفات والمخاطر بلا خوف لأنك تحميني

t.me/qurssan

من شرور العالم كله. لا أعرف إن كنت أحتاج إلى الحماية الآن أم إن هذا الامتياز قد ذهب أيضًا معك حيثما ذهبت.

لا أعرف كيف احتملت ثلاث سنوات من الغياب، ولا أعرف كيف سأحتمل المزيد. بكيت اليوم للمرة الأولى منذ رحيلك، نظرت إلى صورتك المعلقة على الحائط قبل أن أنام وشعرت بوحدة حادة تهاجمني فجأة، منذ ذهبت وأنا أشعر أنني أصبحت وحدي تمامًا، فقط كانت الدوشة المنبعثة من القاهرة تشوِّش على كل شيء، ولكني فقط بالأمس أدركت جيدًا أنه لم يعد هناك أي شيء باقيًا، وأنني كما كنتَ تقول: «أقف وحدي تمامًا على حذائي».

لك مني كل الحب، من مدينة أهدأ بكثير من القاهرة.

حي المحافظة بحلب ـ سوريا

ديسمبر ٢٠٠٦

t.me/qurssan

حبيبتي جميلة،

أكتب إليكِ من جديد ـ على الرغم من لقائنا شبه اليومي ـ لأوثّق أشياء أخاف أن أنساها، وعندما أعود لأقرأ ما كتبت من خطابات، لا أعرف تحديدًا ما الذي أحاول توثيقه، ربما فقط أريد أن أخبرك عن قدر الحب الذي أحمله لك في قلبي، خوفًا من ألا أستطيع أن أعبر عنه في يوم من الأيام.

اليوم أخبرتِني عن قصة قصيرة كتبتِها في المدرسة، عندما طلبت منكم إحدى المعلمات أن تكتبوا حدوتة عن إحساس الانتماء. قلت لي إن معظم الطالبات والطلبة كتبوا بطبيعة الحال قصصًا عن علاقتهم بأهلهم وخصوصًا بأمهاتهم، وإن هذا ما يعكس عندهم الإحساس بالانتماء بشكل كامل. أما أنتِ فحكيتِ لي عن قصتك: سمكة زينة صغيرة وحيدة في حوض سمك في مكتب عمل شخص ما، هذه السمكة تشعر فقط بالانتماء للمكان الوحيد الذي تعرفه لأنها لم تكن في أي مكان آخر، وحكيتِ لي بلغتك البسيطة السلسة أن كل الأشياء

t.me/qurssan

تخضع لوجهة النظر، فربما لا نستطيع أن نقارن إحساس سمكة الزينة تجاه حوضها بإحساس الابن أو البنت تجاه الأم، ولكن في النهاية الكل لم يجد أي شيء آخر ينتمي إليه سوى ما حوله من معطيات أو ظروف. في الحقيقة لا أعرف من أين أتيت بكل هذه الحكمة وأنتِ الآن في الخامسة من عمرك. كالعادة أنبهر برؤيتك الطازجة الناضجة لكل شيء، وأخاف بشدة عندما تسألينني عن رأيي في أي موضوع، وأخاف ألا يليق رأيي بذكائك الحاد وحساسيتك الشديدة تجاه كل الأشياء. يومًا بعد يوم أرى نظرة الذكاء تزداد في عينيك، وبقدر ما أشعر بالفرحة أشعر أن هذا الذكاء حتمًا سيتسبب في شقاء وألم لا أعرف كيف أحميكِ منهما.

أتلفنا الكثير من شرائط الفيديو المسجل عليها أفلام «ديزني» بسبب مشاهدتنا المتكررة لها، حتى اضطرت أمك لشراء بعضها من جديد. كنت دومًا تحبين أغاني فيلم «طرزان»، ومنعت نفسي بصعوبة عن أن أشرح لك قصة الرجل الأبيض المستعمر التي تختفي خلف قصة الفيلم المبهرة، ولم أبذل أي مجهود لفرض آرائي الخاصة بفيلم «سندريلَّا»، الذي علَّقتِ عليه منذ البداية بأنه فيلم تافه، وبأن الأمير غبي لأنه وقع في حب فتاة لم يتبادل معها كلمة واحدة. أدركت منذ فترة طويلة أن عقلك لا يكف عن التفكير في كل شيء، وأن هناك آراء ناضجة تظهر طوال الوقت خلف ملامح وجهك الطفولية البريئة.

أحكي لك كثيرًا عن جدك، كان حظنا جميعًا سيئًا للغاية لأنك لم تقضي معه وقتًا كافيًا، وإن كنت أعرف أنه كان سيتقافز فرحًا عندما يرى نهمك الكبير للقراءة، وقدرتك على صياغة الجمل الذكية،

t.me/qurssan

وأحكي لك عن قصصه التي لا تنتهي، التي كان يرتجلها لكي يسليني أنا وأمك. كنت أتمنى أن تمهلنا الحياة بعض الوقت، ولكن هذا قدرنا، وليس كل ما نتمناه يحدث.

حياتنا على قدر كبير من التعقيد، ولكن هذه أشياء لا مجال للحديث عنها الآن، من الأفضل أن تظلي في عالمك الصغير المليء بالألوان والكتب وأفلام «ديزني»، فستخرجين منه يومًا ما حتمًا، وستتعاملين مع ما يقبع خارجه مهما حاولنا حمايتك منه.

أفكر كثيرًا في دوري كخالة لك، لم أرَ نفسي قَطُّ في دور الأم التي تقوم بواجبات الأمومة المعقدة، وأظن أن جميع الأمهات بطلات خارقات، يقمن بمهام لا يقدر عليها أي شخص عادي، وأفكر أحيانًا في تصوراتي عن الأمومة وعن تعاملي مع أمي نفسها، وفي كمِّ الامتيازات التي حصلت عليها، التي لم أفكر فيها كثيرًا في سنوات عمري القليلة. كل ما نتعامل معه على أنه مسلَّمات وحقوق حصلنا عليه لمجرد أن هناك رجلًا وامرأة قررا أن ينجبا طفلًا جديدًا إلى العالم، لا أعرف حتى إن كان من حق كلٍّ منا، ولا أعرف إن كنا فعلنا أي شيء نستحق عليه وجود شخص بلا حيلة تحت سيطرتنا، بينما أتأمل من مقعد المتفرج الصعوبات المستمرة التي تتعامل بها أمك معك، وأشكر الظروف التي جعلتني أكتفي بدور الخالة التي تستمتع بمزايا وجود طفلة ذكية وجميلة في حياتها، من دون الاضطرار للدخول في مواويل الالتزامات التي أتركها برحابة صدر لأمك، تتولاها مثل محاربات الأمازون.

أستمتع طوال الوقت بالحديث عنكِ مع الجميع، وأحكي عن

t.me/qurssan

نوادرك وكلماتك وحنانك الذي تغمرينا جميعًا به، وأدخل في بعض المناوشات مع أمك التي أراها تتعامل أحيانًا ببعض الحزم معك في مواقف لا تستحق، بينما تتهمني هي طوال الوقت أنني سوف أُفسدك بسبب التدليل المبالغ فيه.

أشعر منذ ولادتك أنك أصبحت رفيقة وصديقة، وأحاول طوال الوقت أن أخفي عيوبي ومشاكلي وعقدي النفسية عنك، وأحاول أن أنسى فكرة أنك امتداد لي ولأمك، وأنك ستكبرين لتصبحي شبهنا كما نقول في أحاديثنا المازحة، التي أعود وأتوقف عن تكرارها لأن الفكرة نفسها تخيفني. الفكرة جذابة ورائعة والهروب منها لا يوجد أصعب منه، طفلة جميلة تحمل جيناتنا وعاداتنا وبعضًا من تفاصيلنا، تتكلم طوال الوقت، وتحب القراءة وهي لم تكمل سوى أعوام قليلة في هذا العالم. هل ستصلحين كل ما أفسدناه؟ هل سنجعلك فأر التجارب الخاص بنا، ندفعه للمشي في متاهات ألفناها وحفظناها إلى أن تحققي نجاحًا لم نحققه؟ هل ستصبحين أنت قطعة البازل المفقودة التي تكمل الصور التي خذلنا العالم فلم نكملها؟ الفكرة مرعبة وجميلة ولا أعرف كيف يمكنني الهروب منها، ولا أعرف أصلًا إن كنت أريد أن أهرب منها. أكره نفسي عندما أرُد على تعليقات الأقارب والأصدقاء الذين يعلقون طوال الوقت على التشابه بيننا، فأقول إنك النسخة المعدلة مني. أكتب لك هذا الخطاب اليوم لأقول لك إنك لست نسخة ولست معدلة، أنتِ أنتِ، حتى إن حملتِ بعض الصفات التي ربما تُسبب هذا التقارب بيننا، ستظلين متفردة، وصفاتك ملكك وحدك، لا يشاركك فيها أحد، وسنمضي

t.me/qurssan

نحن في إخفاقاتنا المستمرة وسندفع ثمن أخطائنا وحدنا وسنحمل جميعًا تبعات اختياراتنا على أعناقنا، فقط دعيني أدعو اليوم ألا تدفعنا أقدارنا إلى إلقاء هذا الحِمل على عاتقك، وألا نتسبب في تشوهات لا تستحقينها، وأن نظل نمشي خلفك ونحن نحمل كل الأسلحة الممكنة لحمايتك، فقط عندما تحتاجين إلى الحماية، أو تطلبينها منا بصوت عالٍ. ربما نستطيع أن ننجح في أصعب الاختيارات وربما نستطيع فقط أن نستمتع بوجودك بيننا من دون نوبات قلق وذعر بسبب ما سترينه يومًا ما.

محبتي اللامتناهية.

مدينة نصر ـ القاهرة

مايو ٢٠٠٧

t.me/qurssan

عزيزي أبي،

أكتب لك في السنة الرابعة من غيابك، في كل يوم أسأل نفسي كيف تمر السنون من دون أن تبالي. استطعت في الأشهر السابقة أن أسترجع الكثير من ذكرياتنا معًا، بعد أن ظننت أن عقلي استطاع محوها بخدعة ما. لم تصبح صورتك الأخيرة في ثلاجة المستشفى هي الصورة الوحيدة التي تصر ذاكرتي على استحضارها كلما تذكرت أيامنا معًا، واستطعت أن أستحضر كل الحكايات التي حكيتها لي منذ كنت طفلة صغيرة أرفض تناول طعامي، إلا عندما تنطلق مرتجلًا عشرات القصص التي تحكي عن عالم خيالي لا يوجد إلا بيننا نحن الاثنين فقط، واستطعت أن أتذكر أيضًا كل الأشخاص الذين حكيت لي عنهم، وأبتسم بيني وبين نفسي عندما أتذكر قدرتك على أن تجعل جميع الأشخاص مثيرين للاهتمام.

لم يحدث الكثير في هذه السنة، فقط عدت إلى القاهرة بعد فشلي الذريع في التأقلم خارجها. توقفت أيضًا عن كتابة رسالة الماجستير،

t.me/qurssan

لم أعد أشعر بالحماس نفسه، ولا أعتقد أن هناك سؤالًا بعينه يؤرقني حتى أقوم بفرد صفحات لمحاولة البحث والإجابة عنه. كففت عن الشغف بأي شيء، حتى هذه الوظيفة الجديدة التي بدأتها عندما عدت إلى القاهرة، التي تبدو من بعيد مثيرة للاهتمام، لم تعد تثير أي شيء بداخلي، أذهب للعمل بعد أن أقضي حوالي ساعة ونصف في الطريق، لأقضي عدد ساعات جديدًا في غرفة طلاها أحد الأغبياء باللون الأصفر الذي يثير الصداع في رأسي يوميًّا. فقط تثير هذه الوظيفة ـ في قناة تلفزيونية جديدة ـ الكثير من التوتر بداخلي، الجميع هنا بين الحوائط الصفراء متوترون بشكل غير طبيعي، الجميع يجرُون في الطرقات ويحملون أوراقًا ما ويحادثون أشخاصًا على الهواتف، وبعضهم يحاول أن يجرني كي أفعل الأشياء نفسها، وأقاوم بكل قوتي حتى لا أنجر لمزيد من التوتر والضغط العصبي.

كما تجعلني هذه الوظيفة أتابع كل نشرات الأخبار، وكل ما يحدث حولنا، وكما تعرف، فإن متابعة الأخبار في بلد كبلدنا ليست أفضل ما يمكن أن يفعله المرء، ولهذا السبب لا أقضي أيامًا ممتعة، لكني مرهقة ولا يوجد لديَّ نفس لأبحث عن عمل جديد، ليكن ما سيكون.

أشتاق إلى كل أيامنا معًا، لم أرَ البحر منذ ذهبتَ.

أتذكر الآن إجازاتنا الصيفية التي طالما قضيناها على شواطئ مرسى مطروح الهادئة، والصخب الذي طالما أزعجنا به الجميع، وأتذكر عندما كنت تشبك أصابع كفيك ثم أستند عليهما بقدميَّ كي أقفز من فوق سور الشاليه الصغير، على الرغم من عدم وجود أي سبب يدعوني للقفز من فوقه، إلا الشقاوة التي كنا نحب أن نتشاركها

t.me/qurssan

معًا، وأتذكر حمَّام كليوباترا الذي طالما وقعنا فيه على وجوهنا بسبب اندفاعك وخطواتك غير المحسوبة على صخوره الملساء، وأنت مشغول بشرح تاريخ الصخرة والأنفاق التي تمر فيها مياه البحر الفيروزية، وكيف كانت تستخدمها كليوباترا للاستحمام منذ آلاف السنوات، وأنت تحكي لنا ونحن نحاول تقليد كليوباترا فنقع ثانية على وجوهنا، ولا بأس إن لُويت ذراع أحدنا أو قدمه بسبب الحماس الزائد. لم أذهب إلى البحر منذ رحلت، ولا أعتقد أن هناك أي شاطئ يستطيع أن ينافس اللطف الذي تشاركناه على شواطئ مختلفة، لن تستطيع كل مياه البحر والمحيطات الآن أن تعوض لحظة واحدة نتقافز فيها حولك وحبات الرمل عالقة بأجسامنا، من دون أن نفكر في أي شيء سوى أننا معًا، فلا شيء آخر يهم.

أفتح الصناديق القديمة التي أحتفظ فيها بصورنا معًا لأخرج صورًا تجمعني معك على شواطئ مختلفة، أحمل أنا العوامة بجدية رهيبة، وتضع أنت يدك على كتفي وتنظر بترقب إلى الكاميرا في انتظار التقاط الصورة، صورًا تجمعنا وأنت تنثني من الضحك، بينما أظهر وكأني أقوم بحركات عبيطة لأجعلك تبتسم، وصورًا ترتدي فيها بدلات صيفية وبنطلونات من القماش الخفيف وتشمرها حتى لا تبتل بمياه البحر، وأنا أرتدي ثياب السباحة الملونة وأضع على رأسي القبعات القماشية التي تشبه قبعات الصيادين، وصورًا تجمعنا معًا ونحن ننظر إلى الكاميرا متململين منتظرين أن تُلتقط الصورة حتى نعود لممارسة الشقاوة كاملة معك، أو نحاول أن نتفوق عليك في القفز والتنطيط والجري والسباحة حتى البراميل، مع أننا لا نستطيع السباحة. لم نكن

t.me/qurssan

نخاف أي شيء وأنت معنا، أما أنا فلم أكن أخاف الوقوع على السلم أو من فوق السور أو الغرق عند البراميل أو سحب تيارات المياه، ولم أكن أخاف القناديل أو السمك الكبير أو الوحوش التي تنتظر تحت الأسرَّة وداخل الدواليب، ولم أكن أخاف نشرات الأخبار والجثث التي تنتشر على الشاشات، ولم أكن أخاف سوى أن أصحو يومًا فأجدك ذهبت بلا رجعة، مثلما حدث منذ أربع سنوات.

تمر الأيام وغضبي يزداد يومًا بعد يوم، أتمنى أن ينتهي هذا الغضب يومًا ما، وأتمنى أن يستوعب عقلي أنك ذهبت فعلًا وأن كل هذا ليس إلا كابوس طويل سينتهي يومًا ما، وأتمنى أن أستيقظ من جديد لأجدك في مكانك، فنذهب معًا إلى الشواطئ ونقفز من فوق الأسوار ونتعانق في الصور بلا كوابيس أو رحيل.

قبلات لا تنتهي.

مدينة نصر ـ القاهرة

ديسمبر ٢٠٠٧

t.me/qurssan

حبيبتي جميلة،

أكتب لك اليوم خطابًا جديدًا هذه المرة لأحكي عن أمك. أنت تعرفين بالطبع العلاقة القوية التي تربطني بها، هي تكبرني بسنوات قليلة لكنها تبدو أصغر بكثير من سنها، لذلك يتصور الجميع أنها أختي الصغيرة. أنت الآن في عامك السادس، تتغير ملامحك بسرعة كبيرة، أراقبك من مكاني ولا أستطيع منع نفسي من ملاحظة التشابه الكبير بيني وبينك، ربما أكثر من التشابه بينك وبين أمك. ما زلت أحاول أن أتجاوز الأفكار التقليدية التي تجعلني أفكر في هذا التشابه وأتمناه أحيانًا، وأتمنى ـ بيني وبين نفسي ـ أن تظلي على القدر نفسه من القوة والذكاء اللذين يزدادان بشكل ملحوظ كل يوم. أضبط نفسي أحيانًا وأنا أحاول أن أضعك بصعوبة أمام التلفزيون لتستمعي إلى أغاني أم كلثوم، وأحاول اختيار أغانٍ أعتبرها سهلة، ويخبرني عقلي في لحظات خادعة وساذجة أن هناك أغاني من الممكن أن تكون مناسبة لطفلة في السادسة من عمرها، مثل «آه يا عيني ع الوعد والمكتوب»،

t.me/qurssan

ولا تجد أمك هذا الموضوع غريبًا، بل تبدأ في لومك عندما لا تُبدين اهتمامًا كافيًا بالأغنية الطويلة.

أشعر بكثير من الامتنان لأمك التي لم تحاول قَطُّ أن تقيم أي نوع من الحدود بيني وبينك، بل كانت ـ وما زالت ـ تتركنا نقضي أوقاتًا طويلة جدًّا من اليوم معًا بلا أي رقابة، وبقدر من الثقة أشعر أحيانًا أنني لا أستحقه، وأشعر أيضًا ـ وأعترف بهذا للمرة الأولى ـ أنك محظوظة جدًّا أن أمك هي أمك، التي أمزح أحيانًا معها وأخبرها أنها تستحق عن جدارة جائزة الأم غير المثالية، بسبب عدم خضوعها للضغوط الرهيبة التي تُطلب من الأم، مثل أن تتحلى بقدر غير معقول من المثالية، وبصفات غير منطقية، وأن تمارس كل مهام الأمومة بلا شكوى أو تعب، وأن تبدو دومًا في شكل مقبول اجتماعيًّا حتى يتقبلها الجميع، صورة كاريكاتورية تمامًا. أمك ليست الأم المثالية، هي تغضب أحيانًا، وربما تلقي في وجهك بشيء ما إن ازداد غضبها بسبب جدالك الذي لا ينتهي، هي أيضًا تقضي عددًا لا بأس به من الساعات في العمل، وربما لا تقضي معك وقتًا كافيًا كي تلقنك دروسك، وربما تصرخ أحيانًا، وربما لا تحضِّر طعامًا صحيًّا كل يوم، ولا بأس من وجبة سريعة كل أسبوع، وربما تدخل غرفتها وتغلق الباب عندما تزيد الضغوط، وربما تبدو منكوشة ومجنونة في بعض الأحيان. حتمًا هي لا تملك أيًّا من المقومات التي وضعتها سيدات الطبقة المتوسطة للأم المثالية، ولكنها تفعل أشياء أشاهدها من بعيد وأتعجب، لأن الأخت التي أعتبرها الشخص الأقرب إليَّ أثناء حياتنا معًا، استطاعت أن تصل إلى هذه الدرجة من التفهم وهذه الدرجة من

t.me/qurssan

النضج. وبينما أقضي معكِ ساعات طويلة نرغي ونتحدث مصدقة كل كلامك، تحرص هي على الاستماع إلى ما تقولين، وتميز ما في حديثك مثل أي جواهرجي متمكن يميز الخاتم المزيف من بين عشرة خواتم أصلية. أمك تستطيع أن تقفش كل البلف الذي تقولينه، بينما أصدقه أنا من دون تفكير، وتستطيع أن تعرف من نظرة واحدة لوجهك العابث أنك ربما ارتكبتِ حماقة اليوم في المدرسة، وتستطيع أن تعرف ـ من دون كلام كثير ـ كل ما يدور في رأسك من أفكار عابثة، بينما أعافر أنا كي أجعلك تخبرينني بها. هي لم تتوقف عن الكلام معك منذ يومك الأول في هذه الحياة، ولم تتوقف عن إعطائك كل ما تملك من دون النظر للحظة واحدة لما تمليه عليها مقاييس طبقتنا المتوسطة، التي تضع الأم طوال الوقت في اختبارات رهيبة قد تجعلها تفقد عقلها. أمك هي الشخص الأكثر إبهارًا في العالم، ولا أعتقد أن هناك من لديه هذه القدرة على الاحتواء غيرها.

أخاف دومًا من عُقد الذنب التي تنجحون ـ أنتم الأطفال ـ في أن تحيطوا أمهاتكم بها، وأخاف عندما أرى أمك تشعر طوال الوقت بالتقصير على الرغم من قيامها بكل ما تستطيع، وأخاف عندما أراها تضعك على أولويات اختياراتها حتى إن أفسد هذا عليها سنواتها العشرينية التي لا تُعوَّض، وأخاف أن تترك نفسها لتنزلق في دوامة الإحساس بالذنب التي طالما هاجمتها بسبب عدم وجودها مع أبيها في أيامه الأخيرة، وأخاف جلد الذات وقهر النفس والحزن الذي يستمر في حفر أنفاقه في الزمن. أقول لها من قلبي كل يوم إنها الأم الأفضل، والدليل أنتِ، الدليل هو ذكاؤك وتفردك وطيبتك ووقوفك

t.me/qurssan

خارج طوابير الأطفال العاديين. أعرف أن كل شخص يرى أن أولاده هم الأكثر تفردًا والأكثر ذكاءً، وأعرف أن الجميع يرون أطفالهم لا مثيل لهم، وأعتقد أن السبب في هذا أنهم لم يقابلوكِ بعد.

قبلاتي ومحبتي.

مدينة نصر ـ القاهرة

سبتمبر ٢٠٠٨

t.me/qurssan

عزيزي أبي،

قلت لي أن أفعل كل ما أشعر أنني أحبه، وأن أظل في دوائر الأحباب، وألا أفكر مرتين إن وقعت في الحب في يوم ما، وقلت لي إن المستقبل لا وجود له لأنه لم يأتِ بعد، وإن اللحظة التي نعيشها هي كل ما أملك، وقلت لي إن الأشخاص يختلفون عن بعضهم البعض، وإن الاختلاف نعمة، وإنني سأبحث دومًا عن تلك الشرارة التي تحيط بهؤلاء الأشخاص لتجذبني إليهم، وقلت لي أن أبتعد عندما تنطفئ الشرارات وعندما يصبحون أكثر مللًا، وقلت لي إن العالم يمكن أن يكون مكانًا رائعًا إن قررت أن أراه بهذه الطريقة، وقلت لي إن الحكايات لا تنتهي وإن عليَّ فقط أن أمشي في الكون الواسع وأبحث عنها.

فازت مصر بكأس الأمم الأفريقية للمرة الخامسة أو السادسة، لا أتذكر بالضبط، ولكني يجب أن أحكي لك عن الهدف الذي أحرزه أبو تريكة في مرمى الكاميرون، بعد أن باصاها له زيدان بحرفنة ومهارة

t.me/qurssan

رهيبة. وأنت تعرف كم أحب أبو تريكة بابتسامته الخجول ووجهه المريح. زيدان هو الذي صنع هدف المباراة النهائية، ولكن أبو تريكة هو من سدد ليزيد من حبي له، وحزني أنك لست هنا حتى نتقافز معًا أمام التلفزيون بعد أن كسبنا البطولة.

كانت سنة حافلة بالأحداث، هناك إضرابات حدثت وشاركت فيها أعداد لا يُستهان بها، كنت أتمنى أن تكون هنا لترى هذا بعينيك وإن كنت لن تحب أن تشاهد كمَّ العنف الذي حدث، والأشخاص الذين تعرضوا للظلم خلال التظاهرات التي لا تبدو ضئيلة ومتواضعة مثل العادة. أيضًا انتخب الأمريكان أول رئيس أسود، وضحكنا اليوم في العمل كثيرًا ونحن نشارك برأينا ـ الذي لا لزوم له على الإطلاق ـ على صفحات الإنترنت، فرحنا وتحمسنا لنجاح هذا الشخص الأسمر ذي الكاريزما الكاسحة، عشنا وشُفنا والله.

أما بالنسبة للأمس، فقد رمى صحفي عراقي بفردتَي حذائه على «جورج بوش» أثناء مؤتمر ما في بغداد، وأحكي لك ذلك لأنني لا أستطيع حتى اليوم الفصل بين رحيلك وبين سقوط بغداد، أتذكر عندما قال أحد أصدقائك بحسرة: «كويس إنه ما شافش صدام وهم بيصطادوه من الحفرة»، ووجدت نفسي أرد عليه بحدة أن صدام لم يَعنِك في شيء، وأنك تكره الظلم في كل صوره. إنه زمن الأمور الملتبسة التي تجعلنا طوال الوقت مزنوقين ومضطرين إلى توضيح مواقفنا وردود فعلنا تجاه العالم. وجدت نفسي أشاهد ذلك الصحفي المتحمس بالأمس وأنا لا أعرف إن كان يجب أن أشعر بسعادة ما بسبب إهانة «بوش» الغبي، أم إن الموقف فعلًا يدعو للأسف عندما

t.me/qurssan

يكون الرد الوحيد لاحتلال دولة كاملة هو قذف حذاء بالٍ لم يصب حتى الهدف المرجو، ما علينا.

أشعر بكثير من الارتباك مع كل ما يحدث، وأشعر أن الحياة غريبة ومربكة وغامرة، وأشعر طوال الوقت إني مش عاملة اللي عليَّ، وأنني مقصرة بشكل ما. ربما كان يجب أن أتورط في الأحداث أكثر قليلًا؟ ربما كان يجب أن أقاوم الكسل؟ أن أقول أشياء ذكية وأفعل أفعالًا مؤثرة؟ أشعر أنك كنت نبيلًا أكثر من اللازم لدرجة استحالة الاقتداء بك. أحيانًا أحاول أن أتذكر عيوبك حتى أتخلص من هذه الصورة المثالية التي تملأ رأسي، فأتذكر مثلًا أنك لم تهتم يومًا بمدرستي أو بمستواي الدراسي، وفورًا تقفز في ذهني صورتنا ونحن نجلس معًا لتستمع إلى قصصي المملة، وشكواي من أشياء غاية في التفاهة، وانغماسك الكامل في كل التفاصيل، وانفعالك الذي يبدو أحيانًا أكثر أصالة من انفعالي ـ أنا صاحبة القصة ـ شخصيًا.

عندما تمر الأيام أشعر أكثر بفداحة الموقف، لا يوجد ما يمكنه تعويض رحيلك، وأشعر بغضب شديد عندما أتذكر أنني لن أراك مرة ثانية، وأشعر بكثير من الظلم عندما يتراءى لي عدم حضورك في كل المواقف الجادة والتافهة، وأشعر أن الغضب كاسح، لن يسمح أبدًا بوجود أي شيء إلى جانبه، لا فرح ولا حزن ولا أي شعور آخر، وأعتقد أنني فقدت اتصالي بكل شيء عندما فقدتك في هذا اليوم البارد، في ديسمبر منذ خمس سنوات.

كن ـ على الأقل ـ سعيدًا حيثما أنت، لا أعرف إن كان ذلك سيساعدني على الوصول لمرحلة أكثر هدوءًا، يقولون إن الجراح

t.me/qurssan

تلتئم والأمراض تُشفى حيث تقيم الآن، وربما أجد بعض العزاء عندما أتخيلك بصحة جيدة تقف أمام التلفزيون لترقص، وتتقافز معي وأنت تضحك ضحكات عالية على أنغام بهاء سلطان وهو يغني في أسى ممتزج بالعبث: «قريب ولا بعيد، حزين ولا سعيد»، وأحاول أن أقنع نفسي أنك تراني من مكانك وأنا أرسل لك الغنوة التي طالما رقصنا عليها معًا.

مدينة نصر ـ القاهرة

ديسمبر ٢٠٠٨

t.me/qurssan

عزيزتي جميلة،

أتممتِ عامك السابع أخيرًا، اليوم أكتب لك كي أخبرك بخبر حزين جدًّا، مات مطربي المفضل «مايكل جاكسون». أنت تعرفين أنني أؤمن أن كل من وُلد في شهر أغسطس يتميز بالعبقرية الشديدة، والدليل البسيط على هذا هو أنت وكارمن وبالطبع «مايكل جاكسون». أنت صغيرة جدًّا الآن ولم تشاهدي كل الأشخاص الذين اشتروا يومًا حذاء أبيض يشبه حذاء «مايكل» الشهير، الذي استخدمه مئات المرات أثناء أداء «رقصة القمر»، لم يستطع أي إنسان آخر أن يرقصها بهذه الاحترافية الرهيبة. كان جدك يسخر من حبي لـ«مايكل» وأنا صغيرة، ربما كنت في مثل عمرك أو أكبر قليلًا وهو يخبرني أن الشخص الذي يقوم بتغيير لون جلده شخص حتمًا مجنون، بالإضافة إلى أنه يضيع أمواله في أشياء عجيبة لا محل لها من الإعراب. كنت أجلس وأنا صغيرة جدًّا أمام التلفزيون لأشاهد التصوير الخرافي لأغنية «ثريلر» المرعبة، أو لأغنية «هل تتذكر الوقت الماضي؟»، التي طالما أبهرتني

t.me/qurssan

بسبب ظهور شخصيات ترتدي الزي الفرعوني، وكنت ـ بمنتهى السذاجة ـ أشعر ببعض الفخر الطفولي، لأن هذا الشخص الأسطوري استخدم لمحة من تاريخ أنتمي إليه. أخبرني جدك أيضًا أن السبب الحقيقي لتغيير «مايكل جاكسون» للون بشرته كان بسبب العنصرية التي مارسها العالم ضد الأفارقة وبشرتهم السمراء، وأن هذا الفعل ـ على الرغم من جنونه ـ قد يكون ما يشبه البيان، أو التصريح بموقفه المعادي للعنصرية التي عانى منها هو وأسرته طوال حياته، الذي لخصه في جملة في إحدى أشهر أغانيه وهو يقول بتحدٍّ: «لن أقضي حياتي والعالم يعتبرني مجرد لون».

كان عمر ابنته الصغيرة «باريس» أحد عشر عامًا فقط عندما وقفت على المسرح الضخم جدًّا وقالت وهي تختنق من البكاء: «أريد فقط أن أقول إن أبي كان أفضل أب ممكن منذ جئت إلى العالم، وأريد أيضًا أن أقول إنني أحبه كثيرًا»، ثم توقفت عن الكلام عندما انهارت من التأثر، فلم تسعفها سنوات عمرها القليلة لتتماسك أمام الحشد الهائل الذي ملأ المسرح أمامها. لم نتمالك أنفسنا ـ أنا وأمك ـ فبكينا بشدة ونحن نشاهد الجنازة على شاشة التلفزيون، قالت الصغيرة كلمات قليلة جدًّا، ربما لم نستطع نحن أن نقولها بهذه الفصاحة عندما فقدنا جدك منذ ست سنوات. يجب أن تتعلمي أن تحبي أغاني «مايكل جاكسون» مثلما أحببناها، هذا نوع من الموسيقى لن يفقد روعته حتى عندما تصبحين مراهقة ملولًا، تنجذب بطبيعة الحال إلى أغاني «البوب» التي تنتشر في زمنها.

أخذتك أمك إلى السينما منذ أيام لمشاهدة فيلم «هاري بوتر»

t.me/qurssan

الجديد، وظهر لنا جميعًا اهتمامك الشديد بالأفلام الذي لم نلاحظه إلا منذ سنوات مع اهتمامك بأفلام الكارتون. كل شيء يثير اهتمامك بطريقة مدهشة، ويفاجئني دومًا هذا النوع من الفضول الطازج الذي أراه في عينيك عندما تتعرفين إلى شيء جديد. أرى نفسي مللت العالم وقد أصبح كالكتاب المفتوح، لم أعد أنتظر أشياء مسلية أو مدهشة، ولم أعد أصدق أن هناك أشخاصًا مثيرين للانتباه، لا توجد أماكن قد تثير فضولي ولكن منذ وُلدتِ وأنا أرى كل شيء بشكل مختلف، أستمع إلى ملاحظاتك الذكية بينما تتكلمين بمنتهى الحماس. يساعدني وجودك كثيرًا على التغلب على إحساس الوحدة القاتل الذي يصاحبني منذ رحل جدك، وعلى الرغم من وجود عشرات الأشخاص في دوائر المعارف الكثيرة، فإنك تستطيعين بوجودك الكاسح أن تجعلي الجميع يبدون كالكومبارس.

أريد أيضًا أن أخبرك أنني سأرحل لفترة أتمنى أن تكون قصيرة، هناك الكثير من العمل ينتظرني في مكان آخر، ليس بعيدًا جدًّا ولكنه يبدو كأنه في آخر العالم عندما أتذكر أنك ستكونين في مدينة أخرى، وأريد أن أعدك الآن أنني لن أختفي تمامًا من حياتك، بالعكس، ربما يكون ابتعادي المؤقت فرصة كي لا أظل أمطرك بالدلع الذي تشتكي منه أمك. سأذهب في رحلة أتمنى أن تكون قصيرة، سألملم أشيائي القليلة وأنطلق إلى بداية جديدة أعتقد أنني أحتاج إليها بشدة. أخبرك طوال الوقت عن حبي الكاسح للقاهرة، وعلى الرغم من جاذبيتها غير المنطقية، فإن من يحبها يحتاج بين حين وآخر أن يبتعد قليلًا حتى يتنفس بعض الهواء النظيف، نحتاج أن نخرج من ماسورة المجاري

t.me/qurssan

الخانقة كل فترة كي نستطيع أن نواصل استنشاق كل هذا التلوث، أيضًا لم أعد أحتمل التوتر الذي يسببه كل شيء هنا، وأعتذر أنني سأبتعد لفترة بسيطة وأعدك من كل قلبي أن تواصُلنا لن ينتهي، وأنني لن يفوتني أي حدث مهم سيقع في حياتك سواء الآن أو بعد حين. سوف أختتم هذا الخطاب الآن وأضع لك إحدى أجمل أغاني «مايكل جاكسون» وأكثرها قربًا إلى قلبي، يغني: «على الرغم من أنك بعيدة، فإنني دومًا هنا بجانبك».

استمعي إلى أغاني «مايكل جاكسون»، وكوني سعيدة، ولا تكُفي أبدًا عن الكلام معي، أما هذه الخطابات فهي هنا لتبقى حتى تقرئيها يومًا ما.

مدينة نصر ـ القاهرة

سبتمبر ٢٠٠٩

t.me/qurssan

عزيزي بابا،

أكتب إليك في الذكرى السادسة لرحيلك، أحاول كل سنة أن أمنع نفسي من كتابة هذه الرسالة لك، أحيانًا أشعر أن الجميع سيصفني بالجنون وبأنني طفلة لا تزال تدبدب على الأرض وهي تصرخ بعنف: «أنا عايزة بابا». ثم أعود وأكتشف أن الكتابة لك أهم من كل شيء، من كلام الآخرين ومن الجنون، خصوصًا وإن كانت الأحاديث كلها صحيحة، أنا الطفلة التي لا تريد أي شيء في العالم سوى أن يعود أبوها من غيابه الطويل.

المهم، أولًا وقبل أي شيء، أفتقدك بعنف وأنت تعرف هذا، الحياة ـ كما تقول كل الكليشيهات المعتادة ـ ما زالت خاوية وغير متزنة منذ رحلت. وأنا ما زلت أطرح السؤال العدمي العبيط نفسه الذي لا يفضي إلى شيء: «هوَّ إنت ليه كان لازم تموت؟»، حتى الآن لا أفهم لماذا لم تخلد بشكل مادي، فأنت مخلد بالطبع في ذاكرة الجميع، وسأحكي لك باستفاضة عن تلك النقطة لاحقًا، ولكني

t.me/qurssan

أفتقد وجودك المادي بجنون، خصوصًا في هذه الأيام التي تنعدم فيها الرؤية، ولا أجدك لتسخر مني بطريقتك المعتادة ثم تحل كل المشاكل بدفء حضن طويل يزيل كل العتمة.

أفتقدك، ولن أطيل الكتابة عن هذه النقطة لأنك تعرفها وتشعر بها أكثر مني، فطالما عرفت ما أشعر به من قبلي.

النقطة الثانية هي أحوالي، تركت عملي القديم منذ فترة وأفلست قليلًا وعدت للحياة في شقتنا القديمة لبضعة أشهر، وأنت معي دائمًا وتعرف كم كانت الحياة قاسية وقتها، ولكني استطعت المضي فيها وتغلبت على هذه المشاق القليلة مستعينة ببعض الذكريات.

في هذه الفترة انتهيت من كتابة روايتي الأولى، هل تتذكرها؟ ما زلت أمتلك بعض تعليقاتك على الصفحات الأولى منها، المهم أنني أنهيت كتابتها بل ونشرتها أيضًا. أنت تعرف كم هذا مرعب، أخشى الفشل فيُنسب إليك، وأخشى النجاح فيُقال إنني نجحت بسبب اسمك الذي يتذكره الجميع. الكتابة والنشر تحدٍّ سافر لكل المخاوف القديمة والجديدة معًا، بكيت حتى كدت أفقد البصر لأنك لست موجودًا لتواصل دعمك لي، دعمك الساخر الحنون الذي لم أجد مثله حتى الآن في إنسان، ولا أتوقع أن أجده ولا أبحث عنه أصلًا.

أصدقاؤك كانوا في قمة التواصل والتشجيع، وتعاملوا معي بالطبع بصفتي ابنتك، وبدأت أسمع جملًا تشبه «بنت الوز عوام» و«من شابهت أباها فما ظلمت»، إلخ. لم يقصروا قَطُّ، قرأوا الرواية بسرعة وأبدوا رأيهم ونصحوني وأعينهم تترغرغ بالدموع، كل هذا من أجلك وأجل ذكراك.

t.me/qurssan

نسيت أن أقول لك إن جميع من قرأ الرواية قفش لأنني أكتب عن أحداث تشبه الواقع بدرجة كبيرة، وهذا بالطبع بسببك، فأنا لم أستطع مقاومة الكتابة عنك، أنت الكائن الأسطوري في حياتي التافهة، وعلى الرغم من أن الكثير من الأحداث ليست لها علاقة بالواقع، فإن كلامي عنك بوضوح وبلا أي نية لإخفاء أنك أبي، جعل الجميع يقرأها وكأنها قصة حياتي بالتفصيل. أتمنى أن تكون فخورًا بي، وأن تكون متأكدًا أن أسوأ ما حدث يوم ظهرت الرواية أنك لم تكن موجودًا، لتعطيني نظرة حانية دامعة وحضنًا طويلًا لا يفلتني حتى إن ولعت الدنيا.

أستحضر الآن أيامك الأخيرة وضمة يدك ليدي على فراش الموت، التي وصفها الأطباء أنها انقباضات عضلية، بينما أثق أنها لفتة دعم وتشجيع أخيرة منك، وأستحضر الأيام التي تركتني فيها، وأشعر أنها كالبارحة لقتامتها، وأشعر أنها مرت منذ ألف عام لغيابك.

أستحضر لحظة الموت والدفن والفراق والوداع الأخير الذي ودعته لك قبل أن أفارق قبرك، وأستحضر قُبلتي لك في ثلاجة المستشفى وأنا أشعر أن وجهك ينبض بالحياة وأن الجميع يخدعني، وأستحضر تخيلاتي لك وأنت تمزح في القبر قبل أن أفارقك وتعزيني في موتك، وأستحضرك وأنت تذهب بعيدًا وأنا أرى نفسي في دوامة كبيرة من العدم ما زلت أدور فيها حتى الآن.

ما زلت كما أنا بالمناسبة، أسخر وأهاجم وأمارس العصبية بأشكالها التي لا تعد، وما زلت أنتظر ولا أبدأ بالفعل أبدًا، ما زلت كما تركتني، بحطة إيدك والله، العقد والمركبات كما هي وزاد عليها فقط عدم الأمان الذي أمارسه في حماس ودأب مع الجميع، وما زلت

t.me/qurssan

أستمتع بوراثة خطاياك وأخطائك، وما زلت أستمتع بلومك إياي على أي شيء يحدث.

كدت أنسى، تركت مصر منذ بضعة أشهر نازحة للخليج، وأقصد هنا جنة الله في الأرض «دبي»، ولكن أنت تعرفني، أولد فتعود أنت من الكويت بلا مليم، أسافر إلى الجنة فتفلس وتغرق في شبر ميه. أتيت لأحاول الخروج من الدوامة التي تركتني فيها، أتيت من أجل لقمة عيش جديدة وعتبة جديدة وهروبًا من الكثير من الأشياء التي نحفظها أنت عن ظهر قلب. للأسف أفلست المدينة وغرقت في ساعات بسبب الأمطار غير المحسوبة، وما زلت مصرة على البقاء حتى أجيب درفها! المهم أنني ذهبت، وبالطبع أقيِّد قدميَّ كل يوم لكي لا أركض للمطار عائدة للوطن. بالمناسبة لم يتغير شيء فيما يخص الأخير، لا يزال يختزل كل معانيه وقيمه في مباراة كرة قدم وبضعة عناوين صحف صفراء. تذكرتك يوم مباراة مصر والجزائر، وتذكرتك يوم هبطت عدالة السماء على استاد «باليرمو»، وعلى كنبة بيتنا القديم التي قفزت من فوقها وتحشرج صوتك من الصراخ والتشجيع بعد مباراة كاملة من السباب المتصل، لا تقلق، ابنتك موجودة وتؤدي دورك ببراعة واقتناع كاملين، وأفرغت شحنة سباب محترمة ـ أو غير محترمة ـ عندما فشلنا في تسديد هدف يتيم يبل ريقنا ونتأهل به إلى كأس العالم.

الجميع بخير ويبعثون لك التحية، أطلت في الحديث ولهذا أنا آسفة، ولكنك تعرفني إن بدأت في الحوار معك لا أنتهي أبدًا وإن كمموا فمي.

t.me/qurssan

أتعشم ردك سريعًا، وأعرف أنني سأجده كالبرق مثل العادة، أعرف أن قدرتك على الكتابة على الكيبورد ليست أفضل شيء، ولكنك من الممكن أن تحاول من أجلي.

قبلات لا حصر لها، وحضن واحد طويل جدًّا لا ينتهي.

دبي ـ الإمارات

ديسمبر ٢٠٠٩

t.me/qurssan

عزيزتي جميلة،

أكتب لك من مدينة حارة جدًّا ورطبة جدًّا ورتيبة بعض الشيء، ما زلت أتذكر تأثرك وأنا ذاهبة للمطار، وأشعر بالكثير من الحزن لأنك لست معي نتشارك في التفاصيل اليومية كما نفعل منذ وُلدتِ. لم أستطع أن أحضر حفل عيد ميلادك الثامن، ولكن أمك أرسلت لي الكثير من الصور ومقاطع الفيديو، رأيتك مرحة مع أصدقائك الجدد، منطلقة تلعبين وترغين كالعادة.

بالأمس جلست مع مجموعة من الأصدقاء تعرَّفت إليهم حديثًا كي أشاهد المباراة النهائية في كأس العالم، سألتِني منذ فترة ـ وأنت لا تحبين كرة القدم ـ عن الفريق الذي أشجعه، وأخبرتك أنني أشجع إسبانيا بسبب إعجابي الجنوني بمُدافع الفريق «كارلس بيول»، وقلتِ لي في دهشة إن المُدافع لا يسجل أهدافًا، والجميع يحب المهاجمين بطبيعة الحال، ورددتُ بأن الدفاع أحيانًا قد يكون أكثر أهمية من الهجوم، ثم أدركت فورًا أن هذا قد لا يكون الرأي الأفضل بالنسبة

t.me/qurssan

لطفلة في ذكائك، وأنني قد أتسبب في كارثة إن أقنعتك يومًا أن تظلي في موقع الدفاع تجاه العالم، ثم شعرت أنني ربما أبالغ، وأن التعليق على تشجيع فرقة لكرة القدم ربما لا تكون له أهمية كبيرة في تكوين شخصية فتاة في سنواتها الأولى. الدفاع مهم يا جميلة ولكن الهجوم هو الوسيلة الأفضل كي تَصلي إلى نجاحاتك المقبلة، ربما خط الوسط أكثر أهمية من الاثنين؟ لا أعرف، ولكنني فقط أريد أن أقول لك إن فريقي الذي شجعته طوال هذه الدورة قد وصل إلى نهائي كأس العالم، بل وربح مباراته النهائية مع هولندا وتُوج كأفضل فريق هذا العام. حيًّا أيضًا لاعبي المفضل «بيول» ملكة إسبانيا وهو يرتدي فوطة على خصره، في لقطة رآها العالم غير مناسِبة ورأيتها عظيمة جدًّا، لأن العالم لا يجب أن يتسم دومًا بالدقة والترتيب والتنشية الشديدة، التي يستطيع لاعب عابث أن يهدمها في لحظة غير مرتبة يراها العالم كله.

أريد أيضًا أن أحكي لك عن الأزمة العالمية التي أراها يوميًّا في حياتي البسيطة هنا، أعرف أن الاقتصاد لم يكن يومًا من اهتماماتك أو اهتماماتي، ولكني أسكن اليوم مدينة تهتم بالمال والاقتصاد والبنوك والممتلكات، وكل هذه الأشياء التي تعلمنا أن نعزل أنفسنا عنها إلا فيما يخص احتياجاتنا الأساسية التي تسميها أنت «الضروريات الأساسية»، في إشارة إلى إحدى أغاني فيلم الكارتون الذي تحبينه جدًّا. العالم يغرق في الديون، وأجد الكثير من المعارف في تلك المدينة الصغيرة يغادرون وظائفهم ويعودون إلى بلادهم. لم أفهم كثيرًا عن مشاكل البنوك والضرائب العقارية والقروض الهائلة، ولكني

t.me/qurssan

أفهم أن الحياة على الحافة مخيفة جدًّا للكثيرين، وأفهم أن الحياة بلا طمأنينة وبلا أربعة حوائط ـ نضمن وجودها ونضمن الحصول على الاحتياجات الأساسية التي تجعلنا نتحمل ثمنها ـ قد تكون مرعبة، وأتفهم أن هناك أشخاصًا كثيرين جدًّا يشعرون أن الحياة تنزلق من تحت أقدامهم بسبب ما يحدث من فوضى في العالم، وأحمد الله أنني لا أرغب في أي شيء من أي نوع يجعلني أشعر بمثل هذا الخوف. أحيانًا أشعر أنني أريد أن أشتري قطعًا ذهبية من أجل ما يسمونه «تأمين المستقبل»، حيث أصبحت العملات الورقية أقل قيمة بكثير من قبل، ويقترح عليَّ الكثيرون أن أقوم باستثمار بعض المال حتى وإن كان قليلًا في أي مشروع، وأجد نفسي أتفاعل باستهتار وقلة مسؤولية غير محببة أبدًا. أنصح أصدقائي طوال الوقت أن يدخروا على الأقل ٢٥ بالمائة من دخلهم الشهري، وأفشل في أن أدخر حتى ٢٥ جنيهًا، وأجد نفسي مفلسة تمامًا في نهاية كل شهر. يجب أن أخبرك أنني لست فخورة أبدًا بهذا، وأنني أتمنى أن أصبح يومًا على قدر من المسؤولية التي تجعلني أرى المال كشيء ضروري لا يصح أن نبعزقه طوال الوقت في نزق واستهتار.

شاهدت منذ فترة قصيرة فيلمًا رائعًا أتمنى أن نشاهده معًا يومًا ما، الفيلم معقد قليلًا، ولكنه يقول الكثير عن عالم الأحلام والهواجس والتركيبات النفسية التي أخاف منها وأفكر فيها طوال الوقت. كنت دومًا أتذكر أحلامي، وكثيرًا ما استيقظت لأجد نفسي لا أعرف إن كنت ما زلت أحلم أم عدت إلى الواقع. أعتقد أن الأحلام سرد لكل الأشياء التي نخاف منها أو نريدها بشدة، لكننا فقط لا نجرؤ

t.me/qurssan

على الاعتراف بذلك. أحلم كثيرًا جدًّا، وأحيانًا أشعر بالإحباط لأن جدك لا يأتيني كثيرًا في أحلامي، وأرى نفسي مسؤولة عن هذا بشكل ما، ربما لم أستحق زياراته الحميمة، وربما فعلت أخطاء لم أستطع الاعتراف بها أمام أي شخص، وربما لهذا حلمت البارحة أنني فقدت بصري وأمضيت سنوات طويلة في حلمي أرى العالم وكأنه شاحب ومكسور وغير واضح، ربما هي بعض الحقيقة التي لم أجد في نفسي قوة للاعتراف بها، وها أنا أقول لك الآن إنني قد أحتاج إلى الطوطم الصغير الذي ظهر في الفيلم واستخدمه البطل كي يفرق بين كل ما هو حلم وكل ما هو حقيقي.

أعدك أنني سأظل أكتب لك الخطابات، وأعدك أنني سأحاول ألا نفقد خطوط التواصل بيننا مهما حدث، وأنني سأظل أحكي لك عن كل ما أخشى الحكي عنه لأي شخص آخر، وأعدك أنني سأحاول من كل قلبي ألا أصيبك بالإحباط أو الخوف أو التوتر في عالم يحتوي على الكثير من هذه العناصر. كوني دومًا صمام الأمان الذي حصلتُ عليه مجانًا وبلا أي ثمن، وكهدية أعطاها لي العالم من دون أي استحقاق من جانبي. ولكني وعلى الرغم من هذا أعدك أنني سأحاول قدر الإمكان ألا أتلف عطايا القدر، وأن أستمر في منحك كل ما لديَّ من سعادة ولطافة إن كنت أمتلكهما من الأساس.

دبي ـ الإمارات

سبتمبر ٢٠١٠

t.me/qurssan

عزيزي بابا،

لن أبدأ بمقدمات طويلة تحكي عن مدى اشتياقي العنيف لك، خصوصًا في هذا الوقت من العام الذي يتصادف فيه دومًا ازدحام الأحداث وتراكمها، سأدخل في الموضوع مباشرة.

كانت سنة غريبة ومزدحمة بالحركة والأحداث المفصلية، كانت سنة من السهل جدًّا وصفها بالمليئة بالتحققات والنجاحات على أكثر من مستوى. حكيت لك العام الماضي عن انتقالي للعمل بالخليج، كم كنت أشعر بخجل شديد من هذه المعلومة، فأنا أعرف وأدرك تمامًا أنك لا تريدني أن أعيد هذا الجزء من الحياة الذي قمت به من عشرات السنين، وأعرف رأيك فيه بالضبط.

كما تعرف، لم أستطع أن أستسلم لهذا البلد، حيث يبدو كل شيء فيها مضادًّا للطبيعة البشرية، أنت تعرفني، لا أحتمل النظام الآلي المنضبط، فبعض العشوائية وبعض الهرجلة ضرورية كي نكون بشرًا.

توصلت إلى خيار وسط جعلني أنتقل إلى مصر كل شهرين أو

t.me/qurssan

ثلاثة، ويكلفني هذا الكثير من المعاناة التي تعرفها وتحفظها أنت عن ظهر قلب، مصر متعبة وزحمة ومش منظمة، الجميع يقولون إن دبي أحسن، وأسمع دومًا السؤال المعتاد: «إنتِ بتستحملي مصر إزاي بعد ما عشتِ في الخليج؟». لا أرد، لكنني أعرف أنه الاشتياق، الاشتياق إلى أشيائي التي تمتلئ بها مصر، أشيائي، مثل الدخان في سماء القاهرة الرمادية الذي سبب لي ولك أزمات رَبْوية متكررة، ورائحة كورنيش الإسكندرية، والقطط والحيوانات الضالة في الطرقات، والشحاذين وابتسامات الناس في إشارات المرور، والمعاكسات الوقحة التي ـ أحيانًا كثيرة ـ تعكس خفة دم وغُلب وبساطة لا تجدها إلا في السيرك المسمى «الشارع المصري»، لن أستغرب إن ظهر فيه في أي لحظة حاوٍ أو مهرج يتشقلب بينما السيارات تنتظر إشارة مرورية طويلة بعض الشيء. الجميع يعرف أن مصر بها شيء ساحر من المستحيل تفسيره، لأنها بالورقة والقلم وبالحسابات الدقيقة والعقل والمنطق والتاريخ والجغرافيا والفلسفة وجميع المسميات، ميتة إكلينيكيًّا، والأمل في إحيائها مثل الأمل في إحياء قلب توقف عن النبض منذ مدة طويلة، حتى مع الصدمات الكهربائية الكثيرة، في الغالب لا يعود القلب أبدًا إلى حالته الطبيعية حتى إن عادت نبضاته.

المهم أنني ما زلت أحن إلى هذا الشيء الساحر وأذهب كل فترة قصيرة لألتقيه، وأتعمد إغراق نفسي في الزبالة ـ كما يسميها معظم المصريين الذين يعيشون في الخليج ـ حتى يغمرني إحساس الاستكفاء، أو أنني حرَّمت، فأجتر كل ما أخذت في النهل منه فور عودتي إلى الخليج الهادئ، هذا الخليج الذي يجعلني أشعر بالمزيد

t.me/qurssan

، المزيد من الاغتراب الذي مرضت به منذ أن غادرت أنت، الاغتراب الذي يجعلني أزداد عصبية وأهاجم البشر أجمعين ولا أستثني أحدًا مطلقًا.

عملي بخير، للمرة الأولى منذ بدأت العمل بشكل عام أتمنى أن تكون موجودًا لتخبرني بتصوراتك وآرائك ونقدك اللاذع، ولمعة الفرحة الخجول في عينيك، تقول على استحياء إنك فخور بما أفعل حتى إن كان هذا الفخر يتخلله الكثير والكثير من التريقة، والتعليقات اللاذعة التي اعتدت عليها وأمارسها طوال الوقت. بدأت أشعر أنني جديرة بانتمائي إليك أخيرًا، وأتمنى أن أكون على القدر نفسه من الإحساس باستحقاق هذا الانتماء.

سبع سنوات كاملة! هل تعرف أنها كانت مفاجأة حقيقية هذه المرة؟ سبع سنوات مرة واحدة، الإدراك والمواجهة والتصديق أن هذه المدة قد مرت أمرٌ يفوق قدراتي، في أكثر اللحظات المتحققة التي يكتمل فيها عمل بذلت فيه الكثير من الجهد، أو في اللحظة التي تحتضنني فيها جميلة كأجمل اللحظات كلها، تظهر أنت في خلفية الصورة لأعرف أن هذه السعادة ستظل دائمًا غير مكتملة لأنك لا تشارك فيها، ستظل اللوحة دائمًا تنقصها قطعة البازل الرئيسية التي تفسر هل الصورة حلوة أم ماسخة.

أسافر كثيرًا الآن، توصلت أخيرًا إلى أن هذا ما يجعلني أنشغل عن التفكير وعن التدقيق في الكثير من الأمور، وللمرة الأولى أصبحت أكسب من المال ما يؤهلني لشراء تذاكر طيران لبلاد بعيدة، وإن كنت ما زلت أشتاق لمكان لا أعرف لغته ولا أعرف أحدًا فيه، أنت

t.me/qurssan

تعرفني، أغترب فأبحث عن المزيد من الاغتراب بدلًا من محاولة الخروج منه.

أعمل طوال الوقت وأسافر وأرى الكثير من الوجوه والأشخاص، توقفت ـ تقريبًا ـ عن الكتابة، و«وشي منك في الأرض». لا أستطيع أن أكتب، ربما كانت الكتابة فيما مضى حالة استثنائية من الرغبة في إخراج شيء ما يجثم على صدري، ربما لا، لن أعرف إلا إن انتابتني هذه الحالة مجددًا. المهم أنني اشتقت إليك، وأريد أن أخبرك أنني ما زلت أعمل بشراسة وأتعامل بشراسة وأبكي بشراسة، وأفعل هذا بشكل عادي وتلقائي وأوتوماتيكي. لا يهمني شيء منذ رحلت ولا أتعامل مع أي شيء بأي جدية، فكل شيء فانٍ مثلما فنيت أنت.

لم أعد طفلة، وأدرك الآن وأنا في آخر سنواتي العشرينية أنك لن تعود، أعرف أنك ذهبت إلى مكان قد يكون أفضل، وأعرف أنك في راحة عظيمة وأن حظك فعلًا عظيم لأنك لا تشهد ما يحدث في بلادنا، فهذا كفيل بسنوات من الاكتئاب والحسرة تُضاف إلى الهموم القديمة، ونحن جميعًا في غنًى عن هذا. أتمنى أن تكون وسط أصحابك، وأتمنى أن تكون قد تواصلت مع كل من لحقوا بك من أقارب وجيران ورفاق عُمْر، وأتمنى أن تكون ناظرًا إليَّ من السماء، وأتمنى أن تكون شاعرًا باشتياقي إليك، وأتمنى أن تكون مطمئنًا على أحوالي وأحوال من يهمك أمورهم، وأتمنى أن تكون راضيًا وأن تكون وجدت من الأطباء من يستطيعون إصلاح اعتلال قلبك، وأتمنى أن تزورني كثيرًا في أحلامي، وعندما تفعل، حاوِل أن يكون الموقف أكثر منطقية وأكثر وضوحًا، وأن تظل معي مدة

t.me/qurssan

أطول لو أمكن، أعرف أنك مشغول ولكن معلش، بعض الوقت لي لن يضر أحدًا.

عارف؟ عندما أفتقدك بشدة أتذكر مشهدًا واحدًا؛ في الصباح أنت تفترش الكنبة الزرقاء القطيفة، وتمسك الجريدة بيد واحدة وتمتد ذراعك على ظهر الكنبة، وأنهض أنا من النوم، أتجه إليك وأنا نصف مغمضة العينين لألتصق بك بلا كلام على الكنبة نفسها، فتبتسم أنت أيضًا من دون كلام، وتحتضنني ذراعك في حنان كَوني لا يعوضني عنه شيء، أتذكر هذا المشهد وأغمض عينيَّ حتى تؤلماني، فربما أستطيع استحضار تلك اللحظة، وعندما يحالفني الحظ أفتح عينيَّ لأجد رائحتك تملأني، فأبتسم وأعود في لحظة واحدة إلى أيامنا معًا.

دبي ـ الإمارات

ديسمبر ٢٠١٠

t.me/qurssan

عزيزتي جميلة،

أريد أن أحكي لك اليوم عن حدث أعتقد أنه الأكبر والأهم في حياتنا جميعًا، منذ أشهر قليلة خُلع رئيس مصر السابق بعد اعتصام دامَ لمدة ثمانية عشر يومًا في ميدان التحرير. أعرف أنك لا تعرفين ميدان التحرير لأنه يقبع في الناحية الأخرى من عالمك، ويفصل بينكما النيل الذي لا تمرِّين فوقه مع أمك إلا نادرًا. كان حدثًا ضخمًا وتغيرت أحوال كثيرة جدًّا، أصبحت التظاهرات جزءًا من حياتنا اليومية، وصار من العادي أن نقابل مظاهرة تقريبًا كل يوم في أي شارع من شوارع القاهرة، التي أصبحت تتسم بفوضى محببة أكثر من الفوضى التي طالما اتسمت بها طوال السنوات التي عشناها بها. الكثيرون يرون التظاهرات أمرًا يجب التخلص منه، والكثيرون يقفون بالعرض في طريق التغيير ويستخدمون جميع الأساليب التي لن تخطر على عقلك الصغير، من أجل أن تتوقف الثورة التي يقول القليلون إنها مستمرة، وتقول الأغلبية إنها يجب أن تتوقف

t.me/qurssan

حتى تستقر أحوال البلاد. لماذا حدث كل هذا؟ هناك الكثير من الأسباب، باختصار شديد حدث كل هذا من أجل مستقبل أفضل لك، مستقبل أفضل بحق وحقيقي وليس كذلك الشعار الذي طالما ردده النظام السابق في محاولة لخلق مستقبل أسوأ بكثير، مليء بالنهب والسرقة والفساد، محاولات قتل الثورة مستمرة ومحاولات الاستمرار فيها أيضًا تمضي بقوة أقل قليلًا، فكما تعرفين الحالمين، هم من يقومون بالتغيير، دعينا فقط ندعو أن ينجحوا ولو مرة في تحقيق جزء من هذا الحلم.

منذ أيام قليلة ماتت «إيمي واينهاوس»، أكره أن أحكي لك عن الموت، ولكني أشعر أنني أريد أن أكتب لك عن «إيمي» وجمال وجهها وعينيها المرسومتين بخط الكحل السميك الذي اشتهرت به، وشعرها الذي عقصت جزءًا منه دومًا في أعلى نقطة ممكنة فوق رأسها، حاولت ملايين النساء حول العالم أن يُصففن شعرهن بالطريقة نفسها، لكنْ لم ينجح أحد في أن يقترب من تفردها وجمالها. كيف ماتت «إيمي»؟ يقولون إنها ماتت بسبب الإدمان، وأقول لك إنها ماتت بسبب الحب، ماتت لأنها حزينة ووحيدة، ولأنها انكسرت عندما ظل الجميع يحاولون دفعها إلى القيام بأشياء لا تشبهها. ماتت «إيمي» وحيدة في منزلها بلندن بعد أن تناولت كل الأشياء التي سممت دماءها وأخرجتها من أضيق أبواب الحياة، كانت «إيمي» أكبر من الحياة، لم يحتوِ العالم قلقها من كل شيء، ورآها الجميع في لقطات مخيفة وهي تتمايل بعدم اتزان بسبب الإفراط في الشرب أو تعاطي المخدرات، رآها العالم

t.me/qurssan

وبدلًا من أن يساعدها وَصَمها وأدانها، وحكم عليها بالموت الذي تقول هي إنها عاشته مئات المرات قبل أن تلاقيه منذ أيام باختيارها. أخبركِ اليوم بهذه الحكاية لأنني أحب «إيمي»، أحب كل شيء فعلته، وأتفهم اضطرابها ونوبات قلقها وكسرة قلبها. الكثيرون قتلهم الحب، ولكن «إيمي» قتلها الجميع، لم يدعمها أحد وتُركت وحيدة تتناول الشراب حتى الموت في شقة صغيرة في لندن الرطبة. لا تخافي يا عزيزتي من الموت، ولا تخافي من الأشخاص الذين يصمون الجميع ويتربصون بالضعفاء، كلنا ضعفاء وكلنا في احتياج إلى لحظات آمنة تخبرنا أن هناك من يريدنا في هذه الحياة، ولا يريد أن يشاهدنا نرحل بألم وعناء.

أخبرك اليوم عن «إيمي» وعن الثورة وعن انكسار قلوبنا عندما نشعر أن لا قيمة لنا، وأخبرك أننا نشعر اليوم أنَّ لنا أهمية ما، لنا دورًا خُلقنا من أجله ونقوم به بكل الدأب والإصرار، وأخبرك أيضًا أنني أحبك جدًّا، وأنني سأظل إلى جانبك حتى النهاية ومهما حدث. افعلي ما شئت، ارتدي ما شئت، فقط أرجو أن تظل فطرتك سليمة ويظل عقلك واعيًا. لن يترك أحدنا العالم يفتك بك، ولن نسمح لمن يقفون أمام كل محاولاتنا لخلق عالم أكثر جمالًا أن يحبطونا، ولن ندع كلمات أصحاب القلوب القاسية تنفذ إلى قلبك. كوني قوية، فالكثيرون مثل «إيمي» يحتاجون إلى الأقوياء أصحاب القلوب المتسامحة، الكثيرون يحتاجون إلى فتيات مثلك حتى لا تموت فتاة أخرى وحيدة وحزينة. أعرف أنك ستكبرين يومًا بعد يوم وستفعلين كل شيء من أجل عالم أكثر رقة وأقل قسوة، حتى يأتي هذا اليوم،

t.me/qurssan

نذكري «إيمي» في دعائك، وتذكري كل من ذهب إلى عالم آخر وهو يحلم بعالم أجمل يستطيع احتضان الحالمين، ولا يدفعهم إلى الهروب من أبوابه الضيقة.

الزمالك ـ مصر

يوليو ٢٠١١

t.me/qurssan

عزيزتي كارمن،

كنت أتمنى أن تكوني معي في هذه الأيام، منذ سافرتِ إلى أمريكا وأنا أستحضر مواقفنا معًا، وأتخيل دومًا أنك هنا عندما يحدث أي شيء كبيرًا كان أو صغيرًا، مُهمًّا للعالم أو لا يهم أحدًا سوانا. أعتقد يا عزيزتي أن هذه هي أيامنا الذهبية، ولا أستطيع أن أصدق أنك تشاهدينها عبر شاشات التلفزيون على بُعد عشرات الآلاف من الأميال، في حين أنك تستحقين أن تكوني هنا بكل قوتك وجبروتك وهشاشتك التي أعرفها جيدًا، مهما حاولت إخفاءها في أبعد مكان عن الجميع.

أحب دائمًا أن أكتب لك في الشتاء، على الرغم من معرفتي أنك تفضلين الصيف وتفضلين ارتداء الملابس الخفيفة وخلع فردتَي حذائك ورميهما بعيدًا، وتلويث قدميك الصغيرتين بالتراب، اليوم كنت أجلس على أحد أرصفة ميدان التحرير ملتحفة بالكثير من طبقات الملابس، جلس إلى جانبي أصدقاء جدد تعرفت عليهم بعد

t.me/qurssan

ر حيلك. أعرف أنكِ تكرهين هذا الموضوع وتفضلين أن تكوني دومًا على دراية كاملة بكل دوائري، لكنها الظروف. اليوم كنت أجلس بجانبهم وأرى المئات من حولنا يفعلون أشياء غاية في الخطورة، تمنيتُ أن تكوني معي. أشعر أن هذه أيام مهمة، وأرى أشياء غاية في الغرابة تحدث، وأرى الكثير من العنف الذي أعرف أنك لا تحبينه إطلاقًا. لكني ـ وعلى الرغم من خوفي الشديد مما قد يحدث في أي لحظة ـ لا أستطيع أن أفارق الميدان إطلاقًا. الناس هنا يواجهون الموت، ولكن على ما يبدو أيضًا لديهم الكثير من الأمل الذي يعميهم عن احتماليات الموت القائمة بوضوح. يبدو أن الأمل يعمي بشدة عن كل الاحتمالات، وهؤلاء الآلاف يحتضنون الأمل بقوة وتشبُّث وشعلقة. بصراحة، أحاول أن أبتعد قدر المستطاع عن احتمال الموت، ربما لم أصل لهذه الدرجة الكبيرة من الأمل التي قد تعمي بصري عن الخوف، أو ربما أنا مجرد شخص خائف لا يريد أن يقفز إلى احتمالات مجهولة لا يعرف عنها شيئًا. لا أريد أن أموت الآن، ولهذا أتعامل مع كل شيء بحذر شديد أغلف به خوفي، حتى لا يقول عني أصدقائي الجدد إنني جبانة.

هؤلاء يدخلون في مواجهات مباشرة مع قوى أكبر منهم بمراحل، هناك الكثير من الفتيات والسيدات يقمن بأعمال بطولية جدًّا، من ضمنها الالتحام المباشر الذي جربته مرة واحدة فقط، كان هذا عندما جرجرني أحد الأصدقاء المتحمسين جدًّا، خدعني بوعد أن هناك هدنة ما، وأنني لا بد أن أرى بعيني ما يحدث في الصفوف الأولى لأنها تجربة مهمة ويستحيل أن يتركني أفوتها. جرجرني صديقي المتحمس

t.me/qurssan

جدًّا إلى الصفوف الأولى، وبالطبع فور أن وضعت قدمي في شارع محمد محمود انهالت القنابل المسيلة للدموع، وصرخ بي صديقي بجنون: «اجري»، ثم اختفى في لحظة. أنت تعرفين أن لياقتي البدنية ليست أفضل شيء بسبب سنوات التدخين الطويلة، وأن هذه اللياقة من الصعب أن تنقذني من أي خطر قريب، ولكنني تحولت بقدرة الأدرينالين الساحرة إلى رياضية خطيرة تقفز الحواجز والأرصفة العالية كالباليرينا الرشيقة، حتى خبط بي أحد الهاربين مثلي من الدخان وألقاني بكل قوته على الأرض. لحسن حظي توقف أحد المتظاهرين ورفعني من الأرض، بعد أن كنت احتضنت الأسفلت وأغمضت عينيَّ وأنا أشعر بالدخان يغزو عينيَّ ورئتيَّ على التوازي، ورفعني قلم غشيم جدًّا على وجهي لأنه تصور أنني قد فقدت الوعي، أفاقني غضبي من وقع الضربة غير الضرورية وصرخت في وجهه: «أنا كويسة، إنت مجنون ولَّا إيه؟»، فصرخ: «طب لما إنتِ فايقة ما بتجريش ليه؟!»، وأكمل مشوار جريه إلى نهاية الشارع محاولًا أن يصل إلى شارع هدى شعراوي حيث يقل الدخان قليلًا. استكملت قفزي على الأرصفة ودخلت إلى جراج عام وخرجت من الناحية الأخرى حتى وجدت نفسي في شارع هدى شعراوي. اكتشفت بعد أن خرجت أن هناك كدمتين زرقاوين بركبتيَّ، وأن ثنيهما أصبح يسبب ألمًا مخيفًا يضرب في ساقيَّ بالكامل. لا يهم، المهم أنني ما زلت أتنفس وإن كنت أسمع تزييقًا معروفًا ينبعث مع أنفاسي، وأعرف أن تزييقة الباب هذه تنبئ بزيارة ضرورية إلى المستشفى، لكن ليس اليوم، اليوم نملأ الميدان ونستنشق الدخان ونرش في وجوه بعضنا

t.me/qurssan

, ذاذ الخميرة المختلط بالماء، ونجلس على الأرصفة ننتظر نتائج المعركة الانتقامية، ونعد ضحايانا ونحتفي بمن نجا.

أتصور أنكِ معي في كل ما يحدث، وأتخيل أنكِ تباشرين العمل في المستشفى الميداني فتضمدين جراح من أصابه الخرطوش، وترتبين الجرحى، وتعطين تعليماتك للآخرين كي يرتبوا الصفوف، فتبعثين بمن داويتِهم إلى الخطوط الأولى مرة أخرى. أتخيلك وأنت ترفضين الراحة ولو لدقائق، وأرى لمعة عينيك التي تقول إنك في المكان الصحيح بالضبط، حتى وإن لعنَّا العنف معًا طوال حياتنا، إلا إن مكانك هو هنا وليس غرف العمليات الآمنة الباردة.

عزيزتي كارمن، أكتب لك اليوم لأخبرك أن قلبي مليء بالأمل، أشعر الآن أن لي لازمة، وأشعر أن وجودي هنا على هذا الرصيف هو جناح الفراشة الذي يحترق من أجل كل ما نحلم به، وأشعر أن الرجل الذي حملني في لحظة قد أكون فقدت فيها قدرتي على المقاومة هو قدري، الذي يصر أن أظل جزءًا من المعادلة، أعرف أنني وهؤلاء الأشخاص الذين تعرفت عليهم حديثًا نجلس على الرصيف بالميدان لسبب ما، لا أستطيع أن أرى الصورة كاملة الآن، ولكنني أعرف أننا هنا وأن الحياة ستكون أكثر عدلًا بسببنا، وبسبب هذا الشخص المجهول الذي يفعل أشياء بطولية في معركة مرتجلة، يرى أنها قد تنتهي ببعض من العدل. أنا أثق في العدل، وأعرف أن هذه الحياة لن تخذلنا، وأن الخذلان الوحيد قد يكون هو عدم وجودك معي هذه الأيام، كي تشمي رائحة المعركة، وتنتشي عندما تعرفين أن تلك أيام لن ننساها أبدًا.

t.me/qurssan

أعرف أنك تتشككين كثيرًا، وأنك تقولين الآن بينك وبين نفسك إن الأمر بالتأكيد ليس بهذه السهولة، وإن هذه الرومانسية قاصرة، وإنني لا بد أن أنظر مسافة خطوتين نحو الأمام، كي أرى إن كانت الأمور ستمضي في الطريق الذي نتصوره فعلًا أم لا، وأنا لن أرد على هذه التشاؤمات البغيضة لأن هذه هي عادتك الرذلة في تحطيم معنوياتي التي قلما ترتفع. أقول لك وحولي الكثير من الجرحى إن الوضع ليس بهذا السوء، وإن ثمة شيئًا يحدث وسيحدث، وإننا سنجتمع يومًا ما في مكان آمن ومطمئن، ليس كهذا الذي تركتِه منذ سنوات.

أقول لك أيضًا للمرة الأولى إن للأمل طعمًا آخر، طعمًا لذيذًا يشبه الطعام الذي تتذوقينه للمرة الأولى بحذر، لكنه يعجبك جدًّا وتستلذ به معدتك وتشعرين أن كل حواسك تنتشي بطعمه الجديد، الأمل يشبه الحب، يثير عصافير البطن ويجعل كل أطرافك متحفزة وعروقك نافرة وحاجبيك مرتفعين بدهشة لأن هناك ما يشبع القلب هكذا. لن يبقى لنا سوى هذا المذاق، لن يبقى لنا سوى النشوى، لن يبقى لنا سوى الحكاية التي سنحكيها لبعضنا البعض سواء نجحنا أو فشلنا.

مربي بائع غزل البنات ـ في الأغلب يعمل مرشدًا ـ وعرض عليَّ أن أشتري، اشتريت منه بجنيه فقاعة السكر الوردية وأنا أعرف أنه يستحق الجنيه، حتى وإن كان لا يعلم أننا نعلم أنه على الطرف الآخر من المعادلة، وقلت له مازحة: «غزل بنات بالغاز؟»، فرد ضاحكًا: «غاز ولَّا مش غاز المهم الجنيه»، أكلت ولحوست وجهي وأصابعي بالسكر، فكرت في الجنيه وبائع غزل البنات وهذا الشاب البعيد الذي

t.me/qurssan

بحمل العلم، الحدث الذي يأكل فيه الأشخاص غزل البنات وهم يستنشقون القنابل المسيلة للدموع، ربما لا يكون في النهاية بهذه الجدية! أفكر فيك وفي برد نيويورك وفي الثلج الذي في الأغلب تراقبينه الآن وأنت تقرئين هذا الخطاب الورقي العبيط، وأفكر في أحوالنا الآن وبعد سنوات وفي غرفتك البنفسجية وغرفتي القرمزية، وفي أصدقائي الجالسين على رصيف الميدان، وفي صوت سيارة الإسعاف الذي لا يتوقف عن الصريخ المستمر، وأقول لنفسي تلك أيام جميلة، عابثة وغريبة وسريالية، ولكنها جميلة، فكما تقول الست دومًا وأبدًا: «أنا لو أطول، ده اللي بقول، يبقى المنى ولو يكون وهم وظنون».

كوني بخير.

الزمالك ـ القاهرة

نوفمبر ٢٠١١

t.me/qurssan

عزيزي أبي،

لم أكن أريد أن أكتب لك هذه السنة، فلست متأكدة من قدرتي على تلخيص سنة كتلك الماضية، أيضًا أكره أن تفقد الأشياء معناها بسبب التكرار، لكني في اللحظة التي وصلت فيها لقرار عدم الكتابة وجدت نفسي أبدأ من جديد. ثماني سنوات مضت تمنيت في كل يوم أن تكون معي، ولكن في هذه السنة كدت أفقد عقلي في كل لحظة أستوعب فيها عدم وجودك لتشهد ما يحدث حولنا.

باختصار، وحتى لا أطيل مثل كل سنة، كانت هناك ثورة، بل ثورات، وكان لدينا نصيب منها، لم تنجح وربما نجحت، وربما نحن في المنتصف، والبعض يقول إنها مستمرة، لكنها حدثت ولم تكن أنت هنا.

حدث الكثير من الانكسارات في هذه السنة، كل انتصار صاحَبه انكسار وهزيمة، وصار الوضع كالمسابقة، من منا أكثر قدرة على رؤية السعادات الصغيرة، ومن منا لا يرى سوى الفشل فقط؟

t.me/qurssan

ربما تسيء الظن بي، ولكني لم أكن بهذا التشاؤم، بل ظللت أبحث عن إيجابيات الأحداث، ثورية كانت أو عادية، رأيت الانكسارات جميعًا بعيني، واقترب مني الكثير منها، كانت سنة عابثة، فقدنا فيها الكثيرين، فقدنا من لا نعرف عنهم سوى أسماء وتفاصيل قد ننساها فور معرفتها، وفقدنا العزيز والقريب والصديق. فقدنا الكثيرين، وأنت تعرفني، لا أتحمل الفقد، لا أتحمل الموت، لا أتحمل الغياب، ولذا كانت هذه السنة اختبار تحمُّل بالنسبة لي وليس لديَّ أدنى فكرة إن كنت قد اجتزته أم لا.

كانت هناك لحظات سعيدة، وكان هناك الكثير من الألم، وكان هناك الكثير والكثير من الفراق، وكانت هناك مشاعر سخيفة وموجعة، انتهت بدراما لا لزوم لها، ونهاية صداقات قديمة كُتب عليها الفشل منذ دهر، ولكننا نقاوم مثلما نفعل دومًا. أعرف أنك ستحزن وأنك ستلومني لأنني لم أعد أبذل مجهودًا، وأنني صرت أتعامل مع النهايات بلامبالاة وقسوة، لم تكونا قَطُّ من صفاتي. ربما تكون صائبًا، جميع الاحتمالات مفتوحة كالعادة، وغالبًا تكون أنت دومًا على حق. أعترف لك أني صرتُ قاسية، لا أعبأ بالدم، ولا أعبأ بلحظات النهاية. هذا ما فعلَتْه بي هذه السنة، ولكني ما زلت أرى قدرًا بسيطًا من الأمل في كل شيء، في كل التفاصيل وفي كل الحكايات.

وحشتني جدًّا، بالعربي وحشتني جدًّا، وحتى أظل في سياق ما أكتب: أفتقدك بجنون، أفتقد صوتك المتحشرج في الأزمات المتكررة وهو يشرح لي ما يحدث برزانة، وأفتقد حدتك وإيمانك في لحظات الحماس لشخص أو لموضوع، وأفتقد نظرة الطفولة

t.me/qurssan

المندهشة في عينيك وأنت تستمع إلى خبر جديد، وكم من أخبار جديدة هذا العام، وأفتقد وجودك حولي، على الرغم من أنك كنت موجودًا طوال الوقت وفي كل اللحظات، ومرة أخرى حتى لا أطيل عليك، سأجمع كل التفاصيل في نقاط:

١- حدثت ثورات في معظم البلاد العربية.

٢- حدثت ثورة ـ أو شبه ثورة ـ في مصر، لم تنجح ولم تفشل، وأعتقد ـ بينما أرتدي المنظار الوردي ـ أنها ما زالت مستمرة.

٣- دربت قفصي الصدري على استنشاق غازات مختلفة وعجيبة، وعلى الرغم من كثرة الغازات وتأثيرها المؤلم لم تصبني أزمة الربو ولا مرة واحدة في ٢٠١١، هل تعتقد أنني قد تعافيت من الربو المزمن بفعل قنابل الغاز؟

٤- فقدت بعض الأصدقاء بغير ندم، هي خطوة مؤجلة وأخيرًا حدثت.

٥- حطَّم أحد الأوباش قلبي في بداية العام، وكان هذا مؤلمًا.

٦- ازدادت قائمة أصدقائي بعشرات الأسماء، وكان هذا رائعًا.

٧- صنع أحد الأصدقاء منجنيقًا في أيام الثورة الأولى، وأعتقد أنني لن أرى شيئًا بهذه السريالية في البقية الباقية من حياتي.

٨- حدثت عشرات التظاهرات والاعتصامات، نجح القليل منها وخاب أكثرها، لم يكن هذا مؤسفًا لدرجة الإحباط ولكنه كان مخيبًا للآمال.

٩- احتل الكثيرون في العالم شوارع وميادين عدة، حالمون هم أو غاضبون، لا أعرف، ولكن يبدو أننا سنرى العجائب

t.me/qurssan

في السنوات المقبلة (لا تقلق سوف أحكي لك أولًا بأول وبالتفصيل).

١٠- تركت عملي وأنا ناقمة، والآن أنا بلا عمل. لماذا تركتُه؟

لم أكن أريد أن أشاهد الثورة في التلفزيون، وكان يجب أن أعود إلى القاهرة، يكفي الحظ الذي جعلني أوجد في الميدان في الخامس والعشرين من يناير، على الرغم من عدم إقامتي في القاهرة في السنوات القليلة الماضية، وأعتقد أنني فعلت الصواب. لا تنسني في دعواتك حتى لا أهيم على وجهي في الشوارع من الحاجة.

لا أكتب كثيرًا، وأمنع نفسي أحيانًا بالعافية من الكتابة، كتاباتي في الآونة الأخيرة تمتاز بالفراشات الوردية والكليشيهات والسنتمنتالية الزائدة، ولكن هذا حديث آخر. كانت تلك هي معظم أحداث السنة، من دون تفاصيل مبالغ فيها وبكل الاختزال ومن فوق الوش. أحكيها لك وأنا أكاد أكون جالسة على الكنبة نفسها بالاتكاءة نفسها والتصاقي بك نفسه كل صباح. بمناسبة الكنبة، هي ذهبت بلا رجعة ولم يعد هناك أي شيء باقيًا يُذكرنا بها أو بغيرها من حنين السنوات السابقة.

قبل أن أذهب لسنة جديدة، أقول لك ـ وباختصار أيضًا ـ إنني أتجول منذ أشهر قليلة في عوالم افتراضية حالمة ومبهجة، عالم يمتلئ بأشياء سعيدة وبلهاء، ولم أشعر بالندم بعد وما زلت أخطو في هذه المساحة، ربما أمشي ببطء كوني، ولكنني لم أعدُ في الاتجاه الآخر بعد. أعتقد وأتصور أنني غارقة في حب شخص ما، أعتقد أن

t.me/qurssan

هذا هو الحب بحذافيره وكليشيهاته وبلاهته وروعته ولطافته وعدم وضوح ما سيحدث في غدِه على الإطلاق.

بعيدًا عن الحب، فالإنجاز الحقيقي لهذا العام هو رؤيتي لفيروز على أحد مسارح لبنان. ضع الثورة جانبًا، وضع الربيع العربي على رفٍّ بعيد، وضع كل ما حدث في ٢٠١١ في درج أبعد، كاد قلبي أن يتوقف عندما رأيتها، وتمنيت أن تكون بجانبي عندما قالت بحسرة: «وينساني الزمان على سطح الجيران».

أرجو أن تقرأ رسالتي هذه وأنت مستلقٍ في جزيرة تمتلئ بالحسناوات، وأرجو أن تكون سعيدًا ورائقًا، وأرجو ألا تكثر من مشاهدة الأخبار على شاشة قناة «الجزيرة»، لا نريد مشاكل القلب القديمة أن تعود مرة أخرى.

ألف قبلة لك وحضن طويل لا ينتهي.

الزمالك ـ القاهرة

ديسمبر ٢٠١١

t.me/qurssan

عزيزتي جميلة،

منذ صحوت اليوم وأنا أستمع إلى وردة بلا توقف. لديَّ هذه البلاي ليست على «الساوند كلاود» التي أعود إليها عندما يغلبني الحنين إلى أغانيَّ المفضلة. فشلت تمامًا في أن أجعلك تحبين الأغاني القديمة التي تقريبًا لا أستمع إلى غيرها، وإن نجحت أمك أن تجعلك تحبين عمرو دياب وأن تحفظي كل أغانيه، حتى وإن كان هذا يجعلك غريبة في أعين صديقاتك بالمدرسة وفي دوائرك التي تقترب من المراهقة بخطوات مترددة. يخيفني حس المنافسة المبالغ فيه لديك، وأتمنى أن يقل قليلًا مع السنوات. عندما تغضب أمك منك وأبدأ في الكلام معك عن غضبها، تخبريني دومًا باكية أن مشكلتك ليست في أنك قمتِ بفعل يغضبها، ولكن في أن صورتك كابنة مثالية أو «The good girl» ـ حسب تعبيرك الإنجليزي ـ قد اختلت، وأن هذه الصورة عندما تهتز تشعرين بأنكِ خيبت أملها، أو تسببتِ في إحباطها بشكل ما. لن أكف عن أن أخبرك في مثل هذه المواقف أنك لست مجبرة على تحقيق هذه

t.me/qurssan

الصورة المثالية، لأننا بشر نخطئ ونخفق ونخيِّب آمال الآخرين فينا أحيانًا، أخبرك أيضًا أن هذا السباق الذي تلهثين بسببه طوال الوقت سيتسبب لك في نوبات من القلق والتوتر، نحن جميعًا في غنًى عنها، أحاول أن أشغِّل لك أغاني وردة، ربما تخفف من توترك، ولكنك تصرين على الجزع والعصبية والبكاء في أبسط المواقف. أحيانًا يثير بكاؤك استفزازي، وأجد نفسي أكلمك ببعض الحدة التي تثير أعصابك أكثر. أفكر أنني أكره أن أراكِ على هذا القدر من الحساسية المفرطة، وأكره أيضًا أن أدفعك إلى أفعال لا تشبهك، وأقول لنفسي إنني ربما يجب أن أتركك تفعلين ما تشائين وتستمعين إلى ما تحبين من أغانٍ، حتى وإن كنت أريد بشدة أن نتشارك كل شيء، هذه أنانية مني، وفرضٌ لكل ما أحب على شخصيتك العنيدة التي لا تسمح لأحد أن يغيرها أو يلونها كما يحب.

أكتب إليك هذه المرة بعد أحداث كثيرة ولا أعرف من أين أبدأ، ولكني أعرف أنني أحاول بكل قوتي السيطرة على الرغبة في حَكْي أشياء قد لا تهمك أبدًا، وعلى الرغم من هذا أجد نفسي أريد أن أحكي لك عن اليوم الذي وقفت فيه في أعلى أدوار الفندق الفخم الذي يطل على ميدان التحرير، أرى آلاف الأشخاص يحتفلون بفوز مرشحهم الانتخابي في مشهد لا أعتقد أنه سيتكرر ثانية في حياتي، ربما إن كنتِ محظوظة ترينه مرة ثانية، بل ربما تكونين وقتها أحد هؤلاء الأشخاص الذين يملأون الشوارع، ولكن بالنسبة لي لا أظن أنني سأراه ثانية. شعرت بكثير من المشاعر المختلطة وأنا أشاهد الاحتفالات التي استمرت طوال الليل بعد الإعلان عن فوز المرشح

t.me/qurssan

الرئاسي الذي تعرفين أنني لم أنتخبه، لا يوجد ـ تقريبًا ـ في عائلتنا من بهوى المرشحين ذوي التوجهات الإسلامية، وكان هناك الكثير من الإحباط عندما فاز الرجل الذي يبدو على قدر كبير جدًّا من انعدام الشخصية وانعدام الرؤية، ولكننا قررنا أن هذا ما أراد عموم الناس، وبالتالي يجب أن نصمت ونكتم إحباطاتنا في قلوبنا حتى وإن كنا لم نستحق هذه الهزيمة التي شارك فيها الكثيرون من الخبثاء، أو فلنقل من هم أكثر ذكاء منا. هناك الكثير من الاحتفالات اليوم، وأيضًا الكثير من الغضب، وأنا شخصيًّا لديَّ مزيج من الاثنين، بالتأكيد لا أشارك في هذه الاحتفالات، ولكن يوجد جزء ولو صغير بداخلي يشعر ببعض الارتياح لهذه النتيجة التي لا تتضمن أجزاء من نظام قديم شاركتُ ـ ولو بشكل بسيط ـ في التخلص منه. دعينا نعتبر اليوم مرحلة لمزيد من التغيير الذي سوف يحدث يومًا بعد يوم.

أكثر ما أخافني بينما كنت على سطح الفندق الفخيم هو الشعور الكاسح بالوحدة، هناك الآلاف من الأشخاص في الشوارع، وهناك أصدقاء يقفون معي بصمت كي نشاهد ما يحدث من بعيد، وهناك عائلة أحبها جدًّا تنتظرني في البيت، ولكني وعلى الرغم من كل هذا أشعر بوحدة فظيعة تكتسح كل شيء في طريقها. لا أعرف لماذا اتخذتِ الوحدة طريقها بكل هذه الثقة إلى قلبي، ولا أعرف لماذا أشعر الآن أن كلًّا منا يقف بلا أحد معه في اختياراته وفي آلامه، وأشعر أيضًا بإعياء غريب، وانعدام القدرة على الحركة على الرغم من أن العالم كله يتحرك حولي، وأشعر أنني أصبت بشلل من نوع خاص يُفقدني القدرة على الحديث وعلى التفاعل مع كل هذا الغليان بالشارع. كل

t.me/qurssan

شيء ينبض بالحياة من حولي إلا أنا، أفقد القدرة حتى على التنفس وأشعر بآلام مجهولة المصدر في صدري، وأخشى حتى الحديث عنها حتى لا يلتفت لي أحد من كل هؤلاء المشغولين في الأحداث.

أكتب لكِ كي أخبرك أن وردة ـ التي لم تفهمي أغانيها قَطُّ ـ قد رحلت منذ أيام، ولكن هذا لا يعني أن هناك دومًا فرصة كي تحبيها يومًا ما، وأكتب لك أيضًا كي أخبرك أنه لا توجد نهاية للحكاية وأن الحياة مليئة بالاحتمالات، منذ سنة واحدة كنت أكتب لك من مدينة بعيدة في بلد غريب، واليوم أكتب لك وأنت أكبر وأجمل مِن على بُعد كيلومترات قليلة، لأحكي لك عن عالم يتشقلب تمامًا بين ليلة وضحاها، فنحن في عالم رائع وغريب حتى وإن كان قاسيًا بعض الشيء، وأكتب لك كي أخبرك أنني أتمنى ألا تفقدي قدرتك على أن تتفاجئي بما يمكن أن يقدمه لك هذا العالم، وأن تقدِّري ما يمكن أن يعطيه لك من مفاجآت، وأن تحاولي دومًا ألا تدعي الوحدة تتمكن منك، وأن تظلي تشاهدين الكون بعينين نقيتين، يومًا ما سنجلس معًا كي أقرأ لك كلمات شاعري المفضل وهو يقول: «خليك على طول الزمان أخضر»، حتى إن لم تجدي كلماته فاتنة كما أراها، يكفي فقط أن تعطيها فرصة كي تنفذ إلى قلبك، تلك الفرص هي أحيانًا ما تدعنا نجد أبوابًا جديدة لحياة كل أملنا ألا تفقد سحرها يومًا ما.

محبتي.

المعادي ـ القاهرة

يونيو ٢٠١٢

t.me/qurssan

عزيزتي كارمن،

أكتب لك اليوم بعد أن قضيت عددًا لا بأس به من الساعات أدعبس وأبحث في أوراقي القديمة. أنت تعرفين عادتي ـ التي تسمينها «المدرسة القديمة» ـ في الاحتفاظ بالورق. أحتفظ بأظرف خطابات قديمة، وصور باهتة جدًّا كادت أن تفقد ألوانها، وكروت لمناسبات مختلفة يزيد عمرها عن العشرين سنة، يبدو أن أشخاصًا قد كتبوا عليها وعودًا بالبقاء حتى نهاية العمر ولا أتذكر حتى أسماءهم، ورسومات بألوان خشبية يبدو أنك رسمتِها في زمن قديم وأهديتِها لي يومًا ما، بل وأحتفظ ببعض خطاباتك لي عندما كنا نتعارك فتكتبين لي بعقلانية شديدة عن أسبابك، ثم تعديني أن هذه المشكلة لن تتسبب أبدًا في التأثير على علاقتنا التاريخية. أتصور اليوم أنني لم أكمل أي شيء في حياتي سواك، ولم تكتمل أيٌّ من صداقاتي ولم تكتمل معرفتي بأشخاص ولم يكتمل عملٌ ولم تكتمل شخصيةٌ في رواية، وبالتأكيد لم تكتمل ثورة. مررت اليوم ـ قبل أن أبدأ في كتابة هذا الخطاب ـ

t.me/qurssan

بكتاباتي وصوري مع أصدقاء وأحباب قُدامى، وقفت عند نهاية السنة العابثة الماضية التي أعطتنا كل السعادات الممكنة فقط لتخبرنا أننا سنضيعها بحماقاتنا المعتادة، أو ستضيعها الحياة لنتعلم أنها ليست عادلة وأن قدرتنا على مواصلة السعادة محدودة.

الكتابة لك اليوم ليست سهلة، في يناير الماضي كنت أعمل بجدية شديدة، كنت أقوم بأشياء ظننت أنني لم أعد قادرة على فعلها، ربما بسبب المجهود الكبير الذي بذلته ـ أو ظننت أنني بذلته ـ في السنة الماضية، وكنت أعمل وأسافر إلى قرًى لم أعرف بوجودها من الأساس، نصور الكثير والكثير من اللقطات، ظننا أننا ربما نستطيع أن نحرك العجلة التي تسحقهم وتسحقنا. في بداية شهر فبراير جاءتنا أخبارُ ما حدث في بورسعيد، وجاءتني مكالمة باكية من إحدى الصديقات لم أفهم منها شيئًا سوى: «افتحي التلفزيون حالًا». استأذنت صاحب الشقة المتواضعة التي كنا نقوم فيها بتصوير إحدى الحكايات التي لا تنتهي، وفتح تلفزيونه البالي بترحاب وحميمية. جلسنا جميعًا أمام شاشة التلفزيون نشاهد لقطات لم نفهمها وقتها، لمطاردة ممنهجة تحدث في استاد بورسعيد لكرة القدم. كانت القناة التلفزيونية تنقل الحدث تقريبًا بلا تعليق يُذكر، فقط رأينا الكثير من الدماء، والكثير من الشباب الصغير يحاول التشبث بباب ضخم مغلق بأقفال وجنازير حديدية مخيفة، تضع فصلَ نهاية واضحًا لحياة العشرات.

في سنوات ماضية لم أكن أخاف الموت لهذه الدرجة، بالطبع أخاف الموت، الموت له هيبته ومن لا يخاف شديد الحمق أو شديد

t.me/qurssan

الإيمان بأشياء لا أعرف عنها شيئًا بعد، ولكن دعيني أخبرك أن الموت في هذا اليوم كانت له رائحة استنشقتها وأنا في قرية بعيدة عن دمائه وقسوته، لم أتعود بعد على رؤية الموت بهذا القرب، حتى وأنا أقف قبل هذا اليوم بأشهر قليلة على كوبري أكتوبر بوسط القاهرة أشاهد أشخاصًا يتساوون بالأرض أمام مبنى ماسبيرو على بعد خطوات مني، لم أتعود رؤية هذا الكم من الدماء بعد، حتى وأنا أشعر بفزع هائل من هذه المشاهد التي لا أعرف كيف سأستطيع أن أمسحها من رأسي. هل نعود للحياة العادية من جديد بعد أن رأينا ما رأينا؟

أصبح الموت يكتسح كل شيء من أمامه كالجرافة، أخبرني شاب صغير السن بعد أيام: «إن جالك الطوفان حط ابنك تحت رجليك»، وسألته وقتها ماذا إن لم يأخذك الطوفان وأخذه بدلًا منك، هل ستستطيع أن تكمل الحياة كأن شيئًا لم يكن؟

لم يستمع أحد إلى كمِّ الصراخ الذي انطلق في بورسعيد وماسبيرو، لأن الصرخات توقفت بعد قليل. هذه مجازر تليق بكتب «ماركيز»، وتليق بعوالم «كافكا» المغرقة في السوداوية، ولم نتخيل قَطُّ أن تحدث هنا، في وسط المدينة، في الشوارع التي نقطعها كل يوم في مشاوير عادية جدًّا، أو في استاد كرة قدم نذهب إليه كي نشجع فرقنا في اطمئنان.

ذهبت إلى شقتي الصغيرة لأتابع ما يحدث على شاشات التلفزيون، وذهب الكثير من أصدقائي إلى المستشفى للتبرع بالدم من أجل فرص واهية لتقليل عدد الأموات. لم أستطع أن أذهب إلى المستشفى، كان هذا فوق احتمالي كما تعرفين، وإن كنت رأيت نظرات الهلع

t.me/qurssan

على وجوه بعض الأصدقاء الذين كانوا بالحماقة الكافية للذهاب، تلك النظرات التي لم تختفِ من أعينهم بعد أن خرجوا من أروقة المستشفى الموحشة. هل سننسى ما حدث ونعود للحياة وندعها تكتمل بعد ما حدث؟ هذه أسئلة لا تجيب عنها سوى الأيام.

نحن لا نفعل شيئًا على الإطلاق، نستمع إلى الصراخ، ونشاهد ما يحدث من على بعد مسافة معقولة حتى لا تصيبنا شظايا المعارك التي لم نعرف أنها أكبر منا بكثير، بعضنا يحاول الاقتراب أكثر من غيره، ولكننا ـ وبشكل عام تمامًا ـ نكاد لا نفعل أي شيء.

لماذا أرغي كل هذا الرغي اليوم؟ أردت أن أتصفح قصاصاتي القديمة وصورنا معًا، وأكتب لكِ عن أسفي لكل ما هو غير مكتمل، لم أجد علاقة مكتملة سوى علاقتنا، لذلك أحكي لك عن كل هذا، ولم أجد أيضًا أفضل من خطابي المعتاد لك لأحكي فيه لك أنني لا أريد أن تصبح خطاباتنا مثل هذه القصاصات، في يوم ما كنا نتحدث عن الحب وعن جحوظ الأعين والفراشات الملونة وعن التجاعيد التي أصبحت تغزو وجوهنا عندما نضحك، وعن ارتباط كل الأشياء ببعضها، عن شكل وجوهنا في ثلاثينيات العمر والخطوط الرفيعة على جباهنا، عندما كانت أكبر مشاكلنا أننا لا نشرب كميات كافية من المياه لتحمينا من العَجَز المبكر.

لن أكذب، وقفت بالأمس أمام المرآة أتفحص عينيَّ، وأتفحص الخطوط الرفيعة التي ظهرت مؤخرًا على جبهتي. نحن نخاف من عَجَز وجوهنا الذي يرتبط ارتباطًا شرطيًّا ومباشرًا بكل ما يحدث حولنا. أشاهد فتيات وأولادًا يمشون في خطوات متقافزة وسريعة

t.me/qurssan

من حولي، في حين أمشي أنا بخطوات بطيئة ومحسوبة بينما أستمع إلى الست وهي تقول بأسى يكسر قلبي: «وكان منايا يدوم هنايا، ما دامش ليه؟». أما أنا وأنتِ فسيتحول شَعرنا كله للون الأبيض وسيتجعد جلد رقبتينا، وسنصاب بكل أوجاع الفقرات والقولون في ثلاثينياتنا، بعد أن أنهينا كل رصيد الأمل في مراحل مبكرة جدًّا حتى أصابتنا الشيخوخة المبكرة. لا تنسَي أن تسألي عن أسعار «البوتوكس» عندكم، ربما أحتاجه لملء الفراغات التي تنتشر بحماس بين خطوط جبهتي، ربما حان الوقت لكي نستعين ببعض المساعدات الخارجية، على الأقل حتى لا تصدمنا وجوهنا في المرايات على الرغم من كلام الجميع أننا ما زلنا شبابًا، ربما يساعد «البوتوكس» وعمليات التجميل البسيطة على نسيان ما حدث وما رأيناه مرارًا وتكرارًا.

محبتي.

الزمالك ـ القاهرة

يوليو ٢٠١٢

t.me/qurssan

عزيزي أبي،

توجد أشياء كثيرة أحكي لك عنها هذه المرة، فالسنة لم تكن هينة. يقولون إن نهاية العالم آتية في غضون أيام، وإن حدث فليكن، ننتظر النهاية بصبر مثلما نفعل منذ الأزل.

أحكي لك اليوم عن لعبة خطرة لعبتُها في السنة التي قاربت الانتهاء، أحكي لك عن اليوم الذي ذهبت فيه إليك وهززتك بعنف كي تستيقظ من نوم دامَ تسع سنوات، عندما جذبت يدك سريعًا وانطلقنا معًا في الشوارع التي تعرفها، أحكي عن شقتي الصغيرة، وأحكي عن مرورنا معًا على كل المقاهي الجديدة التي اعتدت الجلوس فيها منذ خلدت أنت للنوم، وأحكي لك عن ميادين ثورية وانهزامات، وعن صوت موسيقى عبد الوهاب نسمعها معًا، وأحكي عن طوابير مهزومة وصناديق خائبة وشباب على الأعناق وآخرين في توابيت خشبية، وأحكي لك عن العشاء الذي أعددته لك وعن أنفاسك المتلاحقة، وأحكي لك عن تعبي وخوفي على الصغير، وأحكي أيضًا عن دموعك

t.me/qurssan

عندما رأيته ناضجًا كبيرًا، ليس طفلًا مكسورًا كما تركته، وأحكي لك عن الكبيرة وهي تلاحقنا بقلقها وحماسها وغيظها أحيانًا، وأحكي لك عن أيام متعبة، وعن أرصفة جمعتني بك وأنا أرغي بكلمات متلاحقة عن الثورة والراحلين والاستقرار في القاع، وأحكي عن لعبة خطرة لعبتها وأنا أعرف أنها قد تلقي بي في حفرة عميقة.

لم يتغير الكثير، أقول لك هذا في كل خطاب وكل مناسبة، لم يتغير الكثير، فقط زادت الهزائم وزاد الاغتراب، مات الكثيرون وسيموت آخرون، واليوم بينما أتحدث إليك، سيصطفون هم حول صناديقهم وسياساتهم ليهدوا إلينا في النهاية هزيمة جديدة.

وهذا كله لا يهم، لا شيء يهم.

أحكي لك عن إنجازاتي هذا العام، ما زلت أتنفس وأتحرك ـ أحيانًا ـ من مكاني، ألست فخورًا بي؟

ألعب الألعاب الخطرة ثم أستقر من جديد على رصيف ما، في مكان ما، أستقر لحظات في مكاني وأرقُب قفصي الصدري بثبات، ما زال الوغد بالداخل ينبض للأسف.

أنظر إلى السنة الماضية وأخبرك أنني لعبت لعبة خطرة، لعبت هذه اللعبة لك وحدك وليس لأي شخص سواك. لا أعرف لماذا قررت في هذا اليوم أن أشدك من مرقدك وأن أذهب بك إلى كل التفاصيل، كلها، نزورها معًا ونمُر عليها ونشير إلى أبطالها، فتلومني حينًا وتضحك عليَّ أحيانًا وتحتضنني دائمًا. أدين لك باعتذار عن اختيارات خاطئة ـ كثيرة جدًا ـ قُمت بها في السنة الماضية، أكبرها الأخطاء الثورية وأقلها الاختيارات الحياتية، وأعرف أنك في لحظة

t.me/qurssan

ما كدت تقفز من مرقدك لتوبخني على اختياراتي، لكنك تعرفني، سأظل أخطئ حتى النهاية وأعود لأعتذر بخجل.

هي الدائرة نفسها، مثل تلك الغنوة التي تعجبنا في لحظة ما فنظل نسمعها حتى تصبح قبيحة مملة، وهي الدائرة نفسها من الأخطاء المتتالية، والاختيارات العبيطة، والأحلام المتوازية التي كادت أن تنفد من فرط ما استهلكناها في فترة قياسية، وهي الدائرة نفسها من الراحلين بقسوة، هم يرحلون بدأب، ونحن نشد أكمامهم مذعورين حتى لا يبتلعنا الاغتراب مرارًا وتكرارًا، وهي الدائرة نفسها التي قد تأخذنا يومًا إلى التبلد، وأنت تعرف هذا جيدًا، الفقد يؤدي إلى التبلد، حقيقة لا مفرَّ منها، ونحن فقدنا الكثير ونقف اليوم على حافة التبلد.

لم أعد واثقة أنك تحتسي المشروبات الدافئة مع حسناوات في أماكن سعيدة، وأعتقد أنك غالبًا تجلس على كنبتنا الزرقاء ـ بالتأكيد تتذكرها ـ تجلس عليها ولا تتكلم مع الآخرين، فقط تقلب محطات التلفزيون بملل وتفرد ذراعك منتظرًا حتى أعود إلى مجلسي القديم بجانبك، فتثني ذراعك وتحتضنني وننتظر معًا نهاية العالم بارتياح.

الزمالك ـ القاهرة

ديسمبر ٢٠١٢

t.me/qurssan

عزيزتي كارمن،

نفذت بجلدي.

أكتب لك هذا الخطاب لأخبرك أنني قد نفذت بجلدي، أخيرًا استكملت أوراقي وقطعت تذكرة الطيران، والآن أكتب لك بعد أن استقررت في الفندق الذي سأقيم فيه في شهري الأول بهذه المدينة، الفندق يبدو كئيبًا بعض الشيء، لا أحب إضاءة النيون فهي تشعرني بالبرد الشديد حتى وإن كانت درجة الحرارة بالخارج تتجاوز الأربعين درجة مئوية. توجد بالغرفة طاولة صغيرة وأباجورة ودفتر للكتابة وشاشة تلفزيون حديثة، وبها ما يكفي من المساحة لأنام وأضع ملابسي وأشيائي القليلة. أنت تعرفين أنني أسهل من يسافر، أستطيع دومًا التعزيل من بيت لبيت ومن بلد لبلد في ثلاث ساعات، وأستطيع أن أحمل كل حاجاتي في حقيبتَي سفر لا أكثر، واستطعت أن أُعلم نفسي أن أحمل عالمي كله وكل ما يهمني أمره في حقيبتين، المهم أنني نفذت بجلدي وبعالمي الصغير وتركت

t.me/qurssan

العالم المتهدم خلفي. أكاد أسمعكِ تسألينني عما سأفعله في هذه المدينة الحارة، وردًّي أنكِ أصبحتِ سخيفة، سأعمل بالطبع، أتتني هذه الفرصة بلا أي مجهود، فقط أشخاص يرشحون اسمي لإتمام مشاريع ما يعتقدون أنها مهمة بشكل ما، وأهز أنا رأسي ولا أساوم كثيرًا بخصوص المال، وأسألهم فقط عن المواعيد، أحضر أوراقي في وقت قياسي كي أخرج منها سالمة.

أصبحت القاهرة طاردة بشكل غير عادي، أصبحتُ أخاف المشي في الشارع، حتى الشوارع التي تحفظ وجوهنا أصبحت مرعبة، وأصبحتُ أتخيل أشياء مخيفة جدًّا مثل انفجار السيارات من حولي، أو وقوع لوحات الإعلانات على رأسي أنا بالذات، وأصبحت أخاف التظاهرات أكثر بكثير منذ أصبح الجميع متشابهين، يرتدون الملابس نفسها ويحملون الملامح نفسها ويصيبون بعضهم بعضًا الإصابات نفسها تقريبًا. لم أعد أستطيع أن أمشي بالراحة والثقة نفسيهما، وأصبحت أكثر تربصًا وتحفزًا، صرت أتوقع الهجوم من أي شخص وأي شيء. لن أحدثك عن الأشخاص الذين يريدون الفتك بالفتيات طوال الوقت في الشارع، فهذا ليس بجديد، ولكن الوضع أصبح أكثر سوءًا، وهؤلاء الأشخاص أصبحوا أكثر شراسة وأكثر عنفًا، ولم أعد أستطيع أن أتحمل حتى الجلوس على المقاهي، وأعتقد أنني أكرهها الآن بشكل ما، لم يعد هناك مكان آمن وفي الأسابيع القليلة الماضية لم أخرج من بيتي إلا لشراء بعض الضروريات أو دفع بعض الفواتير المتأخرة.

لم أترك شقتي الصغيرة بعد، ولا أعرف متى سأعود، وأخشى

t.me/qurssan

ألا تعجبني هذه المدينة على الرغم من هدوئها الواضح، ربما لهدوئها الواضح؟ لا أعرف، ولكنني لا أعتقد أنني ما زلت بهذه الجرأة التي تجعلني أتخلى عن كل شيء، وأنسف حمامي القديم بهذا الاندفاع. الآن نحتاج لبعض التروي والهدوء ونحن نتخذ القرارات حتى وإن كانت ضرورية ولا مفرَّ منها.

كانت الفترة الماضية كالجحيم، الكثير والكثير من الرغي في جميع الدوائر، صخبٌ غير عادي وعوامل كثيرة تدفع بالجميع في مسارات مخيفة، لا أعلم إن كانت صائبة أم لا. فقط أُصبت بقبضة القلب التي عرفين أنها أبدًا لا تخيب، ولم أشارك في التظاهرات التي حدثني قلبي أن آخرتها وحشة، وأنها لا تشبه ما كنا نفعله في السنتين الماضيتين. لم أشارك، ولامَني الكثير من أصدقائي، ولم أهتم واستفتيت قلبي ولزمت بيتي وهربت بعد أسابيع قليلة إلى هذه الغرفة وأضوائها البيضاء. ذكَّريني أن أطلب منهم أن يقوموا بتغيير اللمبات إلى أخرى ذات نور أصفر حتى لا أُصاب بالصداع وبالاكتئاب.

أستمع ـ بمصادفة غريبة ـ وأنا أكتب لكِ هذا الخطاب لأم كلثوم على شاشة التلفزيون الكبيرة وهي تقول: «بيني وبينك هجر وغدر وجرح في قلبي داريته». كدت أكسر مائة زير وأنا أغادر القاهرة، لماذا لا تصدقينني؟ فعلت بنا تلك المدينة ما فعلت وكسرت ما كسرت، ودفعتنا إلى أن نصبح غرباء فيها بعد أن كنا نتونَّس برائحتها حتى وإن لم تكن عطرة. لم أعد أتحمل هزائمها وصخبها وتوحشها الذي يزيد كل يوم، ولم أعد أحتمل كل شيء يُذكرني بهزائمنا وغرورنا عندما تصورنا أننا نستطيع تحريك هذا الفيل الضخم من مكانه، بينما نحن

t.me/qurssan

في حجم نملة تافهة، لم تفعل أي شيء سوى قرصه في لباليبه قرصةً لم تسبب له سوى ألم محدود، ففعصها في انتقام متوحش. أصبحت أشعر أنني أشبه الأسير الذي يغمي المختطفُ عينيه ثم يقول له إنه سيطلق سراحه ويتركه ليجري بعيدًا، ثم يطلق على ظهره رصاصة ليتلذذ بقتله من دون رحمة. في الأسابيع الأخيرة أشعر أنني تلقيت الرصاصة الغادرة عشرات المرات في عشرات السياقات، لكنها فقط لم تكن رصاصات قاتلة، بل تركت كلُّ رصاصة ندبة غائرة مؤلمة، أتعشم أن أداويها وأنا على بعد آلاف الأميال من المدينة التي تقتل أصحابها.

تظنين أنني لن أحتمل الابتعاد ولن أحتمل المدن الهادئة التي لا يحدث بها شيء يُذكر؟ دومًا تظنين بي الظنون، وأنا هذه المرة لا أعرف إن كنت سأنجح في البعد عن زحام القاهرة القاتل ونشرات أخبارها الخرائية وكل ما يحيط بها من تخبط وعبث، فقط أتمنى أن أستمر في هذه الهدنة حتى يزول من قلبي أثر هزائمنا الأولى، أتمنى أن أستطيع أن أمحو مخاوفي التي حولت الأيام إلى عبء ثقيل، يشبه قالب الأسمنت الذي يجثم على رأسي ويصيبني بصداع ودوار مستمرينِ لا يزولان، أتمنى أن أنجح في البعد عن سمومها وسحرها، وألا أضطر للملمة الحقيبتين اليتيمتين وأعود أدراجي حاملة كل هذا الحنين لرائحة قمامتها التي أصبحت جزءًا من تكويني، أو فقط أتمنى أن أعود بلا كل هذه المخاوف وبلا لوحات إعلانات تقع على رأسي لتحطمه إلى مائة قطعة، وبنوع من الذكاء أتمنى أن أطوره بعيدًا عن الصخب الرهيب الذي يمنع أي شخص عاقل من التفكير بشكل

t.me/qurssan

سليم، وأتمنى أيضًا أن أكف عن الحلم بغد أجمل، وأن أصل إلى تلك النتيجة الجميلة التي تقول إننا يجب أن نقبل من نحب بعبله وقرفه، فأكف عن تخيُّل حياة أفضل تصلح للبني آدمين، بل أحيا من دون توقعات ومن دون أمل، وبكل الانبطاح المسالم المحبب للنفس.

نحن نكِرة يا عزيزتي، الحمد لله أنني أعرف أنني نكِرة، لا أؤثر في حدث ولا أجلس على كراسيَّ مهمة أتخذ القرارات، وكل ما أريده هو أن أصل إلى السلام الداخلي الذي يجعلني أتقبل المدينة الهادئة الخالية من الأحداث، أو المدينة المتوحشة التي تحمل كل أحلام الحالمين حتى وإن قتلتها قتلًا، أكتب لك وأتذكر كلام عمنا فؤاد حداد الذي لا أجد غيره ليقول كل ما في قلبي:

يا قاهرة حِنِّي على مسافر
من كل حبة رمل قلبه انصلَبْ
راسُه انحنت زي اللي بيذاكر
زي الحصان في المعجنة داير
زي العجوز زي اللي غاوي الأدب

لكِ سلامي من درجة حرارة تصل إلى الخامسة والأربعين في الخارج، وإلى الثامنة عشرة بفضل مكيف الهواء داخل الغرفة ذات الإضاءة البشعة، وسلامٌ من الست وهي تقول لكِ بيأس: «كفاية بقى تعذيب وشقى».

المدينة القديمة بالدوحة ـ قطر
أغسطس ٢٠١٣

t.me/qurssan

عزيزتي جميلة،

لا أستطيع الكتابة لكِ هذه السنة، فقط لدواعي التذكِرة وعدم النسيان دعيني أخبرك أن هذه السنة هي من أسوأ السنوات التي مرت بي، سنةٌ مليئة بالموت والخراب والدماء والرحيل والهزيمة، سنةٌ سندفع ثمنها من دمائنا وسنظل نادمين على كل ما فعلناه فيها، حتى إن استطاع بعضنا أن يختبئ في ركن بعيد من العالم من كل هذا الدمار.

ولعشرات الأسباب لن أستطيع أن أكتب لكِ التفاصيل هنا، ولكن مَن يعرف؟ ربما أستطيع يومًا ما، عندما تخفُّ المرارة في حلقي، أن أحكي لكِ عما حدث، ربما.

المدينة القديمة بالدوحة ـ قطر

سبتمبر ٢٠١٣

t.me/qurssan

عزيزي أبي،

عشر سنوات، تخيَّلْ؟ اليوم تمر عشر سنوات على رحيلك. تخوننا الذاكرة فنتصور أحيانًا أن ما مضى فقط تسع سنوات، إلى أن نتذكر سقوط بغداد وحرب العراق التي تزامنت مع مرضك الأخير الذي لم تعد منه قَطُّ.

وكعادة السنوات الأخيرة، لم تكن ٢٠١٣ بالسنة السهلة، هذه السنة بالذات تفوح منها رائحة الدم، مئاتٌ من الأموات والمسجونين والمغدور بهم والخونة، دائرة لعينة من الخيانة والموت والتشفي ندُور فيها منذ آخِر مرة كتبتُ لكَ فيها في ديسمبر الماضي، حفرت آثارها بداخلنا، أعرف جيدًا أننا لن نتعافى من هذه السنة أبدًا.

لم يتغير الكثير، ما زلت مستمرة في عملي نفسه، فقط تخلصت من الهزائم العاطفية السخيفة التي حكيت لكَ عنها في السنتين الماضيتين، لأقفز بكل حماس إلى عالم جديد، أصعب وأكثر تعقيدًا، وربما يكون أقل لزوجة وأعقل قليلًا من الحدوتة الماضية. أما جميلة

t.me/qurssan

فأصبحت الآن في الحادية عشرة من عمرها، وأصبحت أيضًا دودة قراءة تحمِل جيناتك بوضوح، تلتهم الكتب الضخمة في زمن قياسي، لدرجة أننا جميعًا نتضاءل عندما نقارن أنفسنا بها.

ما زلتُ غير مستقرة، أحافظ فقط على الوضع الحالي قدر المستطاع، لا أعتقد أنني أستطيع تحمُّل أي انهيارات أو نكسات جديدة، تكفينا نكسات اختياراتنا الحياتية. أنت تعرف كمَّ القرارات المُتخبطة التي كلفتني الكثير في الماضي القريب. أُمارس طقسًا جديدًا في هذه الفترة، هل تذكُر اللحظات التي كنتَ تجلس فيها على ذلك الكرسي في سفرة بيتنا القديم وتصمت تمامًا وتغلق عينيك، حتى تذهب إلى المكان البعيد الذي لا ترى فيه سوى الجمال، ولا تسمع سوى صوت الصمت؟ أحاول أن أفعل هذا عندما تضيق بي الدنيا من عصبية وتوتر ونَفْر عروق، وأحاول أن أُقلد طقسك التأمُّلي قدر المستطاع، خصوصًا عندما لا تقاطعني رنات التلفون وجرس المنزل وضوضاء الشارع والصور القبيحة التي تهجم فور أن أغلق عينيَّ.

ما زلت أستطيع أن أستحضر رائحتك، وأشعر بانتصار رهيب عندما أنجح في سماع صوتك في أذنيَّ. أراك كثيرًا وأشعر بك طوال الوقت بشكل مادي وحقيقي، وليس كشبح رَحَل عن العالم منذ عشر سنوات.

موضوع العشر سنوات يزعجني ويقلقني بشدة، أنا أتذكر التفاصيل كلها وكأنها البارحة، يرفض مُخي تصديق مدة العشر سنوات، وعلى مستوًى آخر أشعر أن عشر سنوات مدة طويلة جدًّا، تجعلني أتساءل كيف احتملت عدم وجودك، كيف احتملت هذا الشعور بالفقد لعشر

t.me/qurssan

سنوات كاملة. لا أعرف، ولكنني أعرف أن جزءًا مني قد رحل تمامًا معك، وأعرف أنني لم أعُد الصَّبية نفسها التي ترتكن إليك بثقة عمياء، وتدفع العالم أمامها بحماس وعنف وكلها ثقة أن هناك من يحميها. الزمن لا يداوي، نعرف جميعًا أن الزمن لا يستطيع أن يعيد إحساسًا مفقودًا بالأمان، أما عن الفتاة المطمئنة الآمنة فقد ذهبت إلى الأبد حيث ذهبت، ولا أعتقد أنها ستعود أبدًا.

لا توجد لديَّ إنجازات في هذه السنة سوى أنني زرت بلدًا جديدًا للمرة الأولى، وكدت أموت كمدًا وحزنًا لأنك لم تكن معي. تجولت في شوارع لندن التي حكيتَ لي عنها كثيرًا، وقفزتُ انبهارًا بالشوارع والمباني القديمة العظيمة، وذهبت إلى متحف «البيتلز» وأخذت الكثير من الصور، ووشمت جملة على كتفي اليمنى وأنا أفكر فيك. أعتقد أنك ستحب وشمي الآخر أكثر، فهو من أغنيتنا المفضلة للست، وكلانا يعرف كم تحب الست. أيضًا ذهبت لزيارة كارمن منذ أشهر قليلة، وهي تُسلم عليك كثيرًا ودمعت عيناها بتأثر عندما رأت صورتك على تلفوني كما هي منذ سنوات طويلة.

وبعد مرور عشر سنوات كاملة، أريد أن أُخبرك أنني لم أعُد هذه الفتاة الناشفة العفية التي تركتَها ورحلتَ، أراني اليوم بوضوح، أراني اليوم من دونك، وأتذكر عندما كنت بذيل حصان طويل، وظهر مفرود، وخطوة قوية يسمعها السامعون من على بُعد عندما كنتَ بجانبي. أعرف اليوم حرفيًّا معنى انحناءة الظهر، وأعرف ماذا تعني السعادة غير المكتملة، وأعرف أنها لن تكتمل أبدًا، وأعرف أن ثلاثتنا سيظل يبحث عنك في ذكريات ماضية وسنوات كانت مكتملة السعادة لأنك

t.me/qurssan

كنت جزءًا منها فقط. كبرنا جميعًا وأصبح الصغير عريسًا والكبيرة أمًا لأطفال غير عاديين، وما زلنا لا نستطيع فَرْد ظهورنا ونفعل ما نقدر عليه عندما ننظر في الصور فقط، نراك فنعرف أننا كنا سعداء يومًا ما.

في كل سنة، وفي مثل هذا اليوم، أرى الرحيل أمرًا محببًا وجميلًا، أنتظر يوم لقائك من جديد، وأنتظر أن نلتقي مرة أخرى فأحكي لك صوتًا وصورة عن كل ما حدث منذ رحلتَ، وأنتظر لحظة اجتماعنا من جديد لأشم رائحتك بعمق وأستمع إلى تعليقاتك اللاذعة على الجميع، عم نجم ذهب إليك من كام يوم بجملة ما فقدناه في هذه السنة التعيسة، أرجو أن يتكفل هو بحكي ما فاتك من أحداث حتى أراك.

وحشتني جدًا، وأعرف تمامًا أنك تعرف هذا وتشعر به، لا تقلق علينا، نحن نعافر حتى وإن كنا منهكين ومتعبين من فَقْدك منذ عشر سنوات. لا تقلق، هناك هؤلاء الأشخاص الذين يظهرون فجأة في حياتنا لجَعْلها أفضل، وليزيلوا آثار من يجعلون الحياة كالجحيم وهُم كُثر. لا تقلق، ما زلنا نقاوم ونحاول ونمشي في الدنيا بالطول والعرض، ولا تحزن لأن أفراحنا منقوصة، فقد تعودنا هذا منذ رحيلك.

أرجو فقط أن تنظر إلينا كل فترة، لا أعرف الظروف عندك، ولكنك تستطيع استقطاع بعض الوقت لزيارتنا والنظرَ إلينا من وقت إلى آخر. مش مهم تقرا الجرايد، هي مملة وسخيفة ولا يوجد بها سوى الغم والنكد وأعداد القتلى المغدورين.

وأخيرًا، أريد فقط أن أخبرك أنك معي طوال الوقت، أحكي عنك للجميع، وهم لا يصدقون أن عشر سنوات قد مضت. سألني

t.me/qurssan

صديقٌ منذ فترة: «ما زلتِ تكتبين عنه باللهفة نفسها بعد مرور كل هذا الوقت؟»، لم أردَّ، هو لا يعرف وأنا لا أستطيع الشرح، فقط أردُّ بمزيد من السطور التي أعرف أنك تراها وتشعر بها.

خذ مني «حضنًا طويلًا جدًّا»، وقبلة على كتفيك ولُكاميَّة بسيطة ولكزة في الكوع على سبيل الدلع، وثِقْ أن يوم اكتمال السعادات المنقوصة جميعًا سيكون فقط يوم اللقاء من جديد، ولو بعد حين.

الزمالك ـ القاهرة

ديسمبر ٢٠١٣

t.me/qurssan

عزيزتي كارمن،

أكتب إليكِ اليوم من غرفتي القرمزية الصغيرة، التي لم تأت الفرصة لتريها حتى اليوم إلا في الصور التي أُرسلها إليكِ بالبريد المستعجل، أكتب إليكِ على الرغم من «إن مليش نِفس للكتابة» ولمُعظم الأشياء التي تتطلب مجهودًا ما، المهم أنني أكتب إليكِ، أكتب إليكِ على الرغم من الغم والهم وتلك السخافات التي يمتلئ بها العالم من حولنا، أكتب إليكِ وخلاص.

اليوم أريد أن أكتب لكِ عن النهايات، رأيت في السنوات الماضية عددًا لا بأس به أبدًا منها، وأنتِ تعرفين جيدًا يا عزيزتي أن هذا الكم الكبير من النهايات لم يكن سهلًا علينا قَطُّ.

أنتِ لا تتذكرينا منذ سنوات، حينها كانت تنتهي القصة فنأخذ قرصين من الأسبرين ونبكي ربع ساعة ثم نغفو ونصحو بنشاط لنذهب إلى أعمالنا وأشغالنا، ولا تتذكرين هذا الزمن الرائع عندما كانت القصة تأخذ قدر حجمها بالضبط بلا مبالغة وبلا دراما وبلا دماء

t.me/qurssan

، أمراض عضوية ونفسية. ودعيني أُذكرك، كان هذا زمنًا رائقًا، لم تتجعد فيه وجوهنا، ولم تتلاحق أنفاسنا في نوبات من الخوف والقلق، ولم نخبط رؤوسنا في الحيطان المحيطة بالأسرَّة التي نرقد عليها كالموتى، ولم تتشنج أطرافنا في حالات تُشبه الشلل، وبالطبع لم نبكِ أنهارًا وبحارًا، كنا أشخاصًا طبيعيين للغاية. انتهت القصة؟ نعرف أنها النهاية ولا نتأثر لدرجة المرض، نغضب بالقدر المضبوط، ونحزن بالقدر نفسه، ونحاول على استحياء ونكتئب قليلًا ثم نشرب دوبًا من الماء ونستمر في حياتنا. عادي يا صديقتي، كانت الحياة بسيطة وكنا بشرًا على قدر كبير من العادية، ودعيني أخبركِ أنني ـ بكل جدية ـ لا أعرف ما الذي حدث فجعلنا على ما نحن عليه اليوم.

وأنا أكتب لكِ اليوم لأُذكرك بما تحاولين أن تنسيه، أُذكرك بالأُولى التي ظلت أيامًا تخبط رأسها في حاجز السرير وتنشج مقهورة أثناء النوم، وأُذكرك بالثانية التي كانت تخلط العقارات المنومة كي تستطيع النوم ساعتين فقط بلا نوبة ذعر تُشعرها بالاختناق، وأُذكرك بالثالثة التي تبكي حتى تختنق فتذهب للمستشفى في منتصف الليل كي يعلقوا محاليل ما في ذراعها لتساعدها على التنفس، وأُذكرك بالرابعة التي تجزُّ على فكيها ليلًا نهارًا حتى تتشنج ذراعها فتبتلع الأقراص لتعود إلى الحركة، وأُذكرك بالخامسة التي يزرقُّ وجهها في غمٍّ وتنتشر التجاعيد المخيفة على وجنتيها وعلى جبهتها، وأُذكرك بالسادسة التي تفقد نصف وزنها في أيام وتفقد اتزان خطواتها فتبدو كالمجاذيب، وأُذكرك بالسابعة التي ينخرس لسانها فلا تستطيع الكلام لأيام طويلة حتى تنفك العقدة بعد الأدوية

t.me/qurssan

والمحاليل، وأُذكرك بالثامنة التي يختلج قلبها بين دقة ناقصة ودقة زائدة فتظن أنها تتعرض لأزمة قلبية كل يوم، وأُذكرك بالتاسعة التي تظل تمشي وتمشي وحيدة كل يوم، لا تنظر حولها، فقط تمشي حتى يصبح المشي روتينًا يوميًّا بلا هدف، ويستمر حتى تخذلها قدماها فتتهاوى أرضًا، وأخيرًا أُذكرك بالعاشرة التي تظل صامتة، لا تتكلم ولا تتحرك أبدًا حتى ينفجر ذلك العرق في رقبتها أيضًا في صمت، لكنها لا تموت، لأن الموت لا يأتي بهذه السهولة عندما نتمناه.

أرجو أن تكوني قد قرأتِ هذا الجزء من كتاباتي إليكِ بأداء مصمصة الشفايف والصعبانيات، فبالفعل أنا أشفق علينا مما آلت إليه الأحوال، وأُمصمص شفتيَّ حزنًا وكمدًا على أحوالنا التي لا تَسُر عدوًّا أو حبيبًا.

عزيزتي، نحن لسنَ هؤلاء العَشَرة، نحن لسنَ هؤلاء إطلاقًا، ياما دقت ع الراس طبول يا صديقتي، وقراءة ما كتبته عنَّا توًّا تُشعِرني بالابتذال وببعض المهانة. لا أستطيع أن أصدق أن قدراتنا على التعامل مع النهايات أصبحت بهذه الهشاشة. متى أصبحنا فتيات من ورق؟ متى أصبحنا ننظر إلى أنفسنا في المرايات فنصطدم بهذا القدر من الضعف وهذا القدر من تعريض أنفسنا لآلام أكبر بكثير من حجم الحدث؟ متى درَّبنا أنفسنا على الانتظار الأبدي هكذا؟ نحن لسنَ هؤلاء الفتيات، ولم نكن قَطُّ نخبط رؤوسنا في حواجز الأسرَّة، ولم نكن نجزُّ على أسناننا، بل كنا أهدأ وأقوى وأكثر قدرة على الاستمرار وعلى المقاومة.

أحيانًا أجد نفسي ألوم هذه المشاوير الطويلة التي قمنا بها

t.me/qurssan

بلا جدوى، وأصواتنا الرفيعة وحناجرنا التي جُرحت بلا نتيجة، وأعدادنا الكبيرة جدًّا التي تقلصت وتقلصت بين من رحل ومن ذهب ومن سُجن ومن فقدناه للأبد، حتى أصبح عددنا لا يتجاوز العشرة أنفسهم التي حكيت لكِ عنهم. لا أريد أن أبالغ وأتمحك وأعلق الفشل والخذلان على شماعات الشأن العام الذي لا يرانا من الأساس، ولكن كما ترين هذا أسهل ما نستطيع أن نفعله الآن. لا أعرف بالضبط مدى علمية الموضوع، هل هناك أشياء مُعيَّنة مثلًا تحدث للفرد منا عندما يتعرض لما تعرضنا له؟ لا أعلم، ربما هي الغازات المسيلة للدموع؟ ربما تكون السببَ في التدهور الذي حدث في قدراتنا على تقبُّل النهايات. المهم أن الحقيقة الوحيدة الواضحة أننا لم نكن ما أصبحنا عليه، كل شيء تغير الآن؛ ربما ما زلنا نستمع إلى الراديو كل صباح، ولكننا فقط لا نستطيع أن نغُض أسماعنا عن كل الأغاني الحزينة التي تأتينا عَبْرَه، ولا نستطيع أن نغُض الأنظار والأسماع عن كل ما يخترقنا من أشياء تُوجِع مسامنا وتترك فينا ندوبًا لا تزول، نحن نِساء قويات يا عزيزتي كما تعرفين، فقط لم نعُد مثلما كنا. ما زلنا نُقاوح ونحاول تصدير فكرة أننا قويات جدًّا، ونستطيع الوقوف في وجه أجدعها أزمة، ولكننا بكل هذه القوة والنشفان والمقاوحة أصبحنا نقع بمنتهى الهيافة وتَتَكسَّر رُكبنا في محاولة الوقوف من جديد. أحاول جاهدة أن أحترم ضعفنا الحالي وأجد لأنفسنا الأعذار ـ الغاز لم يكن سهلًا قَطُّ وأنتِ خير من يعرف هذا ـ أعرف أننا رأينا الكثير، وأننا تلقينا الكثير من الطوب على صدورنا، عارفة إنها بتيجي على أهون سبب، وأُقنع نفسي جاهدة أنها مرحلة

t.me/qurssan

مؤقتة من الضعف الإنساني الذي حتمًا سينتهي يومًا ما وسنعود لتناول كوب من المياه، وننام ثماني ساعات ملء جفوننا، نصحو بعدها لتناول مشروباتنا الصباحية والانطلاق في الحياة بالطول والعرض، وحتى تنتهي هذه المرحلة الحالية نرجو ملاحظة أن هناك قصاصة صغيرة من الورق معلقة على جباهنا تقول إننا قابلون للكسر، وكما ترين فالست توافقنا وصوتها يأتي في الوقت المناسب من الراديو الصغير وهي تقول: «كل ده والقلب صابر مش حرام والله حرام».

الزمالك ـ القاهرة

أكتوبر ٢٠١٤

t.me/qurssan

عزيزتي جميلة،

اليوم شاهدت فيلمًا تسجيليًّا أخافني جدًّا، وكان يجب أن أحكي لكِ عنه. لا أعرف إن كان هذا الفيلم سيجذب انتباهكِ أم لا، لكن في ظل عالم مليء بأدوات اتصال مرعبة، يبدو لي أحيانًا أن من الواجب عليَّ تحذيرك من أشياء مخيفة حتمًا ستواجهينها يومًا ما. الفيلم الذي شاهدته هو بشكل عام عبارة عن لقطات تسجيلية لشخص أمريكي يُدعى «إدوارد سنودن»، هذا الشخص باختصار كان يعمل موظفًا في وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية، ومتعهِّدًا سابقًا للحكومة الأمريكية. قام «سنودن» في لحظة ما بتسريب معلومات سرية من وكالة الأمن القومي، وكشف عن كمٍّ هائل من برامج المراقبة العالمية وعن تحالفات مرعبة بين أجهزة الاستخبارات، وتقريبًا جميع الشركات التي تدير حساباتنا على مواقع الإنترنت المختلفة. في أحد مشاهد الفيلم التسجيلي الذي كشف فيه عن جزء من هذه الكوارث، يظهر «سنودن» وملامح الذنب والإحباط

t.me/qurssan

لا تفارق وجهه لأنه اكتشف فجأة، من خلال عمله، الذي يجعله ـ تقريبًا وبشكل مبسط ـ يستطيع التجسس على ملايين الأشخاص من خلال هواتفهم، أن هناك من يفعلون هذا على سبيل التسلية، بجانب التجسس على أشخاص من أجل جمع معلومات ـ في الأغلب ـ تؤذيهم من دون ذنب. يسمون «سنودن» وأمثاله من الأشخاص الذين يُسربون معلومات سرية «المبلغين» أو «من يطلقون صافرة الإنذار»، وعلى الرغم من وجود حكومة أمريكية ليبرالية بشكل أو بآخر، فإنه متهم اليوم بالخيانة العظمى ويعيش حياته كلاجئ غير مسموح له بالعودة إلى بلاده، بعد أن قامت الحكومة الأمريكية بإلغاء جواز سفره وهو في مطار إحدى الدول البعيدة، فأصبح حرفيًا مواطنًا عديم الجنسية.

فكرت كثيرًا بعد أن قرأت القصة وشاهدت الفيلم التسجيلي وسمعت الحواديت الرهيبة التي يحكيها «إدوارد سنودن»، أن أمحو كل ما يتعلق بهويتي الإلكترونية، وأن أتوقف تمامًا عن استخدام الهواتف الذكية، وأكتفي بالبريد الإلكتروني الذي يمكِّنني من التواصل المهني الذي لا أستطيع الاستغناء عنه، ولكني بالطبع لاقيت الكثير من الاستهجان من كل مَن حولي تقريبًا، من أصدقاء ومعارف، أخبرني الجميع أن بياناتي وصوري وتفاصيل حياتي لا تهم أحدًا بالمرة، وأنْ لا ضرر من التجسس عليَّ إن كنت لا أفعل شيئًا يجرمه القانون أو أخجل منه أمام نفسي مثلًا. أكتب لكِ اليوم لأخبركِ أنه لا توجد بيانات غير مهمة، وأن جميع البيانات لها أهميتها عند الدول والحكومات والأشخاص المختلين عقليًا، الذين يهوون جمع

t.me/qurssan

المعلومات عن الأشخاص العاديين الذين يتصورون أن لا أهمية لما يكتبونه على الإنترنت عن حياتهم الشخصية، ولا لصورهم التي يلتقطونها في كل مكان، ولا للأماكن التي يعلنون وجودهم فيها كل يوم، ولا للكاميرات والميكروفونات المفتوحة طوال الوقت، التي نوقّع إقرارات موافَقة على أن يستخدمها أشخاصٌ ما لرؤيتنا وسماع قصصنا طوال الوقت، بل نوافق على بيع هذه المعلومات أيضًا لجهات أخرى. لا توجد بيانات غير مهمة، وهناك دومًا من يدفع أموالًا لشراء ما نتركه بكامل وعينا وإرادتنا للآخرين كي يستخدموه في أغراض لا نعرف عنها شيئًا.

تؤرقني كثيرًا فكرة مَسْح هويتي الافتراضية وبيع كل الأجهزة التي ترسل عني معلومات، لا أعرف إن كنت أتمتع بالشجاعة الكافية التي تجعلني أتخذ هذه الخطوة أم لا. أصبحت حياة كل الأشخاص الذين يهمني أمرُهم موجودة على الإنترنت، هناك فضاء افتراضي مهول يجمع الأشخاص ويصل بينهم بشكل يومي ويُذكرهم ببعضهم البعض، لا أعرف ما الذي يمكن أن يحدث إن انسحبت من هذا الفضاء اعتراضًا على سرقة بياناتي ولحماية خصوصيتي، التي ربما تكون لا تهم أحدًا مثلما يقول الجميع. هل سينساني الجميع؟ هل سيتذكر أيُّ شخص يومَ مولدي؟ هل سيتسبب هذا لي في المزيد من الوحدة التي لا أرغب فيها؟ لا أعرف، وكل ما أستطيع أن أفعله الآن هو أن أحاول تقليل حجم المادة الموجودة على الإنترنت عن حياتي الشخصية، وأُصبح مثل القلة المرتابة التي لا تضع صورها على مواقع التواصل الاجتماعي، ولا تجذب انتباه القريب قبل البعيد،

t.me/qurssan

أستطيع أيضًا أن أغلق حساباتي الإلكترونية لفترات متباعدة، وبدأت بالفعل في هذا الموضوع وأصبحت أقل توترًا وحِدَّة من ذي قبل، فإلى جانب اختراق الخصوصية الذي يسبب لي هواجس لا تنتهي، مواقع التواصل الاجتماعي تسبب القلق والجزع والكثير من الضغط العصبي.

أخاف كثيرًا أن تكبري في عالم افتراضي لا يحافظ على خصوصية حياتك، وأخاف أن تبتلعك هذه الفقاعة العملاقة من اللاشيء التي لم ينجُ منها أحد تقريبًا، وأخاف وبشدة أن يتحول كل شيء في حياتك إلى مادة تضعينها على الإنترنت بحثًا عن مزيد من الحب الإلكتروني الزائف، ليستخدمها بشراسة أشخاصٌ يجلسون في غرف تحكُّم تحتوي على ملايين الشاشات التي تعطيهم مَنفذًا إلى حياتك وبيتك وغرفة نومك. ربما لا يعنيكِ كثيرًا «سنودن»، وربما يحمل خطابي لكِ اليوم الكثير من الهواجس والمخاوف التي قد لا تكون بهذه الخطورة، ولكنني بالفعل أخشى كثيرًا من السنوات المقبلة، حين لا يعنيني أي شيء وأي شخص سواكِ. لا أريد أيضًا أن أبدو لكِ مثل العجوز التي تحاول أن تقف أمام التطور الطبيعي للأشياء، ولا مثل المجنونة التي تُردد الكليشيهات الخاصة بقتل التكنولوجيا لحياتنا، وبالتأكيد لا أريد أن أُخِيفك من مستقبل تمتلكينه وتمسكين بأيامه بين أصابعك، أريدك فقط أن تعيشي الحياة مثلما هي، وأن تغلقي نوافذ التلصص عليك، وألا تَدَعِي أي شخص يمر منها إلا برضاكِ الكامل، ومن دون أن تكوني مضطرة بسبب منظومة كاملة تدفعنا دفعًا لذلك.

t.me/qurssan

يجب في نهاية هذا الخطاب أن أعتذر لكِ عن هذا الخوف الذي
ملأ الصفحات، وأن أُطمئنك أنني دومًا هنا، ولن أذهب إلى أي مكان
قد يمنعني من حمايتك بالشكل الكافي الذي ترتضينه وتوافقين عليه.
محبتي.

الزمالك ـ القاهرة
نوفمبر ٢٠١٤

t.me/qurssan

عزيزي أبي،

لا يوجد لديَّ أي نفَس أو قدرة على الكتابة هذا العام. أعرف أنه موعد الكتابة المعتاد من أجل الحصاد السنوي الذي نحصره كل عام في اليوم نفسه، وإن فيه حداشر سنة ويوم عدُّوا، ولكن في الحقيقة ربما لن أستطيع الكتابة لك كما أفعل دومًا، لديَّ حالة من العجز عن الكتابة، أو الـ«Writer's block» إذا احتسبت نفسي كاتبة من الأساس، أنت تعرف أنني مجرد هاوية أُفرغ بعض الكآبات بالورقة والقلم حين تضيق بي الدنيا، على أي حال سأحاول. الساعة الآن تجاوزت الثانية عشرة، ومعنى هذا أننا كسرنا روتين اليوم المحدد.

بشكل عام، كانت سنة ـ كالعادة ـ رديئة. أنت تعرف نظرية العشر سنوات العجاف مقابل كل سنة لطيفة (نظريتي الشخصية)، وبما أن آخر سنة لطيفة كانت ٢٠١١ فما زال لدينا سبع سنوات حتى نشم نفَسنا بسنة معقولة نسبيًّا. رحل الكثيرون ولم يبق سوى القليلين من الأحباء والكثيرين من السفهاء، رحلت الأستاذة رضوى عاشور بعد معركة

t.me/qurssan

. . اصلة وضارية مع السرطان، ومثل الكثير من التجارب المشابهة ...صر المرض كالعادة، وأنت تعرف علاقتي بالراحلين وسخافة ال حيل بالنسبة لي، فَلَكَ أن تتخيل ما أشعر به. سمعت عن حوادث انتحار كثيرة في الفترة الأخيرة، يبدو أن كآبة الأحداث والمحيط العام تدفع الكثيرين لتَجاوُز المخاوف الإنسانية المعتادة، التي تحول بيننا وبين إنهاء الحياة بشكل قاطع. أفكر كثيرًا مؤخرًا في هذا الخط الفاصل بين الحياة والموت، الدوائر تقترب بشدة ويبدو أن الانتحار في طريقه أن يصبح روتينًا عاديًّا، فنتقبل أخبار الأصدقاء والمعارف من الدوائر القريبة بأسف أقرب للبرود. الخوف هو الخط الأخير الذي يشير إلى أننا لا نزال بني آدمين، ويبدو أن هذا أيضًا ـ الخوف ـ في طريقه للتلاشي، اللامبالاة الآن هي بطلة جميع الأحداث.

لن أكذب عليك، الجزء البسيط الذي ما زال يدق في رأسي على وشك الانطفاء، وجميع الأحداث حزينة، فعلى سبيل المثال وليس الحصر، استيقظت اليوم على خبر عن سجن طفل في العاشرة من عمره بسبب سرقته عشرة أرغفة من الخبز، هذا مثال بسيط على قاع الحزن الذي نعيش فيه، الأمثلة كثيرة ولن تكون براءة مبارك مثلًا هي الدليل على هذا الحزن، إن قارنًّا خبر مبارك بخبر الطفل، براءة مبارك كانت صادمة على الرغم من محاولاتي المستميتة لإثبات إن الموضوع مش فارق معايا. اللامبالاة تستشري بعنف ولكن قسوة الأخبار ما زالت تخترقها في براعة رهيبة، إحنا حزانى جدًّا، لا توجد مساحات للفرحة، ولا توجد مساحات للتحقق إلا لإنجازات شخصية صغيرة للغاية، تكاد تختفي وسط غمامات النكد. ونحن هنا كما كنا

t.me/qurssan

دومًا، نمشي في خطوات ضيقة إلى الخارج ثم نعود حتى تتطرق الطوبة الأخيرة على رؤوسنا كما يقول صديقي. أنت أكثر العارفين أنني سأظل هنا حتى ألقُف تلك الطوبة الأخيرة على رأسي، باءت كل محاولات الهروب بالفشل، لا لأيِّ سبب سوى أنني لا أستطيع التنفس إلا هنا، هي أنفاس مليئة بالمرارة والحزن والفشل والإحباط، ولكنها على أي حال أفضل من الاختناق بالخارج. ما زلت أخاف أن أتركها وأمشي فتنقلب الدنيا فجأة وأعود لأندم من جديد، ويبدو أن قدري أن أظل رايحة جاية إلى ما لا نهاية.

كالعادة وحشتني جدًّا. تحضُر في جميع المواقف بشكل واضح وعادي للغاية كأنك لم ترحل قَطُّ. ما زلت أتعشم في لُقاك قريبًا، وأتعشم في استنشاق رائحة البيجاما الزرقاء التي أُجزم الآن أن لحظات تمسُّحي فيها بدلع ومرقعة، كانت أسعد لحظات الحياة كلها. أصبحت السنوات مثل بعضها البعض، لا توجد فروقات تُذكر منذ ذهبت. كنت أقول لك في سنوات ماضية إن جميع السعادات ناقصة، وإن أسطورة السعادة المكتملة قد ذهبت بلا رجعة معك في قبرك الصغير، الآن أخبرك أن حتى السعادات المنقوصة كادت تختفي تمامًا. أُدرك يومًا بعد يوم أنك كُنت حامل شُعلة السعادة الأوحد، فلم ولن يوجد من ينثر البهجة الرائقة والطمأنينة مثلما كنت تفعل بكل أريحية وبساطة ممكنة. وعلى ذِكر الطمأنينة، خلصت خالص بقى، نحن الآن في الليمبو، ذلك الممر في المنتصف الذي لا يطمئنك ولا يخيفك، يتركك بلا هدف، يحولك إلى شخص مستلقٍ على بطنه في استكانة وألم، نمشي هنا في طريق اللامبالاة السخيف، الذي يجعلك

t.me/qurssan

تحول باستمرارية عظيمة إلى ورقة خضار ذابلة، نحن هناك الآن دون إشعار آخر.

نحتاج أن تنظر إلينا من مكانك نظرة خاطفة تُطمئننا وتُخرجنا من المبو الذي نعيشه، ونحتاج أن تُربِّت على ظهورنا وتخبطنا خبطة من خبطاتك الخفيفة على أكتافنا، ونحتاج إلى لحظة سعادة غير مقدّرة مثل تلك اللحظة التي كنت تضع فيها المفتاح في باب الشقة فنجري ثلاثتنا إليك، لنشد كيس الحلوى من يدك ونُقسم ما فيه إلى ثلاث قطع من كل نوع، ثم نعود لإعطائك حُضنًا عنيفًا يكاد يخل توازنك، ونحتاج إلى بعض اللحظات معًا، نحن الأربعة، ربما يكون الصغار معنا أيضًا فنصبح ستة، ونحتاج إلى سعادة غير منقوصة في سنوات التعاسة المطلقة، ونحتاج إلى ساعة زمن في مطعم الكوربة أو في حديقة بيت العائلة على الشيزلونج الأزرق، ونحتاج إلى حلقة واحدة من مسلسل «أوشين» نشاهدها ونحن في غاية التركيز والتأثر معًا على الكنبة الزرقاء، ونحتاج إلى شعلقة أخيرة في ذراعك ونحن لا نعرف من فينا يتعكز على الآخر، ونحتاج إلى ساعات من الرغي عن حواديت لأشخاص لم نرهم، لكننا نعرفهم فقط من حكاياتك عنهم، ونحتاج إلى نظرة سريعة منك حتى نستطيع أن نحافظ على توازن الحياة العبثية التي نعيشها منذ ذهبتَ.

ما تزعلش إني اتأخرت عليك السنادي، لست في أفضل أحوالي على الرغم من رائحة البُن التي تنبعث يوميًّا من ماكينة القهوة الفخمة التي جاءتني في عيد ميلادي، لست في أفضل أحوالي على الرغم من لقائي بعدوية الكبير ومن سماعي له وهو يغني وهو ينظر إليَّ: «أغراب

t.me/qurssan

يا دنيا م الصغار للشيبة، أغراب وطالت بيَّ الغيبة»، ولا على الرغم من تربيته على يدي وقُبلته الدافئة على خدي، لست في أفضل أحوالي على الرغم من دوائر الأصدقاء التي أقوم بفلترتها بعناية كعادتي في نهاية كل عام، لست في أفضل أحوالي على الإطلاق منذ رحلتَ، وأعرف جيدًا أن مرحلة إني كويسة قد ذهبت بلا رجعة. خُد بالك من نفسك، ولا تنسَ أن تُقبِّل خد الأستاذة رضوى، وتُخبرها بأنَّ الحياة من الصعب أن تستقيم بعد رحيلها. لا تنسَ أننا هنا في الليمبو ولكننا نراك في كل اللحظات وفي كل الحواديت، وأننا في انتظار اللقاء وإن طال الوقت. أحد عشر عامًا الآن ونحن كما تركتَنا، في عرض لحظة واحدة نخبرك فيها أنك الأعظم على الإطلاق.

سلام.

الزمالك ـ القاهرة

ديسمبر ٢٠١٤

t.me/qurssan

حبيبتي جميلة،

اليوم أريد أن أحكي لكِ قليلًا عن فكرة الواجب.

تعلَّمنا منذ صغرنا أننا لا بد أن نقوم بـ«الواجب»، و«الواجب» هنا يشمل الكثير من الأشياء، كأن نقوم بواجب العزاء مثلًا، أو أن نَطمئن على أصدقائنا وأقاربنا الذين يعانون من أمراض ـ لا قدر الله ـ ونساندهم، أو أن نزور كل من دخل مستشفى لأي سبب، أو أن نقدم التهنئة في المناسبات العامة والمناسبات الشخصية. الواجب يتضمن عشرات الأفعال التي تعلَّمنا وتعودنا القيام بها منذ كنا أطفالًا صغارًا. تسألينني إن وجب أن نقوم بكل هذه الواجبات الاجتماعية، وأقول لك: نعم، يبدو أن هذا ما يمليه علينا الكبار، وحتى إن لم نكن نبالي بموت أشخاص لا نعرف إلا أسماءهم، فلا يزال الواجب مهمًّا وحاضرًا ولا مفر منه.

أحكي لكِ اليوم عن مثل هذه الواجبات لأخبركِ أنه ليس من المهم أن تقومي بها جميعًا، لا تكوني مثلي، فقد ألزمتُ نفسي

t.me/qurssan

بالواجب طوال عمري، هناك فرق هائل بين مكالمة تلفونية تأتيك لأن هناك من يخاف عليكِ حقًا ويرغب في الاطمئنان عليكِ، وبين من يفعل هذا لأن أمه قالت له عندما كان صغيرًا إن عليه أن يقوم بهذه المكالمة. لا تُصدقي مكالمات الاطمئنان التي تأتي على سبيل الواجب، ولا تُصدقي أصدقاءك عندما يقولون لك إن الدنيا تلاهي، وإنهم يسألون عليك فقط في أيام العزاء والأفراح والمرض لأنهم يحبونك، فهم يفعلون هذا فقط على سبيل الواجب.

لا تُصدقي أي صديق يقول إنه يحبك وهو لا يعرف عن حياتك شيئًا، ويظل أسابيع وشهورًا يقول لك إنه مشغول لأن الحياة لا تعطيه فرصة للسؤال عن الأحباب، ولا تُصدقي من يأكل على طاولتك ويشاركك تفاصيل الحياة اليومية ثم يختفي فجأة لأنه انشغل، الأصدقاء لا ينشغلون بهذا الشكل، وكلهم يقضون ساعات طويلة وهم يحدقون في هواتفهم ليتفرجوا على الحيوات الافتراضية لأشخاص لا تجمعهم بهم أي روابط، هؤلاء الأشخاص يكذبون مهما أخبروكِ عن المشاغل. الجميع تمر بهم فترات من الفتور، مهما قالوا لك إن عدم الكلام لا يعني أن الصداقة قد انتهت، مهما أعطوا لك من أعذار لأنهم لم يظهروا إلا لكي يرسلوا لك برسالة فاترة، فقط يرسلونها حتى لا يقول الآخرون إنهم لا يعرفون الأصول.

الأصول هي أن تظل أكتافنا تسند بعضها بعضًا، الأصول هي ألا نشعر بالوحدة والقسوة بينما حولنا العشرات من الأشخاص، الأصول هي أن نقدر أن الحياة قاسية بطبعها، وأننا لا نحتاج إلى

t.me/qurssan

المزيد من الألم من دواثرنا المقربة التي من المفترض أن تجعل حياتنا أفضل. لا تستسلمي للترهات التي يقولها الجميع ويرددونها دائها الصواب، وكأن الجملة الكاذبة إن تكررت عشرات المرات سوف تصبح كالحقيقة المطلقة، لا تُصدقي من يقول إن القسوة عادية والبلادة عادية والبرود عادي والجفاف أمر يجب أن نتقبله بصمت. نحن لا نعيش أجمل الأوقات الآن، وكل شيء يدفعنا دفعًا إلى الإحساس بالألم، بدايةً من الأصدقاء الذين لا يقومون إلا بالواجب، مرورًا بالمغنية «أديل» التي اتصلت آلاف المرات كي تعتذر لحبيبها السابق عن كل ما فعلته من أخطاء وهو لم يردَّ، ونهايةً بـ«جون سنو» الذي دفع الفتى الصغير بخنجر إلى قلبه حتى وإن اعتبره مثل الأخ الأصغر. الحياة قاسية وصعبة، والأصدقاء يرددون الأعذار التي يظنون بها أنهم أقل سوءًا من الحقيقة. لا أريد أن يتعلق قلبكِ بشيء، فكل الأشياء إلى زوال، لا أريد أن يكسره صديق أو حبيب، ولا أريد أن يصيب قلبك الإحباط والغم عندما ينكشف لك ـ مثلما كان يقول جدكِ ـ أن كل شخص يقف وحده على حذائه. لا يوجد ما هو أسوأ من التوقعات، ولا يوجد ما هو أقسى من الجفاف الذي يصيب الأشخاص الذين ظننا يومًا أنهم سيظلون معنا إلى الأبد.

لا أريد أن أجد نفسي أحاول أن أنقذك من أشياء محتومة، نحن نمشي إلى أقدارنا، ومن الغباء أن يظن أيٌّ منا أنه يستطيع إنقاذ الآخر، دعي فقط أكتافنا تظل متلاصقة، ودعي الود موصولًا، ودعينا نبتعد كل البعد عن التبريرات الحمقاء التي لا تقنع أحدًا، لا تستمعي إلى

t.me/qurssan

القساة وغلاظ القلوب حتى وإن ألقوا عليكِ اللوم، وقالوا إنك لا تُقدِّرين الظروف، وأعدك، إن فعل الجميع هذا فسأظل أنا على الوعد، وهذا إقرار مني بذلك.

محبتي غير المحدودة.

دبي ـ الإمارات

أكتوبر ٢٠١٥

t.me/qurssan

عزيزتي كارمن،

لم أتصور أنني سأظل على عهدي لكِ بكتابة الرسائل، هذا ما تعاهدنا عليه عندما قررتِ أن تأخذي بعضك وتذهبي إلى آخر الدنيا. الكثير والكثير يحدث كل يوم، وفي الوقت نفسه لا شيء يحدث على الإطلاق. يكارك الجميع كي يبقى حيًّا وسط حياة زاخمة مزدحمة بين ترندات منصات التواصل الاجتماعي، وبين زحام المدينة الذي أراقبه في دأب من شبابيكي المفتوحة على الإنترنت، وحرصي الدائم على أن أظل موجودة بشكل ما، وإن منعني غيابي الوقتي من أن أُبدي رأيي في أي شيء، خوفًا من أن يقابَل بشراسة مستخدمي الإنترنت الذين يصرخون في وجه أي شخص أسعفه الحظ، واستطاع أن ينفذ بجلده من المحروسة.

أفتقدك كثيرًا وأفتقد القاهرة، وأفتقد نيويورك أيضًا بجنونها وصخبها الذي طالما ذكَّرني بوحشة وأُنس القاهرة التي لم تتركنا في حالنا قَطُّ، سواء بقينا فيها أو ابتعدنا. تبدين مرهقة جدًّا في الصور

t.me/qurssan

التي ترسلينها، وأتمنى ألا يكون هذا بسبب ساعات العمل الطويلة، وأتمنى أن ترتاحي ولو قليلًا فأنت استحققتِ الإجازة بعد أعوام طويلة من العمل المتصل الذي لم ينقطع قَطُّ.

أشعر بكثير من الراحة منذ انتقلت للعيش في دبي، الحياة هنا أفضل من نظيرتها في الدوحة، كلها مدن خليجية لا تناسبنا، وكلها طرق موحشة تَلْفظنا بعيدًا وقوتها الطاردة كاسحة، لكن ـ وبصراحة ـ الحياة في دبي أسهل وأكثر أمانًا، فعدد الأشخاص الذين يحدقون في وجهي أقل كثيرًا من عددهم سواء في القاهرة أو في الدوحة.

في يوم ليس بالبعيد كنت أتمشى في أحد شوارع الزمالك الهادئة بالقاهرة كما هي عادتي منذ سنوات، عندما وجدت نفسي أعبر الشارع مبتعدة عن إحدى السيارات القديمة المغطاة بالغبار، كنت أفكر في هذه اللحظة أن تلك السيارة ربما تنفجر لأي سبب، ربما تكون هناك قنبلة أسفلها أو بجانبها، أو ربما استغل أحدهم شكل السيارة القديم وفخَّخها كلها، أدركت في اللحظة التي دخل فيها الخوف إلى قلبي أنني لن أستطيع الحياة في القاهرة. لم نكن نخاف من شوارع القاهرة على الرغم من كل ما حدث لنا بها، وكان الأمر مقتصرًا فقط على الخوف من الأشخاص وليس من السيارات المفخخة.

في منتصف التسعينيات وعندما أتممت عامي الثالث عشر ـ أكان الثالث عشر؟ ربما الثاني عشر ـ احتضنت ما كانوا يسمونه وقتها «الأكلاسير» أو «الدوسيه الكبير»، الذي كنا نحمل فيه بعض الكتب الدراسية والكشاكيل، وقطعت الطريق بخطوات سريعة جدًّا من بيتنا القديم في أحد الشوارع الرئيسية بمدينة نصر، حتى أصل إلى محطة

t.me/qurssan

المترو في مشواري إلى المدرسة التي كانت تعمل بها أمي، كنت أذهب إلى مقر عمل أمي كل أحد، وهو يوم العطلة الرسمية لمدرستي الكاثوليكية التي تختلف عن باقي المدارس العادية، حيث العطلة يوم السبت من كل أسبوع. كان سبب زيارتي الأسبوعية لأمي بالمدرسة هو احتياجي لبعض المساعدة في مادة الرياضيات التي لم أكن موهوبة فيها بالمرة، تطوعت إحدى زميلات أمي لمساعدتي في فهم بعض طلاسمها. المهم أنني أذهب في الوقت الذي يناسب صديقة أمي وهو حوالي الساعة الثانية عشرة ظهرًا، وهذا يعني أن أخرج من البيت في حوالي الحادية عشرة لأمشي حوالي سبع دقائق إلى محطة المترو، ثم أقضي حوالي نصف الساعة في المترو نفسه لأصل قبل موعدي بحوالي عشرين دقيقة، أقضيها دومًا في السلامات والترحاب مِن كل مَن يعمل بالمدرسة من مدرسين وطلبة وعمال نظافة وموظفين، إلخ، ثم أمرُّ على أمي لأعطيها التمام، ثم أبدأ الحصة المساعدة مع ميس فوزية التي تقضي معي ما يقارب الساعتين.

في هذا اليوم كنت أمشي كعادتي بخطوات مسرعة وأرد التحية على جميع من يعمل في محلات مختلفة بشارعنا ويعرفونني جيدًا بسبب وجودي المستمر في الشارع، حيث ألعب مع الجيران أو أقضي طلبات العائلة من «بجنيه عيش» إلى طلبات البقالة والصيدلية والفاكهاني، إلخ. عندما استوقفني أتوبيس الرحلات الكبير وأخذ السائق يهتف وهو يميل بجسده ناحية الباب: «استني استني أنا عارفك».

كنت قد تعودت أن أذهب مع أمي إلى محطة الأتوبيس بمنطقة في

t.me/qurssan

القاهرة تسمى «ألماظة»، وإن كانت لم تحمل حظ اسمها بأي حال من الأحوال. كانت محطة ألماظة هي إحدى المحطات التي تنطلق منها الأتوبيسات في رحلاتها إلى مدن المحافظات المختلفة، وكانت أمي تأخذني معها في وقت لم يكن البريد السريع في أفضل حالاته كي ترسل إلى جدتي في بورسعيد ظرفًا به ما تيسر من مساعدات مالية، أو حقيبة صغيرة تحمل بعض المواد الغذائية البسيطة التي لا تحتاج إليها جدتي ميسورة الحال، ولكنها تُشعر أمي ببعض الرضا عن نفسها، بعد أن تركت محافظتها الصغيرة وعائلتها وانتقلت إلى العاصمة. المهم، كانت أمي دومًا تنفح أحد سائقي موقف ألماظة مبلغًا معقولًا حتى يحمل الأمانة، ويقابل بها جدتي في موقف العرب ببورسعيد، وبالتالي كانت وجوهنا مألوفة لدى معظم سائقي السوبرجيت أو أتوبيسات رحلات المحافظات حينها.

توقفت عن السير وأنا ما زلت أحتضن الأكلاسير لأنظر إلى السائق الذي لم أكن متأكدة إن كان وجهه مألوفًا أم لا، في حين كان هو ما زال يقول إنه يعرفني، ويتمتم ببعض الجمل التي خمنت منها أنه أحد السائقين الذين يقومون بالمهمة التي اعتادت عليها أمي. سألني السائق إن كنت ذاهبة إلى مشوار بعيد، ورددتُ أنني سأستقل المترو إلى وجهتي، وبالطبع أصَر أن يقلني إلى وجهتي لأنها في طريقه. ترددت قليلًا وإن لم تساورني الشكوك مطلقًا في نوايا السائق الذي بدا رجلًا عاديًا لا يثير القلق أبدًا. ركبت الأتوبيس وجلست في الصف الثاني وأنا أصف له الطريق الذي لم يكن طويلًا، وكان أقرب إلى طريق مستقيم. بعد دقائق قليلة،

t.me/qurssan

شعرت بالأتوبيس يدخل إلى أحد الشوارع الجانبية ويقف على أحد جانبي الطريق. سألت السائق بحذر عن سبب توقفه في هذا الشارع، فردَّ بطريقة عادية أنه ينتظر صديقًا سيجلب له شيئًا ما ثم سننطلق في طريقنا، وأن هذا لن يؤخرني عن موعدي في مدرسة أمي. بدأت أشعر بقليل من الخوف عندما نهض السائق من خلف عجلة القيادة، وذهب إلى المقاعد الخلفية وأخذ يغلق جميع الستائر الصغيرة التي كانت مفتوحة بطبيعة الحال. لم أفتح فمي إلا عندما استقر في المقعد المجاور لي وقال وهو يزيح الأكلاسير من فوق فخذي: «حاطة إيه بقى في الدوسيه ده؟»، كانت الكلمات تخرج من فمي بصعوبة بعد أن أدركت أخيرًا أنه ليس بالبراءة التي تخيلتها: «إنتَ عايز مني إيه؟»، كان مرتبكًا ولكني لم أدخل في مرحلة الفزع الحقيقية إلا عندما شعرت بأصابعه تلمس البنطلون الجينز الذي كنت أرتديه، بعد أن نجح في زحزحة الدوسيه الكبير ووصل إلى جسدي. وقفت في مكاني وأنا لا أعرف كيف يمكن أن أخرج من المربع الضيق الذي أقف فيه وهو يسد ممر الخروج بجسده، ولصقت ظهري إلى الشباك الصغير وأنا أصرخ قدر ما استطعت: «نزلني حالًا وإلا هاصوت وهالم عليك الدنيا»، رد بخفوت: «بس محدش هيسمعك، اهدي واقعدي»، صرخت من جديد: «باقولك نزلني». نظر إلى جسدي الصغير متمعنًا، ثم قام من مجلسه واتجه إلى مقدمة الأتوبيس في خطوات بطيئة. قفزت من مكاني إلى الباب الذي وجدته بالطبع موصدًا، وبدأت في الخبط على الباب الزجاجي أملًا في أن يراني أي شخص بالشارع الهادئ الذي اختاره السائق

t.me/qurssan

بعناية لخلوِّه من المارة. في هذه الأثناء كان هو قد اتخذ مكانه بين كرسيين، وكنت أراه من مكاني يتمايل للأمام والخلف وهو يطلق تأوهات خافتة، مرت دقائق وأنا لا أعرف ما الذي يفعله بالضبط حتى عندما رأيت القطرات البيضاء تسيل على أرض الأتوبيس بين قدميه، كنت ما زلت أخبط بقبضتي على الباب الزجاجي وأنا أصرخ صرخات ممتزجة بالبكاء. انتهى السائق مما يفعله وتقدم إلى مقعد القيادة ثم نظر إليَّ: «اقعدي وهاوصلك»، صرخت بهستيريا: «افتح الباب»، هز كتفيه قائلًا: «براحتك»، ثم ضغط على الزر الذي يفتح الباب ليطلق سراحي أخيرًا. نزلت من الأتوبيس في قفزة واحدة وأنا أهتف: «حيوان، إنت حيوان»، وفي لحظات كنت وصلت إلى الشارع الرئيسي من دون أن أنظر خلفي لأرى إن كان يتعقبني أم لا. كان الوقت تأخر قليلًا وإن لم يكن التأخير يستدعي قلق أمي، فالموضوع لم يأخذ أكثر من حوالي ربع ساعة منذ دخلت إلى الأتوبيس اللعين وحتى استقللت تاكسيًا إلى وجهتي.

كم مضى على هذا الحادث؟ أربع وعشرون سنة؟ هل تتصورين أنني ما زلت أتذكر وجه السائق كأن الحادث لم تمر عليه ساعات معدودة؟ لم أتصور أن ذاكرتي الضعيفة التي تنتقي ما تريد أن تحتفظ به من أحداث استطاعت حفظ اليوم بهذه الدقة، وكأنني أمتلك ذاكرة فوتوغرافية. كانت الحادثة الأولى التي ـ لسبب ما لا أعلمه ـ خرجت منها بخسائر بسيطة، وهو أمر أعتبره حتى الآن معجزة، كان من الممكن أن تكون نتائجها أفدح وأكثر قسوة بكثير. مر اليوم بسلام نسبي، ومرت حصة الرياضيات، وعلى الرغم من

t.me/qurssan

اني أخفيت فزعي عن الجميع، فإنني متأكدة أنني لم أفهم حرفًا من كل ما سمعت.

لم أتخلَّ قَطُّ عن هوايتي في المشي في شوارع معينة بالقاهرة، تلك التي اعتبرتها آمنة لأسباب طبقية أو أمنية، ومنها شوارع الزمالك التي كانت المضايقات فيها أقل من نظيراتها في أحياء أخرى. لم يساعدني الأمان الذي افترضته في منع سماعي كلمات تصف أفعالًا يريد أشخاصٌ لا أعرفهم، أن يقوموا بها معي في تلك الشوارع الآمنة المليئة بالسفارات الأجنبية، كان هذا وعلى الرغم من كل شيء أفضل من الشخص الذي جذب سرواله إلى الأسفل ليخرج عضوه الذكري ويجري ورائي في الشارع الذي أسكن به وأنا عائدة من محاضرات السنة الأولى بالجامعة، كان سماع الكلمات البذيئة أكثر احتمالًا لي من الشخص الذي قرصني من فخذي وأنا أصعد الرصيف بمنطقة السيدة نفيسة بعد خروجي من الضريح في زحام السير، كانت الكلمات الجنسية القبيحة أفضل من الشخص الذي استطاع أن يستقر بيديه بين فخذي في عربة المترو، مستغلًا الزحام وعدم شعوري بيده إلا وهو يسحبها عندما قررت النزول، وبالتأكيد كانت الكلمات أقل وطأة من الشخص الذي دفع بي إلى الحائط في حفل به العشرات من الأشخاص، وهو يلصق وجهه في رقبتي حتى وأنا أدفع به بكل قوتي وأُصر على تكرار كلمة «لا» بصوت أعرف أنه اخترق أذنيه ولم يعبأ به، كانت الكلمات أفضل من الكدمات التي عدت بها إلى بيتي وأنا أبكي حتى الصباح. لا توجد استباحة أفضل من غيرها، ولكن من يريد الحياة في القاهرة يجب أن يتأقلم مع كل شيء، ونحن بالذات

t.me/qurssan

يا عزيزتي، يجب أن نخترع أساليب دفاعية نحمي بها أنفسنا، مثل السماعات الضخمة التي نغطي بها آذاننا حتى لا تخترقها الكلمات البذيئة، أو حمل طوبة ثقيلة في حقيبة اليد ونحن نتصور أننا سنستطيع أن نلقي بها في وجه من يحاول الاعتداء علينا، أو أن نقوم بتدريب أنفسنا على الصياح بألفاظ بذيئة ثم الهرب فورًا من موقع الحادث، حتى لا نستمع اتهامات الجميع لنا بقلة الرباية.

لماذا أكتب لكِ اليوم عن هذا الحادث؟ لا أعرف، يقولون إننا هستيريات، وإننا نضخِّم المواضيع، وإنه دومًا هناك أشياء ما تدفع أشخاصًا لا نعرفهم إلى لمس أجسادنا. أصبح الشرح مبتذلًا، الأفضل فقط أن نجد ما نحمي به أنفسنا. الآن أنا في أمان نسبي، لا يحدق بي أشخاص لا أعرفهم في الشارع، ولا يتعقبني أشخاص مخيفون، ولا يخلع أحدهم سرواله في شوارع عامة بلا ذرة خوف أو قلق من كل من يمر بالمشهد، أيضًا لا أخاف من السيارات المفخخة على الرغم من أنها قد توجد في أي مكان، فقط لست خائفة من هذه الأشياء الآن، لكن أخاف أشياء مختلفة الآن، مثل أنني فقدت الألفة والونس وأصبح كل شيء موحشًا، القاهرة هي الأكثر خطرًا والأكثر ألفة وكل شيء له ثمن.

لكِ سلامي من مدينة أبعد ما تكون عن القاهرة، وأبعد ما تكون عن وحشتها وأنستها وقرفها وعموم رجالها الذين يحرصون طوال الوقت على عدم تركنا في حالنا، سلامي لكِ وأنا أفتقدكِ وأفتقدها وأفتقد المشي في الشوارع التي أعتقد أنها لم تعد آمنة، حتى بالشكل النسبي الذي كنا نرجوه يومًا ما، وأكثر ما أفتقد اليوم هو صوت الست

t.me/qurssan

في السماعات، يشوبها صوت الكلاكسات الآتية من بعيد ـ التي لم أعد أحتاج إليها الآن ـ وهي تقول بعتاب: «كنت أشتكيلك أيامي وأشكي لمين ظلمك ليَّ».

دبي ـ الإمارات

نوفمبر ٢٠١٥

t.me/qurssan

عزيزي أبي،

أعود للكتابة لك مثل العام الماضي والعام الذي سبقه والآخر الذي سبقهما، بعد اثني عشر عامًا مضت، مثل العادة، أكتب إليك لأُطمئنك على أخباري وأخبارنا عمومًا.

أخبرتك العام الماضي أنني لم أعد أستطيع الكتابة، والأمر لا يزال كذلك. ما زلت أعجز عن الكتابة، أبدأ مشاريعَ طويلة وقصيرة وأجدني أتركها في منتصفها، فهي مشاريع رديئة أو على أفضل الأحوال متوسطة الجودة ولن ترضيك عندما تقرأها. أنتظر الوحي أو الإلهام، هذا الطيف الذي تعرفه جيدًا، الذي يأخذ بالأقلام ويُحول الكلمات إلى حواديت.

المهم، كانت سنة صاخبة، وإن لم تكن سيئة للدرجة. بدأت السنة بحصولي على جائزة ومبلغ لا بأس به أبدًا في ظل أزماتي المادية المتكررة التي تعرفها. فرحت وفرح الأصدقاء والمعارف والأهل والأحبة وظلت السعادة ـ كما تعرف ـ منقوصة بغيابك الذي يأبى أن

t.me/qurssan

،صبح روتينًا. أنا آسفة ولكني أتصور في كل عام يمضي من دونك
ان غيابك كاد أن يصبح عاديًا، كم من أحباب رحلوا وأصبح غيابهم
عاديًا، لماذا يظل غيابك أنت فقط غير عادي، ولماذا تظل سعاداتنا
،منقوصة دومًا؟ فقط لأنك لست كالآخرين.

ما زلنا جميعًا نلتقي دوريًا، نحاول أن نحافظ على أنفسنا ونتذكرك كثيرًا في أحاديثنا. جميعهم بخير نسبيًا، الصغار والكبار على حدٍّ سواء، والخبر الأحدث هو زواج كارمن في أمريكا من فتًى أشقر لطيف في كنيسة كبيرة بمدينة بيتسبرج، ستعجبك الصور كثيرًا عندما ،راها.

الأحوال العامة ليست رائعة كالعادة، لون البلد يزداد رمادية والكآبة تحيط بكل شيء، وكالعادة أهرب بروتينية إلى أمكنة متشابهة أدرب نفسي بدأب على استيعابها وحبها بالتدريج. ربما أقنعت نفسي وأقنعت من حولي أنني استطعت أخيرًا التأقلم على البعد عن كل مناطق «الأمان النسبي» التي ألجأ إليها، وأقنعت نفسي وأقنعتهم جميعًا أنني سعيدة وأواجه كل النظرات المتشككة بالكثير من الثبات وتأكيد عدم فهمهم للتغيير الذي أصابني، وفي الحقيقة تساعدني كثيرًا «ظروف» بلادنا الحالية على ادعاءاتي بالثبات والسعادة خارجها. أصبحت قوتها الطاردة غير عادية حتى وإن ظللنا نعتبرها من الدوائر الآمنة، فهذا فقط بسبب إصرارنا على التمسك ببقايا تلك الدوائر التي لم تكن يومًا آمنة، وإن كان وجود الأحباب هو ما يجعلها تبدو حبيبة وسعيدة، أما الآن فأنت أكثر العارفين بغياب الأحبة وانتقاص الأمان، مش مهم.

t.me/qurssan

أما الأهم، وقبل أن أقول لك إنك وحشتني، دعني فقط أؤكد أن هذا ليس الروتين السنوي الذي اعتدتَه مني، ليست هي الـ«وحشتني» المعتادة التي أكتبها وأنشرها في الموعد نفسه وخلاص، فأنت ولا أحد سواك يعرف أن كل «وحشتني» أكتبها إليك تحمل وراءها أطنانًا من الحكي والرغي وحرقة القلب على غيابك. وكما قلت لك من قبل، كل شيء يصبح روتينًا بمرور الوقت إلا ألم الفقد الذي لا يخفُّ. أراك كثيرًا هذه الأيام، أراك في أحلامي قادمًا فقط للاطمئنان والسلام، وأراك طيفًا تمر على مكتبي وغرفتي والبلاد التي أزورها نادرًا، أستأنس بمرورك السريع وأتمنى أن تكثر منه فأنت في ذلك الأمر مُقلٌّ، لا تَقُل لي إنك مشغول، فأنا أعرف أنك تستطيع دومًا أن تجد لي وقتًا خاليًا بين زحمة مواعيدك التي لا تنتهي. وحشتني جدًّا، لن أستطيع أبدًا ترجمة هذه الحرقة في قلبي عندما أتذكر مرور السنوات ـ عادي كده ـ وأنت لست معي. أما العادي الوحيد فهو كل شيء أنت لست به، الحياة عادية والأشخاص عاديون والأحداث مهما كانت موجعة فوجعها بجانب فقدك عادي، ونحن الآن نعيش العادي، لا فرح ولا حزن يجعل القلب يهتز منذ ذهابك، لا أتذكر أي شعور اخترق قلبي حتى الداخل مثلما كان يحدث عندما ترن أنت جرس الباب، أو عندما أمرُّ من أمام الحديقة الصغيرة لأراك متمددًا تقرأ الجريدة في الصباح، كله بقى عادي، ولم أعد أنتظر أن يقفز قلبي من مكانه لأي سبب.

ومثل كل عام، أنتظر يوم نلتقي بنفاد صبر، أنتظر يوم اللقاء ويوم أشم رائحتك بلا إرهاق وتوتر استحضارها، أنتظر أن أنظر إليك

t.me/qurssan

وعيناي مفتوحتان ولا أضطر إلى غلقهما حتى أراك، وإلى هذا اليوم، كن سعيدًا وهانئًا، وانظر إلينا من مكانك وزرنا أحيانًا.

لك مني حضن طويل لا ينتهي.

دبي ـ الإمارات

ديسمبر ٢٠١٥

t.me/qurssan

عزيزتي كارمن،

كل هذه الفوضى والترتيبات العشوائية لأمور ظننَّا أننا نمتلك زمامها تمامًا تثير دهشتي.

أتصور طوال الوقت أنني لن يدهشني شيء، لن يصدمني أشخاص أو أقارب أو أصحاب، ولن أعاني خيبة الأمل أبدًا لأنني رأيت معظم الأشياء، وذهبت إلى معظم الأماكن، وقلت معظم الكلام، واشتبكت معظم الاشتباكات، ربما أتصور ذلك بسبب فرط غروري وتضخُّم ذاتي التي تلقَّت صفعة محترمة على قفاها في السنتين المنقضيتين.

لست الشخص نفسه، تغيرت كثيرًا فلم أعد الفتاة نفسها التي كنت أراها في المرآة. جذب أحدهم السجادة من تحت قدميّ لأقع وقعة طويلة جدًّا ومخيفة جدًّا، ولم أستقرَّ من يومها على الأرض، لم تنكسر رقبتي ولم يتلقفني أحدهم فتعود الحياة إلى ما كانت عليه.

t.me/qurssan

ترتيبات عشوائية تحدث طوال الوقت حتى تعطي نصف إله مثلي إلدارًا واضحًا، حتى أعرف أننا صُغيَّرين قوي يا سيد وأننا في منتهى الهشاشة والخفة.

كيف تلعب الذاكرة ألعابها؟ عندما عدنا أنا وإخوتي بعد العزاء الذي أقمناه لأبي منذ سنوات كثيرة جدًّا، أتذكَّر أنني رفعت صوت الراديو في السيارة ونحن في طريق العودة إلى البيت، وأتذكَّر جيدًا ـ كأنها البارحة ـ أن وردة كانت تغنِّي أغنية مميزة: «دنيانا سواقي وفراق ، تلاقي كل لفة يروح منا الموعودين». سألت نفسي وقتها عن الترتيبات العشوائية التي تجعل هذه الأغنية تنطلق من راديو السيارة بعد ساعات قليلة من توديعي أهم شخص في حياتي.

أتذكَّر أنني منذ سنوات ليست ببعيدة كنت أدخل كل المعارك، كل المعارك من دون أن أترك واحدة، أدخل وأنا لا أعرف إن كانت تلك المعركة ستساويني بالأرض، أم سأخرج منها منتصرة وقوية أعدُّ غنائمي، وأتذكَّر مشاعر كثيرة الآن، فيبدو لي المشهد كأنني أنظر إلى شخص آخَر لا يشبهني بالمرة، شخص لا علاقة له بي من قريب أو من بعيد، ولا أستطيع تقييم الموقف، ألم أكن أنا في تلك السنوات الخمس أم إنَّ ما مررت به من حماقات كان شرًّا لا بد منه؟ ألم يكن هناك بديل عن دخول هذه المعارك كلها أم إنني دخلتها لمجرد أنه لا بد أن يدخلها أحدهم؟ أيسوقني الأدرينالين كما يخبرني صديقي الذي يظن أنه يعرفني مثل كفِّ يده؟ لا أتذكَّر أي شيء سوى مشهد كبير لمعركة طويلة، وكثير من الصراخ والرسائل العنيفة واللوم والمقاومة، لا أتذكَّر حتى نصَّ الكلام أو المفردات

t.me/qurssan

التي استخدمناها، فقط أتذكَّر أن المشهد كان قبيحًا، وأنني كنت شخصًا آخر، وأنني كنت أقوم بأفعال من المستحيل أن أُفكر في فعلها الآن، بالتأكيد كنت أكثر عنفًا وأكثر قدرة على الإيذاء، ولهذا يؤلمني جدًّا كلام صديقي الصغير عندما يقول اليوم: «إنتِ مش طيبة وعنيفة أوي».

لا أتذكَّر أيضًا أي تفاصيل من اللحظات اللطيفة، أتذكَّر الأشياء بشكل عام ومن بعيد وعلى استحياء، ولا يوجد أي صوت في هذه الذكريات، ذكريات صامتة تمامًا، وهذا غريب لأن ذكرياتي دومًا صاخبة ومليئة بتفاصيل الأصوات المختلفة.

قرَّرت منذ فترة ـ عندما وجدت أن تجربة «جويل» و«كليمينتاين» تنجح في محو ذاكرتي من دون ترتيب ومن دون أسلاك كهربائية تتعلق برأسي لساعات غير محسوبة ـ أن أمحو كل الأشياء الباقية بإرادتي، الموضوع كله بضعة «فولدرات» من الصور التي فعلًا لا أتذكَّر متى التقطنا مُعظَمها، ولا أتذكَّر أي تفاصيل حقيقية عنها، والبقية هي بضعة حوائط فاقعة اللون أخذت مني يومين كي أزيل طلاءها، وأعيدها إلى ألوان لا تحمل أي ذكريات أو خلفيات صور من أي نوع.

فكَّرت للحظة أن أعتصر ذاكرتي وأن أجترَّ كل الأشياء حتى تظلَّ حاضرة معي بالمنطق نفسه، إن نسينا فسينسانا الجميع.

ولكن ماذا إن نسيَنا الجميع؟ طب ما أحسن! أعتقد أنني أفضِّل الآن ألا يتذكرني أحد وأن أتحول إلى هذا الشخص القابع في الظل بسكون وسلام، ما زلت أدخل في مشاكسات مع بعض المعارف

t.me/qurssan

اللذين أحيانًا ينطقون اسمي خطأ، وقفشت نفسي منذ يومين أشرح لأحدهم أنني أغضب جدًّا عندما أجد اسمي مكتوبًا أو منطوقًا بشكل مغاير، الغريبة أن ردَّه البسيط «وهي فارقة في إيه؟» أثار لديَّ كثيرًا من الأسئلة، فعلًا، هي فارقة في إيه؟ بالعكس، قد يكون أفضل كثيرًا أن يتصور الناس أنني لست الشخص نفسه.

تذكرت في هذه اللحظة أنني تقريبًا لم أكتب أي شيء مما حدث في السنوات الماضية سوى خطاباتي هذه، اللهم إلا بضعة نصوص غاضبة أو حزينة في سياق الحرب الدائرة التي لم أستطع حتى تدوين يومياتها، بسبب الرقابة المستمرة التي كنت محاطة بها من جيش كامل يوميًّا، كانت كل الأعين مسلَّطة عليَّ وعلى ما أفعل، حتى إنني زهدت الكتابة ولم أدوِّن شيئًا، لم تحفظ ذاكرتي تلك الأسابيع والشهور والسنوات، ربما لقسوتها؟ وربما لجحودي؟ وربما لعادية الأشخاص المبالَغ فيها، حتى إنهم لم يتركوا أي علامات دائمة؟

هذا خطاب مرتبك، لا يهدف ـ فعلًا ـ إلى أي شيء سوى أن أخبركِ كيف كنا نرى الأشياء، هو خطاب مرتبك لستُ متأكدة من الغرض من كتابته سوى أنني صحوت اليوم لأستمع إلى الست وهي تُكرر بإصرار: «سنين ومرِّت زي الثواني»، وشعرت بارتباك شديد وتوتُّر أكبر عندما وجدت بصدفة غريبة وردة تقول بعدها: «ونصبح ذكريات، مجرد ذكريات!»، لا أعرف إن كانت الترتيبات العشوائية تضع هذه الأشياء في وجوهنا لسبب ما، أو ربما لنلقي نظرة سريعة على ما فعلناه في أنفسنا، أم إنها مجرد أغانٍ تقودها الصدفة إلى السماعات في آذاننا.

t.me/qurssan

أعتقد أن مسؤوليةً ما ملقاة على كتفي بأن أكتب عن هذه اللحظات المرتبكة، وأعتقد أنني يومًا ما سأصاب بالزهايمر بسبب قدرة ذاكرتي على محو أحداث كاملة، برائحتها وبأصواتها وبأشكال أبطالها وبكل ما يتعلق بها. أحضرَت لي صديقتي مفكِّرة ضخمة لكي أدوّن خمسة أسطر كل يوم عما يحدث لي، وقاومت بشدة أن أستخدمها، ولكنني قررت اليوم أنَّ هذه المفكرة قد تكون مهمة بشكل أو بآخر، وإن كنت قررت أن أكتب فقط ما لا أريد أن أدفنه داخل ثنايا ذاكرتي التي أصبحت مثل المرحاض المسدود، تحمل كثيرًا من الخراء، ولا تستطيع تصريفه في أي مكان.

أرسلت اليوم إلى إخوتي أسألهم عن تلك الأغنية التي أعرف أننا سمعناها معًا في ذلك اليوم الأغبر، واستمعت بذعر خفي إلى الأولى وهي تقول إنها لا تتذكر أي سيارة أخذتنا إلى المنزل، ولا تتذكر أي أغانٍ من أي نوع، وإلى الأصغر وهو يقول إنه لا يَذكُر الطريق أساسًا من بدايته إلى نهايته، أدارت الأغنية فعلًا في الراديو في ذلك اليوم؟

هذه رسالة بالفعل مرتبكة ومربكة، ستبدو لقارئ غيرك رسالةً انتقاميةً مثل بعض الرسائل التي كتبتها في معاركي التي لا تنتهي، ولكني بالفعل لا أقصد بها أي شيء، قد تكون هذه محاولة مرتبكة لتقييم الذاكرة بعد سنوات من التلويش والتخبيط والانتقاء العشوائي، وقد تكون مجرد رثاء لِما فقدناه في الطريق في سنوات عجاف، أخذت منا الأخضر واليابس، وقد تكون ستارة تُسدَل لفصل نهاية لقصة طويلة أخذت أكثر بكثير من حجمها،

t.me/qurssan

وأصبحت مطموسة المعالم فتمسح هذه الرسالة ما تَبقَّى منها، وقد تكون توكيدًا أنه من الممكن أن يصبح أكثر الناس قُربًا غرباءَ لا يعرف بعضهم بعضًا، وقد تكون فقط تأكيدًا لمقولة الست: «سنين ومرَّت زي الثواني».

دبي ـ الإمارات
مارس ٢٠١٦

t.me/qurssan

حبيبتي جميلة،

أشعر اليوم بمشاعر ثقيلة الدم للغاية، وأشعر أنني كنت أسلك كل الطرق الخاطئة منذ عشر سنوات أو أكثر، وأشعر أنني نادمة على الكثير من الأشياء ولا أعرف إن كان هناك طريق آخر، لكي أعود من هذا الطريق البشع الذي يجبرني أن أمشي فيه بلا أدنى قوة على الهروب. قلت لكِ مرارًا إنني لا أريد أن أنقذك من أشياء يجب أن تفعليها، وأخطاء لا بد من أن ترتكبيها، ولكنني أرجوكِ يا جميلة ألا تعملي أبدًا عملًا له علاقة بالأخبار، ولا تقتربي من هذا المجال أبدًا، أضرب نفسي اليوم بالأحذية لأنني لم أستطع أن أنقذ نفسي منه في اللحظة المناسبة، فات الأوان ولم تعد هناك فرصة كي ألفَّ وأرجع تاني، وأصبَح قدري أن أظل في هذه الدوامة التي تقتل كل يوم جزءًا مني. تسألينني دومًا لماذا لا تبحثين عن مجال آخر وتتركين العالم الذي يجعلك بكل هذه التعاسة؟ وأخبرك ببساطة لأنني غبية وغير مسؤولة. هناك أشياء لا ندركها إلا بعد أن تبدأ في

t.me/qurssan

ذلك، إلا بعد أن تمر على أجسادنا وتُرينا أننا كنا مغفلين، لا أستطيع اليوم أن أترك كل شيء وأبدأ من جديد، لا أمتلك المال ولا الصحة ولا السلام النفسي الذي يجعلني أبدأ من جديد، كي أنحت في صخرة ضخمة لأكتب عليها اسمي، في كل الأحوال لن يتذكره أحد فورَ أن يواريني التراب.

لا يوجد لديَّ الحد الأدنى من القدرة على المعافرة، ولا من الجنيهات في حسابي البنكي الخائب ما يجعلني أقوم بهذه الخطوة بثقة وتصميم. تنتهي بي الحال كل يوم وأنا أنظر إلى كل ما تركت خلفي من عالم أعرف الآن أنني ربما كنت أنتمي إليه، وأنظر إلى كل ما تركت من فرص وأفكر في أثر الفراشة الذي جعلني أعود من سفرتي القصيرة كي أنسف حمامي القديم، وأبدأ في أسوأ مهنة في التاريخ، تلك المهنة المختلة التي لا أستطيع حتى أن أسميها «الصحافة»، ولا «الإنتاج الفني»، ولا «العمل الإعلامي»، هي المزيج الأسوأ بين كل هذا، المزيج الذي يحول الحياة إلى نسيج متماسك من الألم ومن عدم الاستقرار، المزيج الذي يُشعركِ كل يوم أن لا قيمة لكِ، وأنكِ مجرد أداة يستخدمها كل شخص على حسب طلبات المرحلة الزمنية التي وُجدتِ فيها، التي تتغير كل بضعة أشهر إلى الأسوأ. لا تعملي بالأخبار، وابتعدي عن أي شيء يخص التلفزيون أو الصحف أو الإعلام، وإن حاول أحدهم أن يجذبكِ لهذا الطريق، اجري بأقصى سرعتك في الطريق المعاكس واهربي بنفسك من هذا الجنون وهذا الجحيم.

أعرف يا جميلة أنكِ تحبين علم النفس، وأنكِ مشغولة بالكتابة

t.me/qurssan

والقراءة، وبجميع الأشياء الجميلة التي لن تجعلك في مصافّ الأغنياء يومًا ما، ولكن من قال إن هناك في هذه العائلة من يبحث عن الفلوس؟ الحمد لله، كلنا كنا ـ وما زلنا ـ بالحماقة الكافية كي لا نحاول أن نجمع الأموال في البنوك، أو حتى أن نستثمر بعضها في مشروعات صغيرة مثلما يفعل العاقلون والعاقلات من أقراننا. لن ألومكِ على اختياركِ أشياء تحبينها فعلًا وتحلمين بتحقيق ما لم يحققه أحد فيها، ولن ألومكِ ولن أخبركِ أن دراسة علم النفس قد تصيبكِ بالاكتئاب عندما تقتربين من كل ما هو قبيح في أنفسنا البشرية، ولن أقول لكِ إن كل نماذج الأمم المتحدة التي تشتركين في العشرات منها كل سنة ـ حيث تلعبين أدوار مجموعة من السفاحين والطغاة ـ لن تؤدي إلا إلى إصابتكِ بصدمات متكررة، ولكني فقط سأخبركِ أن كل الحكايات التي تقرئينها وتكتبينها هي فقط ما ستبقى، هي فقط ستظل لكي تُشعركِ بالحب والحياة، وبأن كل الجمال يوجد فقط في الخيال، وفي قصص كل هؤلاء الذين يمرون علينا كل يوم ولا يجدون من يكتب قصصهم مثلما تفعلين.

حبيبتي جميلة، أرجو أن تكفّي عن لومي لأنني كنت حمقاء في سنواتي العشرينية، وأرجو أن تتعلمي ولو قليلًا من أخطائي وعثراتي واختياراتي الغبية، وأرجو أن تستطيعي الاختيار بين أشياء قد لا تبدو واضحة مثل الشمس، وألا تتمردي فقط من أجل التمرد، وأرجو أن تكون لديكِ رفاهية التوقف والبدء من جديد عندما يبدو الطريق هو الأسوأ بين كل الطرق، وأرجو أن تجدي الشجاعة في قلبكِ، والصبر والجرأة وعدم الالتفات إن قال

t.me/qurssan

الآخرون كلهم إن ما تفعلينه أحمق، فقط استفتي قلبك ولا تعملي بالأخبار وستكونين بخير.

محبتي.

دبي ـ الإمارات

نوفمبر ٢٠١٦

t.me/qurssan

أبي العزيز،

منذ رحلتَ أتقنتُ كتابة الخطابات التي لا أنتظر عليها ردًّا، أكتب لك اليوم في نهاية عام ٢٠١٦، وبمنتهى الصراحة لا أعرف من أين أبدأ لك الحكي.

حقيقةً كانت سنة غاية في السوء، هناك الكثير من اللحظات التي مرت عليَّ في هذه السنة حين تمنيت من كل قلبي أن أدير دفة الوقت، فأعود وأهرب في الاتجاه المعاكس، لحظاتٌ من فرط قسوتها تدعو للضحك، أعرف أنه من المستحيل أن أتعلم أن أُثني اللحظات لصالحي. شاهدت هذا الفيلم الأمريكي اللطيف منذ فترة، يحكي عن شخص استطاع ببعض التدريب أن يغير دفة الوقت، ربما يكون هذا ممكنًا في وقت ما، وبالتأكيد عندما يحدث هذا سأعود لأمحو كل هذه اللحظات البشعة التي مرت من فوقي في هذه السنة الفائتة، وكل الأسرار التي لم أتمنَّ أن أعرفها، وكل الأماكن القاتمة التي أمضيت فيها أيامًا ثقيلة، وكل الأشخاص الذين كانوا أشخاصًا

t.me/qurssan

لم تحولوا إلى عدم، وكل الأحباء الذين رحلوا أو ارتكبوا أخطاء دفعتنا للرحيل عنهم.

لا أريد أن أوجع قلبك المريض، الذي أتمنى ألا يكون مريضًا الآن، أريد بشدة أن أحكي لك عن كل ما حدث وعما فعلوه بنا في غيابك، لا يوجد لديَّ حل سوى أن أحكي لك.

أسوأ اختيار يمكن أن يفعله الفرد منا الآن هو أن يعمل بالأخبار، نحن نعيش في القاع، لا أريدك أن تتخيل ما يحدث حولنا كل يوم من موت ورعب إنساني، بالتأكيد يتوافد حولك القادمون بالملايين، المجازر الجماعية تحدث في طرفة عين، والحروب الأهلية مستمرة منذ سنوات، ففي هذه اللحظة التي تتصور فيها أن الإنسانية قد تطورت بعض الشيء وأنه من العيب ـ وكل العيب ـ أن يقتل الأشخاص بعضهم البعض فقط بسبب الاختلاف في الرأي، تجد من يضغط أزرار أسلحة كيمائية لإبادة مدن بأكملها، وتجد على الطرف الآخر من يمشون بخطًى واثقة لدور العبادة لتفجيرها ببساطة وسلاسة غير مسبوقة. أتشعر أنك سمعت هذا مني من قبل؟ نعم كتبته من قبل، ثلاث عشرة سنة منذ رحلتَ وما زالت هذه الأشياء تحدث، ويبدو أنها ستستمر في الحدوث حتى الفناء. أما أنا فأصنع حلقات تلفزيونية وأنا جالسة على مكتب صغير في بلد هادئ والعالم ينهار من حولي، أصنع الحلقة بكل هدوء وأدخل بعدها لأبكي لدقائق في الحمام، ثم أخرج عادية والعالم ما زال يتساقط، لأستعد لحلقة مقبلة أتكلم فيها عن مزيد من الشر والدماء.

أما عن الصعيد الشخصي فبالتأكيد وصلتك الأخبار، كنت جالسة

t.me/qurssan

في مكاني لا بيَّ ولا عليَّ عندما جاءتني هذه المكالمة التي تعرفها، اتصالٌ مرتبك يطلب مني الذهاب فورًا إلى المستشفى لاستلام تقرير طبي مهم، أتعرف؟ عندما استقللت المصعد في طريقي إلى المستشفى كنت أعرف أن هذه هي المرة الأخيرة التي سأنظر فيها في المرآة لأرى وجهي بهذا الشكل، كنت أعرف أنني لن أعود الشخص نفسه الذي كان يتناول قهوته في غفلة منذ دقائق قليلة، لم أكن أتخيل أن أتغير لهذه الدرجة، وبالتأكيد لم أكن أتخيل أنني سأمرُّ بهذه التجربة من الأساس، فأنا بي من الغرور ما يجعلني أؤمن أن هذه الأشياء تحدث للآخرين فقط. لا تقلق، فقد علمتني هذه السنة أن كل شيء سوف يحدث لي أنا بالتحديد وبشكل شخصي، وأن الحياة ستمر من فوقي بكل ثقة حتى تساويني بالأرض. كانت التجربة فارقة وفاصلة، تجربةٌ لم ولن تعود الحياة بعدها مثل قبلها، تلك الحياة التي نضعها في جيوبنا فلا نعرف أنها إن انقلبت علينا سترينا أسود الأيام وأبشع اللحظات. المهم، قررت الحياة أن تسحب من تحت قدميَّ السجادة في لحظة غادرة وغير محسوبة، وأُصبت بحالة من التبلد والبرود جعلتني متماسكة بشكل مقلق ومخيف، لم يغب حضورك عني أثناء هذه الأشهر لحظة، أتذكَّر مقاومتك للمرض وتمسكك بالحياة التي لم تكن بهذا السوء وقتها. أسأل نفسي طوال الوقت، أما زالت تستحق الحياةُ التشبثَ بها؟ أفكر طوال الوقت في أن أرخي يديَّ اللتين تمسكان بحافة العالم، وأترك نفسي لأعبر إلى الجانب الآخر بكل الحب.

دعني أقول لك إن الحياة لم تعد كما تركتَها، أعرف أنك لم تترك

t.me/qurssan

أفضل حياة ممكنة منذ ثلاث عشرة سنة، بالعكس، فقد كانت سيئة للغاية وتكفي الحرب التي اندلعت حين رحلتَ، ولكن إن كنا نرى الحياة التي غادرتها منذ ثلاثة عشر عامًا بشعة، فدعني أخبرك أنها بالمقارنة بما نعيشه الآن كانت أكثر مرحًا من عرض كوميدي متواصل، أو سيرك ترفيهي سعيد. باختصار، هذه أسوأ حياة يمكن أن تُعاش، وأسوأ لحظات العالم بالكامل، هي حياة يجب أن تفنى، ويجب أن تنتهي الآن وليس غدًا، ما نعيشه اليوم يبدو كعقاب أبدي عبثي بدأ في ربيع حياتنا ولن ينتهي إلا بموتنا جميعًا وعودتنا إلى التراب، نحن منغمسون في الدماء، عبرنا مرحلة التلوث بالدم وأصبحنا نسبح فيه يوميًّا، وصدقني عندما أقول إن هذه الدماء لا يزيلها أي شيء.

تأكدت الآن فقط أنه لا يوجد ما يستحق الحياة، صدقني عندما أقول لك إنني لولا الخوف الذي ما زلت أشعر به أحيانًا لم أكن لأتمسك للحظة بأيام هي أسود ما رأيت منذ وُلدت، ما زلت أحاول أن أتعرف على نفسي بعد ما حدث، وما زلت أشعر بالتبلد ولا أعرف إن كنت قادرة على الاستمرار والمقاومة، وحتى الآن كل شيء يمضي بقوة الدفع.

بصراحة، فقدت الاستمتاع بمعظم الأشياء، فقدت الثقة في الكثيرين ولكني لن أسمي لك أشخاصًا بعينهم حتى لا تحزن، ولكن بجملة ما حدث في هذه السنة اللعينة وبجملة ما فقدته، كان للمقربين حظهم في الابتعاد وفي خلق المسافات الأصعب والأكبر.

اليوم، وبعد ثلاثة عشر عامًا، سألتني إحدى صديقاتي بقلق إن كنت أتذكر صوتك، أتعرف كم هي صعبة الإجابة عن هذه الأسئلة؟ قلت

t.me/qurssan

لها باقتضاب ألا تقلق، قلت لها إن صوتك طوال الوقت في أذنيَّ، وإنني ما زلت أشم رائحتك بالضبط كأنني أتمسح بأحضانك على كنبتنا القديمة، وقلت لها إنني أشعر أنك كنت معي بالأمس ولكنك غائب منذ ألف عام، وقلت لها إن هناك أشياء من المستحيل أن تُنسى، حتى إن رحلتم أنتم مخلفين وراءكم حطام أشخاص مكسوري النفس والقلب والظهر. لم أقل لها إنني ما زال يختلط عليَّ الأمر أحيانًا، فلا أعرف إن كنت رحلت فعلًا أم إنك جالس معي تردُّ على أسئلتي وتوبخني، وتستسلم لمقاوحتي لك ودلعي عليك، ولم أقل لها إنني في لحظات كثيرة أستبشر بالموت وأراه صديقًا يقرب المسافات ويجمع الأحباء، ولم أقل لها إن يومًا بعد يوم كلَّ شيء يذهب بلا عودة إلا أملي في لقاء قريب بك، وحتى هذا اليوم لا تقلق، أنا كما تركتني، لا أمتلك شيئًا، ولا أتمسك بشيء، ولا أريد أي شيء سوى لحظة واحدة أخيرة معك.

إلى لقاء قريب.

دبي ـ الإمارات

ديسمبر ٢٠١٦

t.me/qurssan

عزيزي يوسف،

أمس حلمت بك حلمًا طويلًا رائقًا واضحًا، لدرجة أنني قمت من نومي فزِعة أتفقد هاتفي المحمول خوفًا من أن أكون قد أرسلت إليك رسالة حمقاء عندما كنت بين النوم واليقظة، بعد ليلة عنيفة وتعيسة من الأخبار القاتمة وعد الأموات، كان غريبًا جدًّا أن تزورني في أحلامي للمرة الأولى، توقيت مُرْبك جدًّا، ولا أعرف لِم تتجلَّى لي بهذا الوضوح على الرغم من عدم لقائنا قَطُّ، ربما لأنني أحكي عنك كثيرًا، وأحكي عنك قصصًا طويلة جدًّا، لا أعرف كيف أستخلصها من حواراتنا القصيرة التي لم تتعدَّ بضعة أسطر لا تقول أي شيء عن الآخر، وتُصر فيها أنت على أننا لا نعرف بعضنا بعضًا، وأن هذا سيتحقق فقط إن التقينا.

أنا أحب هذه الحالة الحالمة من السنتمنتالية التي تنتابني بينما أنظر إلى الصورة الأخيرة التي وضعتَها على حسابك، وأرى فيها بوضوح ما يسميه الأجانب «Piercing eyes» أو «الأعين النافذة»،

t.me/qurssan

ترجمة سخيفة ولكنها حقيقية، عيناك تخترقان الشاشة أمامي ببساطة، أراهما وأدعو ألا تكونا مثيرتين لخيبة الأمل عندما أراهما.

الحب كلمة مخيفة، ربما مبتذلة كذلك؟ لا أعرف، ولكنني كنت أحكي لصديقنا المشترك الصغير أنني أشعر بكثير من الامتنان لأنني تعرَّفت إلى الحب من قبل، بل وأمضيت ثمانية أشهر أرتع في خباياه ولحظاته الذهبية التي هي ليست من هذا العالم. أنا شخص محظوظ جدًّا، ففي يوم ما وقفت أمام المرآة تمامًا مثل «كلاريسا دالاواي»، وقلت لنفسي ها هي ذي السعادة، لا تبحثي عنها لأنها هنا، هذا هو الحب يتجلى واقفًا واضحًا مبتسمًا يلوِّح بيده ويقول لي: «استمتعي، فلن أظلَّ هنا كثيرًا».

أصحو من النوم وأحاول أن أستحضر تفاصيل الحلم، ولكن لا يبقى منه في ذاكرتي سوى ابتسامة صافية على وجهك، وآثار حضن قوي على كتفي، وإحساس عام بالسعادة، وببعض الجهد أستطيع استحضار رائحة لا أعرف من أين أتيت بها، ولا أعرف أصلًا إن كنا نستطيع تمييز الروائح في الأحلام، أم إنه العقل الباطن يلعب ألعابه من جديد؟

خارج الحلم أحاول أن أتفادى الأخطاء التي ارتكبتها طوال عمري، فأحاول ألا أكون متحمِّسة أكثر من اللازم، وأحاول ألا أكون عنيفة وسخيفة. هذه الصفات التي لاحظتها بعد أيام معدودة من حواراتنا الافتراضية وعلَّقت عليها بضيق، وأحاول ألا أكون صاخبة أكثر من اللازم، وألا يكون وجودي ثقيلًا، وألا يثير ارتباكي حفيظتك، وألا أتصرف تصرفات عشوائية تُفسد كل شيء

t.me/qurssan

قبل أن يبدأ من الأساس، وأحاول ألا أُتلِف كل شيء برسائل غبية وصور مستفزة وكلمات غير محسوبة، وأحاول أن أُلهي نفسي بقراءة نصوص غير مترابطة لأشخاص لا يجمعهم أي شيء. في الصباح أستحضر إحدى الحكايات التي أخبرتَني بها، ثم أقوم لأفتح صفحة عشوائية من رواية قديمة، لأجد أن «توماس» يتمزق قلبه من الأوجاع التي تسببها «تيريزا»، وهو يعترف أنه غير قادر على تحمُّل الحزن الذي يسببه حلم واحد من أحلامها، أتنهد وأغلق الكتاب وأنطلق إلى عملي في صباح جديد.

أجد الكثير والكثير من العلامات التي تقول لي إنه لا بد من لقاء قريب، ولكني أعرف أيضًا أنك لن تتحرك إلا عندما تتحرك الجبال، أو ربما تحركت الجبال وظللتَ أنت ساكنًا، قد تكون غير مهتم من الأساس، مشغولًا، مشتَّت الذهن، وقد تكون هناك حمقاء أخرى أكثر ذكاءً وأحلى وأصبى. الفكرة في حد ذاتها تثير قلقي، وأتمنى داخلي ـ وأحيانًا بصوت مسموع في رسائل صوتية إلى صديقتنا المشتركة ـ أن تفشل فشلًا ذريعًا، وأن تثير الفتاةُ الذكية التي افترضتُ أنك تواعدها الآن خيبةَ أملك، وتدرك أنني أذكى وأجمل. هذه هي بالضبط الأشياء التي كنت أحاول أن أخفيها حتى لا تفزعك، ولكنني أعتقد أنك لن تقرأ هذا الخطاب أبدًا، وإن كان خيالي الرومانسي يتمنى أن نقرأه يومًا ما معًا، ونحن نشرب النبيذ ونضحك في صورة سينمائية مبتذَلة وجميلة.

هذه السنتمنتالية لا تليق بي ولا تشبهني، أو ربما هي تشبهني أثناء محاولتي إخفاء هذه الحقيقة في قلبي، كما أُخفي عشرات

t.me/qurssan

الأشياء والندبات التي لا أريد كشفها لنفسي أو للآخرين. أفعل أشياء جامحة، بعضها لا يشبهني وبعضها يأتي على هواي لأنني أكتشف أنني ما زلت صغيرة، وما زلت أستطيع أن أفاجئ نفسي وأفاجئ العالم، بعد أن كنت تصورت أنني قصة قديمة مقروءة ليس بها ما يثير الدهشة أو الفضول. أفعل الأشياء الجامحة الخطرة بلا أي حسابات من أي نوع، بل أحيانًا أراني أتدحرج من قمة الجبل، دحرجة مليئة بالأدرينالين، وأدوس في طريقي كثيرًا من الاحتمالات المفتوحة التي أراها تموت أمامي، كما يموت المنطق أمام تصرفاتي الطائشة.

في منتصف ثلاثينياتي أستمتع كثيرًا بالطيش الذي لم أمارسه قَطُّ، فأنا العاقلة التي تظلُّ واعية في أحلكِ الظروف. أمسك في يدي طوال الوقت بكل الخيوط، ويقولون عني إنني مهووسة بالسيطرة لدرجة منعتني من الاستمتاع بكثير من اللحظات، التي إن كنت تركتها تمضي بلا حسابات لَأصبحتْ أحلى لحظات العمر كله، أما الآن، وبكثير من السيطرة، فأترك يديَّ لدقائق معدودة لأشعر بجميع الحبال تنفلت منهما، وبالسقوط بلا حسابات، وبكل الخطر الموجود في العالم. أستمتع أيضًا بهذه النغزات الرقيقة في قلبي عندما أرى صورتك أو أرى جملة ذكية تكتبها في فضاءاتك الإلكترونية، وأستمتع وإن كنت لا أعرف إن كان هذا بسبب استحضار هذه الهالة التي أفتقدها، أم إن كان هذا إحساسًا أصيلًا وثاقبًا وحاضرًا بلا زيف. وتخيفني أيضًا حالة السلام النفسي التام التي ألاحظ أنك تعيشها، حياة هادئة مليئة بزجاجات البيرة

t.me/qurssan

والحدائق الخضراء جدًّا، والاسترخاء المبالغ فيه على كراسيَّ مريحة جدًّا، لدرجة أنني سمعت جملة «هوَّ أصله عايز يستقر» أكثر من مرة في أيام معدودة، وأدركت في هذه اللحظة أن كلًّا منا في عالمه، لا يريد ما يريده الآخر على الإطلاق، وإن كان هذا لم يساعدني على اللَّفِّ والمُضي في سكة مختلفة.

أشعر فجأة أنني أريد أن أرسل إليك الخطابات، تستهويني فكرة المسافات بقدر ما تثير غيظي، ويستهويني أيضًا أنني دومًا أجد نفسي في دوامة إعادة القصص القديمة التي لم أكُن جزءًا منها من الأساس، وفي لحظة ما، أُوشك أن أسألك عن عنوانك البريدي، ثم أشعر بالسخف والابتذال، مَن يُرسِل رسائل ورقية في زمن الإنترنت والرسائل الفورية والإيميل وكل وسائل التواصل السريع مجتمعة؟ لا أريد أن أفتعل لحظة معينة، ولكنني فقط أريد أن أكون أهدأ، وأن أتكلم معك من دون أن أكون مترقبة الرَّدَّ في اللحظة نفسها، ومن دون أن أحدف جملة سخيفة بسبب الارتباك والسرعة ومباريات البينج البونج التي دفعتنا إليها التكنولوجيا دفعًا، وفقدنا في زخمها الكثير من التدبر. لا أثق كثيرًا بذكائي العاطفي، ولكني أثق أنني لا أحاول إعادة التدوير أو خلق اللحظة المعينة التي أبحث عنها لأكتبها ثم ألقيها في القمامة. هناك شيء رائع يجعلني أتقافز في مكاني وأتأمل، وتتحول عيناي إلى قلوب مثلما يحدث في أفلام الكارتون، وأحلم أحلامًا رومانسية بلحظات أُولى لم تحدث بعد.

أفتح الرابط الثمين لإذاعة الأغاني، لأجد عفاف راضي تغنِّي

t.me/qurssan

بحماسة شديدة: «بكرة يا دنيا نلف الدنيا واللي ما شافش الدنيا نقوله أهي دي الدنيا»، وأعتبرها رسالة صريحة للحب أو لأشياء لطيفة وجميلة وسعيدة ومبتذَلة، لا تتناسب مع الأيام السوداء التي نعيشها الآن.

محبتي.

دبي ـ الإمارات

يناير ٢٠١٧

t.me/qurssan

عزيزي يوسف،

تلقيت رسالتك الأولى اليوم، وأوشك قلبي أن يتوقف من الخضة، ليس من المعقول أن يكون الموضوع بهذه السهولة، لم أتعود هذه البساطة، وتوقعت الكثير من الهات والخد والتلميحات والمناورات والأسئلة الوجودية، لكنك قررت أن تكون أكثر لطفًا ـ كالعادة ـ بشكل فاق توقعاتي كلها. أرسلت رسالتي الأولى وأنا أعرف أنك كنت قد قرأتها بالفعل قبل أن أرسلها، ولكني رأيت بعض الرومانتيكية الحمقاء في إرسالها كما كتبتها بالضبط، وبكثير من الجهد منعتُ نفسي من وضع وردة مجففة في الظرف، وإن كان هذا سيكمل الكليشيه المراهقاتي للنهاية، كويس إنها جت على قد كده.

أكتب لك اليوم وأنا أجلس في مكان لطيف جدًّا، الطقس اليوم أكثر استقرارًا من البارحة، ربما لأني اليوم سعيدة؟ وربما بسبب تغيير المناخ واختلاف درجات الحرارة في العالم؟ وربما لأنني كنت أقرأ منذ دقائق خطابك الأول لي، الذي بدأته وأنهيته بأن «الوصل جميل»،

t.me/qurssan

وجعلني هذا أشعر بالفراشات تمرح في قلبي؟ لا يهم، المهم أنني اليوم أشعر أن الطقس جميل والمكان الذي أجلس فيه وأنا أكتب هذا الخطاب جميل، وفوق كل هذا بالطبع الوصل جميل.

لن أخفي عليك أنني أشعر ببعض الخوف، أنت تعرف، عندما نجد بعض السعادات ينقبض قلبنا ونتمتم بتطيُّر «خير اللهم اجعله خير»، أخاف أن تنتهي هذه السعادة التي أشعر بها فجأة مثلما ينتهي كل شيء، وأخاف أن يختفي أحدنا فجأة وهذا قابل للحدوث لأي سبب، وأخاف قسوة كل ما يحدث حولي، وأخاف أن تمسَّك القسوة من بعيد أو من قريب، وأحاول من كل قلبي أن أُبعد كل الأشياء السخيفة عن خيالي، وعندما لا أجد مفرًّا أفتح هاتفي لألقي نظرة على صورتك وأنت تبتسم بطمأنينة لا أعرف من أين أتيت بها، وأحاول ألا ألتفت لبعض القسوة التي تظهر في الابتسامة نفسها على جانب فمك. أدفع الأفكار السوداء دفعًا عن قلبي، وأتمنى أن أكون أراك كما أنت، لطيفًا ومطمئنًّا وتتعامل مع كل شيء ببساطة وسلام. أقول لنفسي إننا كبرنا ولم يعد هناك مكان للقلق الزائد، ولم يعد هناك مكان لألاعيب الصغار ومكرهم وشرهم الذي يواجهون به العالم، الآن نحن أهدأ وأكثر قدرة على احتضان آلامنا ومخاوفنا من كل شيء، من دون أن نؤلم بعضنا البعض، وكما تعرف، نحن لسنا في مكان يسع الحالمين، حتى ونحن في قمة الصفاء النفسي، نعرف جيدًا أنه من الوارد أن تأتي شاحنة محملة بالطوب الثقيل لتساوينا بالأرض، ولكننا فقط نأمل ونحلم حتى لا يبتلعنا اليأس.

لن أكذب عليك، يهمني جدًّا أن أكتب لك الخطابات، وتهمني

t.me/qurssan

الكتابة إليك ولبعض الآخرين، ربما هؤلاء الذين لا أريد أن أنسى ما حدث معهم، أخاف جدًّا من فقدان الذاكرة وتلاعبها، وأشعر أنني سأصاب بتصلب شرايين المخ المبكر، أو ربما الزهايمر أو الخبل، مؤخرًا أنسى الكثير من الحوارات، وأنسى حوارات دارت بيني وبين أشخاص يهمني أمرهم وقد يهمهم أمري. لا أتذكر فقرات كاملة من اليوم، ولا أتذكر أماكن، وعلى أفضل الأحوال ـ أحيانًا ـ أتذكر شيئًا ما يحيط بالمكان، وإن كنت أنسى كل ما دار به من أحداث. أخاف أن أنسى أي شيء دار بيني وبينك، حتى الرسائل البسيطة التي تبادلناها أعود إليها كل بضعة أيام لأُذكر نفسي بكل كلمة فيها، النسيان هو أقسى ما يمكن أن يحدث لنا. وعلى الجانب الآخر أقاتل كي أنسى أحداثًا ومشاهد تركت آثارها في ذاكرتي، لكنها تصر على التشبث بعقلي، مهزلة.

أستمع ـ وأنا أكتب إليك ـ إلى عبد الحليم حافظ وهو يقول والفرحة تتقافز من صوته: «بعد يومين هيجيني جوابه يسعد بيه قلبي وأحبابه»، وأفكر أنني ما زلت أحب عبد الحليم حتى مع كل رومانسيته التي تبدو أكثر بلاهة في وقتنا هذا عما قبل. أشعر أحيانًا أنني ما زلت مراهقة أستمتع بكل طيش هذه السن الصغيرة، وأستمتع بالأغاني وأتناسى أنني كبرت، ربما أكون كبرت جدًّا. بعض الأشخاص يقولون إن هذا يسمى «متلازمة بيتر بان»، الطفل الذي يظل طفلًا إلى الأبد، وأنا أقول إنني ظللت سنوات أشعر أنني أكبر سنًّا من كل من يحيطون بي، حتى إنك ظننت لفترة أنك تصغرني في السن على الرغم من أننا لا يفصل بيننا إلا أشهر قليلة، ربما أبدو أكبر من سني بعض الشيء،

t.me/qurssan

وربما تغيرت ملامحي بشكل ما بسبب الأدوية والجراحات المتكررة، لا أعرف. كل ما أعرفه أنني صحوت يومًا من النوم لأشعر أنني ما زلت في عشرينياتي، ولأشعر أنني صغيرة وأن تلك السنوات الكثيرة لم تُسرق مني في لحظة لا أتذكرها. أنا يا عزيزي ما زلت صغيرة جدًا، لم أكبر لهذه الدرجة ولم تترك السنون آثارها فوقي كما يقولون، وما زلت أستمع إلى أغاني عبد الحليم وأفكر فيك، وما زلت أرقص حتى تخذلني قدماي، وما زلت أضيع الباقي من صحتي في تدخين غير مسؤول، وأسلوب حياة يحرق الأيام كما تحرق النار الأوراق المشبَّعة بالبنزين.

في خطابي الماضي كنت أريد أن أحكي لك عن حفلة تنصيب الرئيس الأمريكي التي تزامنت مع تحضيرات إعلامية شديدة الحزم، في غرفة الأخبار التي أعمل بها، لكنني ظننت أن هذا قد يكون أمرًا ثقيلًا بالنسبة لبداية تعارُفنا. لا أستطيع أن أمنع نفسي من أن أحكي لك عما يدور حولي، حتى إن كان غير لائق أو غير معقول. أصلًا، كان من الأولى أن أحكي لك عن نوفمبر الماضي، عندما ظهرت نتائج الانتخابات الأمريكية هنا في القاعة التي استعارتها السفارة من الجامعة الأمريكية، ربما بصفتهم شركاء في الجنسية، المهم أن السفارة قامت بدعوة عدد من الموظفين من شبكة الأخبار التي أعمل بها، بصفتها شركة تابعة للحكومة الأمريكية. كنت قد سهرت الليلة التي سبقت صباح النتائج لأتابع خريطة الولايات، وأرى إن كان اللون الأزرق هو الذي يتقدم أم الأحمر، نمت في الخامسة صباحًا وصحوت بعد ساعتين كي أذهب إلى الإفطار الذي حضرَته

t.me/qurssan

السفارة، ودُعيت إليه بصفتي موظفة في الشبكة الإعلامية الأمريكية التي تهتم بالشأن العربي كما يقولون. ما الذي يمكن أن يكون أفضل من رؤية نتائج انتخابات دولة وسط رعاياها؟ أنت تعرف الآن بالطبع نتائج الانتخابات التي فوجئ بها معظم العاملين بالقناة من أصحاب الجنسيات العربية، وكان جديرًا بالملاحظة أن ترى نظرات الهلع في أعين معظم موظفي السفارة، وهم يرون اللون الأحمر الجمهوري يجتاح الخريطة، في إشارة واضحة لفوز «ترامب» الذي يبدو في جميع أحاديثه أكثر بلاهة وخطرًا وشرًّا من «البوشينِ»؛ الأب والابن. غادرت القاعة التي اكتست بوجوم ملحوظ، وانطلقتُ بسرعة إلى عملي لأجد العكس، الكثير من الوجوه الغابطة. لم أستطع أن أمنع نفسي من السؤال: «هو انتو مبسوطين عشان «ترامب» كسب يا جماعة؟»، رد أحد المحررين المصريين: «محدش هيظبط العالم غير واحد زي «ترامب»، كفاية التخاذل اللي «أوباما» كان فيه. «ترامب» الوحيد اللي هيتعامل بحزم مع المهازل اللي بتحصل في العالم». هززت رأسي واتجهت إلى مكتبي وأنا أعرف أن المهازل التي يقصدها زميلي هي كل ما حدث من ثورات في البلاد العربية، قال يعني إحنا ناقصين، ما علينا. المهم، بقدر ما حاولت أن أتفادى التعامل مع فوز «ترامب»، استطعت أن أنجو بنفسي من أي تعليقات في البرنامج الذي أُحضره أسبوعيًّا وتكون لها علاقة بالحدث، أقصى ما أصابني هو أنني جلست في إحدى غرف المونتاج لأشاهد باستمتاع المونتير وهو يمسح تقريرًا أعده أحد المحررين منذ أسبوع تقريبًا، عن الاسم المستقبلي لـ«بيل كلينتون» بعد أن تفوز «هيلاري»، وهل

t.me/qurssan

سيسميه العالم «الرئيس الأسبق» أم «الرجل الأول» كما تسمى زوجة الرئيس «السيدة الأولى»؟ الحمد لله الذي عافانا، كانت تجربة غريبة ومزعجة، ولكن الحمد لله على كل شيء، أمر الله.

كانت أزمتي الوحيدة عندما فاز «ترامب»، أنني ربما لن أستطيع الحصول على التأشيرة الثمينة التي تضمن لي بضعة أيام كل عام في أنحاء نيويورك الحبيبة، وعندما استطعت تجديد التأشيرة تنهدت بارتياح وأنا أمسك جواز سفري الأخضر، الذي يحتوي على تأشيرة دخولي إلى أقسى وأغرب مكان في العالم، لا شيء آخر يهم، لا قانون اللاجئين ولا التشديدات على المقيمين هناك، لا يهمني سوى استطاعتي ركوب الطائرة في اليوم الذي أحدده في خمس سنوات جديدة، أستمتع فيها بامتياز يصعب على كثيرين في مثل سني وحالتي الاجتماعية. أردت أيضًا أن أقول لك في خطابي السابق إنني حزينة جدًّا بسبب موت سيد حجاب، وأشعر أن جميع الشعراء الذين أحبهم يموتون واحدًا بعد الآخر، والأسوأ أنه مات يوم ٢٥ يناير، حتى يظل اليوم يحمل ذكراه ويصبغنا بشيء من النحس، وعلى الرغم من عدم فهمي لكثير من السجع المعقَّد الذي كان يستخدمه، فإنني ومنذ أن رحل ترنُّ في أذنيَّ جملة: «إحنا في توهة وهارية»، وأشعر أنها من أكثر الجمل التي تليق بنا الآن. ما زلت أشعر بالخجل وأنا أكتب عن أحداث ثقيلة الدم، في حين يجب أن أكتب عن أحداث أكثر إيجابية ولطفًا، هذه أشياء يمكن أن تؤجَّل وليست ملحة بهذا القدر.

أشعر أنني أتكلم كثيرًا وأقول كلامًا غير مترابط، وربما يخيفك هذا الارتباك الواضح في كلامي، نحن لا نعرف بعضنا البعض، أنت

t.me/qurssan

ؤكد لي طوال الوقت أنني لا أعرفك جيدًا وأنك لا تعرفني إلا من خلال أصدقائنا المشتركين، وصفحات التواصل الاجتماعي، وما أرسله لك من صور ومقاطع فيديوهات تضحكك أحيانًا، وتراها حمقاء ولا تدعو للضحك في أحيان أخرى. أحاول أن أستحضر كل المرات التي اجتمعنا فيها في الأماكن نفسها، وكل الطاولات التي جمعتنا، والأحاديث التي تَشاركنا أطرافًا منها من دون أن نتحدث ولو لمرة لبعضنا البعض. لا أعرف إن كانت هذه علامة سيئة أم لا، لكني أعرف أن وقتًا كثيرًا قد ضاع ونحن ندور حول بعضنا البعض، ونتقاسم أشياء من دون أن ندري، وأعرف أيضًا أنني أرجو أن ينتهي هذا يومًا ما.

المهم، «ابعتلي سلام قول أي كلام» كما يقول عبد الحليم الآن على «ساوند كلاود»، وقل لي أيضًا إن كنت تحب عبد الحليم أم لا نحبه، هذا أمر غاية في الأهمية كما تعرف.

محبتي وسلامي.

دبي ـ الإمارات

مارس ٢٠١٧

t.me/qurssan

عزيزتي كارمن،

أكتب لكِ اليوم لأحكي عما حاولت أن أتجاهل الكتابة عنه كثيرًا، أكتب لكِ عن حدث انتهى منذ أكثر من سنة واستطعت أن أتجنب التفكير فيه، بل والكتابة عنه طوال السنة الماضية، وعلى الرغم من كل هذا الإنكار الذي يليق بأعقد كُتُب علم النفس، فإن نهاية علاقتي بآسر لم تكن أسوأ ما حدث، بل ربما لم تكن بهذا السوء على الإطلاق. في الحقيقة كان الإقلاع عن التدخين أصعب بكثير، أما بداية ممارسة الرياضة فكانت الأصعب على الإطلاق. عندما هاتفني أحد الأشخاص الذين جمعتني بهم علاقة منذ سنوات وسألني بحذر: «أخبار الجواز إيه»، رددت ببساطة أن الموضوع انتهى بعد أقل من سنة واحدة، فقال بتلقائية شديدة: «طبعًا إنتِ مش بتاعة جواز خالص!»، اعتبرت هذه الجملة نوعًا من المديح وإن كنت لست متأكدة إن كان هذا ما يقصده أم لا، وهو قد تزوج وأنجب الكثير من الأطفال، مما يثبت أنه على عكسي، بتاع جواز جدًّا.

t.me/qurssan

لم تكن النهاية أسوأ ما حدث، بالعكس تمامًا، ربما كانت من افضل الأشياء على الإطلاق، لا أستطيع أن أقول بالثقة نفسها إنها لم تكن صعبة، بالتأكيد كانت صعبة وكانت سخيفة، وكان أسخف ما فيها السؤال الذي تكرَّر يومًا بعد يوم: «هوَّ إيه اللي حصل؟». وعلى الرغم من محاولاتي المستمرة لأن أتجنب السؤال وبالتالي الإجابة عنه، فإنني قررت في لحظة ما أنني لن أدافع عن نفسي، أنتِ تعرفين آسر وتعرفين معظم ما حدث، بل ربما تعرفين من التفاصيل ما لا يعرفه آسر شخصيًّا. أتذكَّر الشهور الأولى والاندفاع الشديد وعدم التفكير في عواقب الأمور، وأتذكَّر أيضًا عندما جلسنا في أحد المقاهي أمام البحيرة في مدينة بالتيمور وأنا أحكي لكِ عن علاقتنا المعقدة، وأنت تقولين بتشكك شديد: «ما بلاش أحسن»، وأنا أُطمئنك بثقة حمقاء أنني أمسك بزمام الأمور. أنت تعرفين أيضًا أن تجربتي كانت مثيرة للجدل، فحين رآها المقربون معركة قوية وملهمة، رآها آخرون مدمِّرة، ورآها أشخاص لا يعرفوننا شريرة وحقيرة، أما أنا فكنت أعرف جيدًا يا عزيزتي أنني أخطأت كثيرًا حتى وإن كنت في لحظة ما آمنت بهذه الأخطاء، واستسلمت لكونها فقط جزءًا من كل ما كان يجب أن يكون، وكان من المستحيل تفاديها أو مراوغتها. ربما أسوأ ما فعلت هو الاستسلام للملل الذي تسلل بدأب وحماس إلى علاقتي بآسر يومًا بعد يوم، بعد أن انتهت كل الأسباب التي جعلتنا نُصِر على البقاء معًا. كانت هذه العلاقة كل شيء وعكسه، فإن كان الأدرينالين هو الدافع الرئيسي الذي جعلنا نستمر سنوات معًا، فإن الحياة أصبحت بعد فترة قصيرة جدًّا أكثر

t.me/qurssan

مللًا من فيلم «سلامة في خير»، الذي تعرضه قناة «روتانا كلاسيك» ست مرات على الأقل في الشهر.

كنت في مرحلة ما أجد نفسي أرسل عشرات الرسائل، وأتلقى مثلها بدأب واستمرارية مخيفة تلتهم الأيام بالكامل. في يوم ما كنت في طريقي إلى المستشفى لأتلقى «بروتوكولًا علاجيًّا جديدًا» للمرة الأولى، يعتمد على حَقْني بمادة تُفرِّغ جسدي من أحد هرموناته الأساسية، ووضعه في حالة من الإعياء الشديد، ثم حَقْني بمادة مشعة جديدة تستغل ضعف الجسم المفاجئ فتهاجم بشراسة ما تجد من خلايا خبيثة، وقد تهاجم أيضًا الخلايا السليمة. عندما قمت بإجراء مشابه في مصر، استخدم طبيبي الطريقة الحانية التي تعتمد على ترك الجسم بلا دواء، حتى يصل إلى هذه الدرجة من الضعف بعد شهر أو أكثر قليلًا وبالتدريج الشديد، أما الطريقة الجديدة فكانت تعتمد على سحب الهرمون بشكل مفاجئ في ثلاثة أيام، ومن دون أي إنذار، وبسرعة مخيفة، ثم حقن المادة المشعة على الفور. لم يخبرني الأطباء أن الانهيار سيكون بهذا العنف، لم يحذرني أحد، وكان هذا أقسى ما يمكن أن يحدث. كنت أجلس داخل غرفة معزولة تمامًا والممرضات يتحركن حولي بميكانيكية مخيفة، وأنا أُصر على الاحتفاظ بهاتفي المحمول الذي يمسحونه بمناديل مطهرة قبل السماح لي باستخدامه داخل الغرفة، وأظل أكتب رسائل غاضبة وأتلقى مثلها، وأشعر بدمي يتسمم بالكامل حتى أقرر أن أترك الهاتف وأغمض عيني بقوة، محاولةً استرجاع ما كانت تقوله أم كلثوم وهي ترتدي الفستان الذي يبدو فضيًا لامعًا في الأبيض والأسود: «وإذا ما التأم جرح، جد بالتذكار جرح».

t.me/qurssan

كانت المشاكل تزداد بسرعة مخيفة، فيبدو الموقف وكأن الحياة قد انتهت منذ زمن، ولكنها المكاركة والعِند من جديد. تقول لي الممرضة الباكستانية العجوز وهي أكثرهن صرامة ودقة ولطفًا، إنني يجب أن أفكر في أفكار سعيدة وأنا أتلقى الحقن البطيئة التي تمتص طاقتي على مدار اليوم، وأُخبرها أنني أحاول، وترد بخفة أنني لست الأولى ولن أكون الأخيرة، وأن المقاومة والمحاولة والعند لا بديل لهم إن كنت أريد أن أتعافى. أدركت في هذه اللحظة أن ممرضتي المفضلة لا تعرفني، وأن هذه المدينة بالكامل لا تعرف قدرتي على المعافرة حتى أتهاوى وتنهار خلايا جسدي، التي لا تصدق الصفاقة التي أتعامل بها مع الموقف. لم أشعر في لحظة أنني احتجت أن يقول أحدهم: «معلش»، أو يرمقني بنظرات آسفة، كنت أشعر بإهانة حقيقية ومبالَغ فيها عندما يتعامل معي أحدهم على أنني قابلة للكسر، فيأخذ مني ما أحمل من مشتريات أو يحمل عني حقائبي، وظللت أقاوم طوال الوقت أن يأتي معي أيُّ شخص إلى المستشفى، وأصررت على تناوُل كل العلاج وحيدة تمامًا، أضع السماعات على أذنيَّ وأركب المترو الفخم في المدينة الخليجية الحارة، وأذهب إلى العمل فور انتهائي من الحقن السخيفة، وأجلس على مكتبي من دون أن يعلم أحد ممن حولي على الإطلاق أنني كنت منذ دقائق في عملية امتصاص حرفي لطاقتي، لكن المثير للدهشة أنني في المرتين اللتين قررت فيهما طلب المساعدة ـ عندما كدت أتهاوى تمامًا من الإرهاق ـ لم يستجب أحد، كما لو كان العالم قد رضخ لرغبتي في أن أكون وحدي، ولم يصدق أنني ربما أحتاج في لحظة ما لبعض

t.me/qurssan

المساعدة، وأدركت حينها أنني يجب أن أتعوَّد الوقوف على قدميْ وحيدةً حتى النهاية.

كانت دومًا مشكلتي مع آسر منذ عرفتُه أنه يتعامل معي كأنني في احتياج عنيف له، في يوم ما ـ بعد أن تعارفنا ببضعة أشهر ـ اتفقنا أن أستقل القطار وأذهب إليه في الإسكندرية، فوجئت وقتها بأنه حجز تذكرة القطار من الإسكندرية وتركها في مكتب التذاكر بالقاهرة أرسلت له ـ ببعض الدهشة ـ أسأله عن السبب الذي جعله يفعل ذلك، وعن المشقة غير المطلوبة التي مر بها كي يقوم بهذا الفعل غير المفهوم. رد وقتها بفخر أن هذا هو الطبيعي وأنه لا يريدني أن أقف في طابور شباك التذاكر حتى لا يضايقني أحد، سألته بحدة: «ليه هو أنا مشلولة؟»، فقال بضيق إنني لا يجب أن أكون مشلولة حتى يعطيني هذا النوع من الاهتمام، وإنه من الطبيعي أن يُفرحني هذا الفعل بدلًا من أن يسبب لي نوعًا من الضيق. ركبت القطار في ذلك اليوم وأنا أفكر في هذا الفعل البسيط الذي قابلته بمشاعر مرتبكة جدًّا، الضيق من اعتبار أن هذه هي الطريقة المثلى لمعاملتي ولإعطائي إحساسًا بالاهتمام أو الدلع كما كان يسميه، والخوف عندما شعرت أنه ربما لا يعرفني جيدًا فيقوم بفعل مثل هذا لا يتناسب مع شخصيتي على الإطلاق، وربما يتناسب أكثر مع علاقات سابقة مع أخريات في حياته لا يشبهنني من قريب أو من بعيد، وقدر بسيط من الدهشة من فعل أقابله للمرة الأولى ولا أعرف الطريقة الصحيحة للتعامل معه. وضعت التذكرة يومها في محفظتي بعد أن كتبت على ظهرها تاريخ اليوم، واحتفظت بها حتى يومي هذا كي تُذكرني بكل مشاعر

t.me/qurssan

الارتباك الذي تسبَّبت فيه، الذي ربما كان إنذارًا مبكرًا جدًّا لعدم توافُق شخصياتنا، حتى مع إصراري على عدم تكبير الموضوع، وأنه ربما يكون الموقفُ في النهاية أبسط من كل هذا.

عندما بدأتُ علاقتي بآسر في الفتور بعد قرابة خمس سنوات شابَها الكثير والكثير من الأحداث، لم أعرف السبب بالتحديد الذي جعلني أبتعد مسافة طويلة، وأُصر على التوقف عن بذل المحاولات المستميتة من أجل المكاركة لنجاحنا معًا. عندما عرفت بالخيانة الأولى لم تصلني القصة كاملة، كنت مشغولة جدًّا عندما اتصل بي صديقي الذي يصغرني بأعوام قليلة وهو يقول لي بغضب شديد إنني قد صغَّرت نفسي، وإنه لا يصح أن أقبل ما رأى في البار الذي يسهر فيه كل أصدقائنا. لم أصدق القصة وقتها وقررت أن أقطع تذكرة لأنظر في عين آسر فأعرف إن كانت القصة حقيقية أم كاذبة، قلت له بعصبية وعنف ربما أخافاه وقتها: «خليك راجل كفاية، وقول إنك عملت كده وإنك آسف، وأنا يمكن أسامحك»، وأصر هو على أنه لم يفعل أي شيء، وأن كل ما يريده صديقي هو أن يقيم معي علاقة جنسية ما، وأنه يكرهه لأسباب غير معلومة، ولهذا اختار أن يخبرني أنه رآه يحتضن ويقبِّل فتاة أخرى في البار نفسه، بل وحسب كلام صديقي «يفرشها»، تلك الكلمة البذيئة التي سمعتها للمرة الأولى وقتها. عرفت في هذه الأيام يا عزيزتي أنه ليس من الصعب أن ندع أشياء مثل الخيانة تمر، خصوصًا كفتيات تَعودنا أن يقول لنا العالم أن ندع الأشياء تمر، ليس من الصعب أن ندع أشياء أكبر وأصغر وأكثر وأقل عنفًا تمر، ربما في لحظة ما نريد أن نصدِّق كل الوعود ونريد أن

t.me/qurssan

نشعر أننا متميزات جدًّا ولسنا مثل الآخرين، في حين أننا الآخرون بحذافيرهم، وأن كل الأشياء ستحدث لنا مثلنا مثل الآخرين تمامًا.

في أحد الاعتصامات التي لم يخلُ منها عام ٢٠١٣، جلست بملل في أحد شوارع مصر الجديدة التي أحفظها عن ظهر قلب بجانب القصر الجمهوري، وراقبت عددًا من الشباب يرسمون ويكتبون ويعبثون على جدران القصر، تعجبت لمشهد الوجوه الجديدة، ولمشهد عبثي لسيدات يحملن كلابهن الصغيرة ويرتدين ملابس فاخرة لا تتلاءم مع الظرف الأسود. تلقيت اتصالًا من آسر الذي كان قد انتهى توًّا من عمله في مكان قريب جدًّا من مكاني، سألني إن كنت سأقضي الليلة في الاعتصام، ورددت بوضوح أنني لا أجد ما يمنعني من قضاء الليلة هناك. جاء بعد اتصالنا ربما بساعتين أو أكثر، كان وجهه ينطق بكثير من الدهشة وهو يمسك يدي ويتمشى في شوارع مصر الجديدة التي تغيَّر الكثير من معالمها، وتوقف عند إحدى الرسومات على الحائط الأكبر للقصر لجيكا الذي استشهد في ظرف آخر. رحل آسر وهو يوصيني أن أكون حذرة وبألا أعرض نفسي لكثير من الخطر، إلخ. عندما رحل، قررت أن أتمشى قليلًا قبل أن أخلد إلى النوم، وفي لحظة أتذكرها جيدًا أدركت أن على الرغم من تغيُّر الوجوه الموجودة في هذا اليوم، فإنها بشكل أو بآخر تنتمي إلى هنا، هي جزء من كل ما يحدث حتى وإن تغير المكان والزمان والأسباب، أما آسر فهو ضيف، يأتي كي يمسك بيدي ويلتقط الصور ثم يرحل لينام حيث يشعر بالأمان.

استطعت مع مرور السنوات أن أقضي تمامًا على حماسه السابق

t.me/qurssan

لي منحي بعضًا من التدليل الذي ظهر في البداية، ثم تلاشى عندما شعر هو بعدم اكتراثي به. تغير الموقف قليلًا فأصبح مثيرًا للتعليقات من الأصدقاء، أصبح الجميع يرى أنني قمت بإفساده عندما دفعته إلى التوقف عن محاولات التدليل والاهتمام المبالَغ فيه. لم يهمني هذا، وفي بعض المرات التي سافرت فيها، أعتقد أنني كنت أبحث عن هدنةٍ المحارب، عن لحظات قليلة ألتقط فيها أنفاسي من دون الدخول في معارك لم أخترها. نتصور أحيانًا أننا لن نستطيع أن نتجاوز أبدًا عن أكثر الأشياء التي قد تثير هلعنا عندما نسمع أنها حدثت لآخرين. وضعت كل ما يحدث في العالم جانبًا وذهبت لأشتري فستانًا جديدًا بغير مناسبة، سوى الأمل في أن يعدل مزاجي قليلًا، لم يعجب الفستان آسر بالطبع لأنه لم يكن يتوافق مع معاييره في الاحتشام، التي كانت مطاطة بدرجة كبيرة. لا أنكر اليوم أن جميع المعايير كانت تثير غيظي بشدة، وأنني لم أستطع التعبير عن هذا إلا عندما فقدت الاهتمام تمامًا. أجبرني أن أبدل الفستان، ورضخت أنا باستسلام شخص لا يريد أن يضيع وقته في معركة لا تستحق. بعدها بأشهر ذهبت لشراء فستان جديد من أجل فرح زميلتي المرتقب في القاهرة، كانت المشاكل بيننا وقتها قد بلغت مستوى مزعجًا، وكنت أحاول أن أعترف بأخطائي بكل السذاجة الممكنة في محاولة جديدة للمكاركة، وكنت ألوم نفسي لأنني اخترت السفر وأقول إنه لا ذنب له في قراري، ويكفيني أنه رضخ له على الرغم من عدم استساغته للأمر، وكنت أرى جميع المشاكل التافهة التي تنفجر في وجوهنا لا تستدعي كل هذا العنف، وكل هذه الرسائل المكتوبة والرسائل

t.me/qurssan

الصوتية التي تحمل نصف اللوم الموجود في العالم، وكنت أظن أن الخناقة التي انفجرت بسبب عدم ردي على رسالة عندما عدت من سهرة مع بعض الأصدقاء، تنم فقط عن عدم إحساس بالأمان، وربما بعض التوتر أو الغيرة أو أي مشاعر إنسانية مفهومة، تسبب فيها المسافة الكبيرة بيننا. مش مهم، المهم أنني وقفت في غرفة القياس أحاول لملمة صدر الفستان المفتوح حتى لا تغضبه الفتحة الواسعة، التي يرى فيها دعوة مني لأن ينظر لي الجميع، ما علينا، أتاني رده على الصورة التي أرسلتها له قائلًا إن الفستان لا بأس به، قلت له بحذر: «مش مفتوح أوي؟»، رد برسالة: «ابقي شديه لفوق شوية». لم أعرف وقتها إن كانت رسالته التي شعرت أن بها شيئًا غريبًا تشي بتغير ما في شخصيته، أم إنها فقط رسالة من شخص فقدَ اهتمامه نوعًا ما، ولم أعرف أن علاقةً أخرى كانت تدور في أفلاكه في ذلك الوقت.

بعدها بأشهر قليلة ازدادت الخلافات، كان هناك الكثير من العنف، والكثير من الحماقة، وأخيرًا الكثير من الغضب المنفلت. في إحدى المرات انطلقت فيَّ عاصفة غاضبة لا أتذكر أسبابها بالضبط، فقط أتذكر عشرات الرسائل الاستفزازية التي تشي بطوفان من الغضب العارم، أدت إلى ارتطام سيارة آسر بتريللا ضخمة أثناء محاولاته لقراءة رسائلي الغاضبة، في خِضم عدم استطاعته السيطرة على أعصابه هو الآخر، كان من الممكن جدًّا أن تودي هذه الخناقة بحياته إن كنا أقل حظًّا. أدركت يومها ـ من دون أن أعترف بهذا ـ أنني قد كبَّرت الموضوع، وأنه لا يوجد ما يستحق أن نخاطر بحياتنا من أجله، وبالتأكيد حياتنا أهم من أي علاقة سوف تنتهي يومًا ما كما ينتهي كل

t.me/qurssan

شيء آخر. لم يكن الموضوع قَطُّ يخص فتحات الفساتين أو طولها أو قصرها، ولم يكن الموضوع يومًا يتعلق بسهرة طويلة أو مشاعر من الغيرة المشروعة، فقط أتينا من عالمين مختلفين كل الاختلاف، وكان لا بد أن ينتهي كل شيء في اللحظة التي أدركنا فيها ذلك، بدلًا من أن ينتهي بعد سنوات من الاستنزاف والفوران الذي لا لزوم له أبدًا.

عندما انفصلت عن آسر، أو انفصل هو عني، في لحظة درامية رديئة، نفذها بطريقة مهينة بعض الشيء، أدركت أنني فقدت معظم ذاكرتي، لم أعرف قَطُّ إن كان فقدان الذاكرة الذي كان يحدث لي على المدى القصير كان بسبب الأدوية والجراحة التي أجريتها، التي يقول الأطباء إن لها تأثيرًا كبيرًا على تماسك الذاكرة، أم إن عقلي الباطن قد قرر أن يمسح كل ما استطاع من ذكريات عنيفة أو حتى ذكريات عادية، وفي اليوم الثاني للانفصال لم أجد شيئًا يجمعني به على الإطلاق، وعندما سألني الجميع عن أسباب الانفصال، كان ردي دومًا هو أنني زهقت.

الملل هو آفتنا، والأدرينالين هو ما يحركنا، تسألينني عن الطلاق؟ فقط مللت، واكتشفت أن الأحاديث لم تكن ذكية بالقدر الكافي، لم يكن أيضًا دمها خفيفًا، كنت أكثر عنفًا وأكثر عدوانية وتحفزًا، واستهلكت الكثير من الطاقة في محاولات كي أتأقلم مع حياة لا تشبهني، حتى أصبحت شخصًا كريهًا وسخيفًا، واستطعت بقدرة مذهلة أن أضايق شخصًا غلبانًا وشديد الطيبة، وأستفز مشاعر كانت تبدو طيبة للغاية لأُغيِّرها إلى أطنان رهيبة من الغضب والحماقة. لن أنأى بنفسي عن الخطأ، ولكننا بجانب الزهق لم نكن قَطُّ الأشخاص

t.me/qurssan

المناسبين لبعضنا البعض، كانت بيننا آلاف الكيلومترات حتى ونحن نتشارك الوسادة نفسها، ونحاول أن نتقاسم الأحلام البسيطة نفسها يقولون إن الملل ليس سببًا كافيًا، وأخبركِ أنت لأنك الوحيدة التي تعرفين كلَ شيء، سنظل نهدم كل شيء في اللحظة التي نمله فيها، وسنظل نملّ الحياة حتى تملنا ولن نجد ما نقوله أو نفعله معًا، وستمر الأيام من فوقنا رتيبة وهادئة ومملة حتى تسحقنا تحتها، سنقابل أشخاصًا ونذهب إلى أماكن أملًا في أي شيء، أملًا في العثور على أي شخص يبعثر الحياة من حولنا، وسنكتشف كل شيء أيضًا أسرع من اللازم، لن يكون الطلاق هو أصعب شيء، ولكن أكثر شيء مضحك في العالم هو أننا حرفيًا سنموت من الزهق. بعيدًا عن كل هذا ربما لم تكن هذه الشراكة موفّقة لعدة أسباب، وربما ما فعلناه لم يكن مناسبًا لنا، وربما فقط حاولنا أن نكسر جميع الحدود بيننا حتى نخلق نوعًا من التعود، نوعًا من الألفة، في حين أن ما احتجنا إليه فعلًا هو أن يكون كلٌّ منا وصيًا على وحدة الآخر، يراها ويحرسها، ولا نثق في أي شخص سوانا ليرى هذه الوحدة وهذا الألم. أما هذا المزج وتوحُّد الأشخاص الذي نقرأ عنه في الكتب، فربما هو شيء أسطوري، وربما هو شيء غير موجود من الأساس، أو ربما وجد فقط كي يسرق منا أهم ما نمتلك، كي يجعلنا نُوقع أوراقًا نتخلى بتوقيعها عن الحرية وعن استقلال ذواتنا، حتى وإن كان هذا فقط رسميًا على ورقة لا تهمنا لهذه الدرجة، لكن عندما ندرك أننا حتى ونحن بهذا القرب ما زلنا نستطيع أن نبتعد آلاف الكيلومترات من دون أن يضايق بعضنا البعض، ومن دون أن يشعر أحدنا بالتهديد أو بالضعف، فقط

t.me/qurssan

في هذه اللحظة، ربما ندرك أننا في منتهى القرب من بعضنا البعض، وأن لا شيء يمكنه أن يفرقنا، وأننا نستطيع أن نكبر معًا بجانب بعضنا البعض، وربما تستطيع هذه المسافات أن تجعلنا نرى بعضنا البعض كأشخاص كاملين، لا ننتظر أن يكملنا أحد، وربما ساعدتنا أن نرى السماء أجمل وأصفى وأكثر جمالًا.

منذ أيام قليلة كنت أتحدث مع كريم على الهاتف، حدث هذا بعد انفصاله عن زوجته بأقل من ثلاثة أشهر، حدثني كريم عن إعجابه بسناء وعن عدم استطاعته أن يتخذ أي خطوات نحوها، ولا حتى أن يخبرها أنه يفكر في الموضوع من الأساس خوفًا من فشل جديد. وجدت نفسي أنطلق بحماس غير مفهوم في محاضرة عن البدايات الجديدة، وعن حلاوة البدء في شيء لا نعرف كيف سينتهي، حتى إن كنا واثقين أنه سينتهي يومًا ما، لأن هذه ببساطة طبيعة الأشياء كلها. أخبرني كريم بشيء من الدهشة أنني مصابة بانفصام الشخصية، وأخبرته أنا أنني فقط أؤمن بالمكاركة إلى النهاية، إلى آخر فصل في القصة وإلى البدايات الرائعة التي يجب ألا نغفلها إن مرت مصادفةً بجانبنا، وأن نقفشها مثل النقود التي نجدها كل فين وفين بالصدفة البحتة في الشارع، التي إن لم نلتقطها في اللحظة المناسبة ستحملها النسمة الخفيفة أسفل أقرب سيارة، حينها سنمر بأسف جانبها، بينما يستطيع الآخرون الانبطاح على بطونهم في شيء من المهانة حتى يحصلوا عليها، لن نخسر شيئًا الآن بعد كل هذه الإخفاقات إن حاولنا من جديد. أخبرت كريم بكل شيء وأنا أرفع صوت الأغنية التي تنطلق منذ فترة بخفوت، فقط لأجد الست تقول بأسى: «وعز عليك

t.me/qurssan

تسيب العند وتسامح، وعز عليَّ أكون البادي وأتصالح»، وأبتسم من كل الصدف التي تضعنا في أجمل الكليشيهات وأكثرها دقة. ربما يكون الحب ضاع مثلما تقول الست في هذه اللحظة بالذات، ولكن الآتي دومًا سيكون أكثر إثارة للدهشة، لأننا فقط لا نعلم عنه شيئًا.

عزيزتي كارمن، دعينا دومًا نفتح الأبواب من أجل كل البدايات المقبلة، ومن أجل كل الحب الذي لم نعشه حتى اليوم، ومن أجل الأشخاص الرائعين الذين ينتظرونني وينتظرونكِ، وينتظرون آسر وكريم وسناء وغيرهم في مكان ما، لكي يعطونا رصيدًا جديدًا من الذكريات، ولكي نستمع دومًا إلى الست وهي تَعِدنا أن: «تفضل حلاوة سلام أول لُقا في إيدينا»، وندعو من قلوبنا ألا نفقد هذه الذكريات وسط كل هذا الزحام والتعاسة والهزائم.

مودتي.

دبي ـ الإمارات

صيف ٢٠١٧

t.me/qurssan

عزيزي يوسف،

كنا نظن أنفسنا حكماء عندما نظرنا في أعين هؤلاء الأشخاص، ونصورنا أننا من الذكاء الكافي كي ندير الدفة ونعود إلى طرقنا الآمنة في اللحظة المناسبة، وكنا نظن أنفسنا حكماء على الرغم من أننا لم نسمع قَطُّ عن حكيم انتصر في معركته ضد الحماقة، وربما أسوأ الحكماء وأشدهم خطورة هؤلاء الذين لا يعرفون أنهم في الأصل حمقى، أما إن كنا نعرف أن من المستحيل تغيير مجرى الزمن، فنحن نعرف أيضًا أن من المستحيل أن نوقفه للحظة واحدة نتمنى من كل قلوبنا ألا تنتهي.

تقابلنا اليوم للمرة الأولى، واتفقنا على اللقاء منذ أيام بالتزامن مع وجودي في القاهرة. قلت لي إنك تريد أن تترك لي بعض الأيام لأقضي بعض الوقت مع عائلتي، وأخبرتك أنني لا أستطيع الانتظار، وأخاف أن نتأخر أكثر من هذا فيفوتنا من الحياة أكثر وأكثر. نهضت في الصباح وارتديت فستانًا اعتقدت أنه جميل بشكل ما، قد يليق

t.me/qurssan

مع لون عينيك الخضراوين، ووضعت قليلًا من الماكياج، لا أريد أن تكون التجاعيد على جبهتي بهذا الوضوح، أحاول أن أخفيها ببعض مساحيق التجميل وأضع لمسات خفيفة وأخرج وقلبي يكاد يقفز من مكانه. لا أخاف اللقاء بقدر ما أخاف خيبة الأمل، نصف الحواديت الجميلة تحدث فقط في خيالنا ولا تحدث في الحقيقة، ارتديت فستاني الأسود المزيَّن بالخطوط الخضراء وذهبت إليك.

صعدت السلالم الكثيرة إلى أن رأيتك تقف مبتسمًا منتظرًا، تركت يديَّ في يديك وضحكت أنت بصوت مسموع، احتضنتني كأنه لقاؤنا العاشر أو كأننا نعرف بعضنا منذ سنوات، كنت أرتجف وكان ارتباكي واضحًا، عشرات المخاوف تدور في رأسي، لكنك استطعت في لحظات لقائنا الأولى أن تذيبها برقة وذكاء أحسدك عليهما.

أنت تعرف ما دار بيننا، كل الأحاديث والضحكات ولمسات اليد وأكواب القهوة التي تناولناها، لن أضيع وقتك في الحكي عن كل ما تعرفه، أكتب لك اليوم لأحكي لك عن اللقاءات الأولى وكفى، وأينما كان اللقاء، فإنها ـ تلك اللحظات الأولى ـ لا تفقد سحرها أبدًا.

هذا القطار، عندما تخبط يدها عفوًا كتف الشخص الواقف غير المنتبه، يدخن سيجارته بين فواصل عربات القطار غير عابئ بخبطات العربة التي ترجُّه يمينًا ويسارًا، ناظرًا إلى حذائه متصورًا أنه وحده في هذا الكون الواسع، لا يلتفت لرائحة العطر الخافتة إلا مع اللكزة التي تجذبه من عالمه الخاص جدًّا إلى عالمها الواسع، ليعرف أن

t.me/qurssan

هذه اللحظة قد حدثت فقط لتبقى. هذا المقهى الحافل بالرواد، تعالى أصواتهم وضحكاتهم بصخب لا يمكن أن يغفله العالم، لكنه يخبو ويهدأ فقط عندما يبعث لها بابتسامة مشجعة، غير منتبه لأن هذه الابتسامة ستكون إشارة البداية لأحلام وطموحات وأسرار وانكسارات مقبلة. هذه الحفلة الصاخبة، تتعالى فيها الموسيقى ويخبط فيها الراقصون بعضهم البعض برعونة تشي بقلة مهاراتهم في الرقص، كؤوس وزجاجات تدور في المكان بضجة، ومجموعات من الأشخاص يلتفون حول أنفسهم صانعين دوائر مغلقة، متصورين أنهم في مأمن من شرور العالم بالخارج، وفي كل هذا الجنون تجد نفسها تتمايل في حركات راقصة أمامه، وهي لا تعرف أبدًا أن هذه الموسيقى ستحملها إلى ما هو أكثر بكثير من أغنية تحب رتمها وتتراقص عليها بخفة كالفراشة.

حكيت لك الكثير والكثير عن عالمي الممل خارج القاهرة، وعن غرفة الأخبار التي أعمل بها مع ٢٥ زميلًا وزميلة، لا أطيق معظمهم لأسباب كثيرة، لا أريد أن أسردها لك حتى لا أبدو وكأنني شخص يمتلئ بالمرارة والكراهية، ولكني ـ كما أحكي لك دائمًا ـ أكره هذا المكان من كل قلبي، أعمل حاليًّا في مكان طارد وكريه، علاقتي به أصبحت تقتصر على أنه فقط يمدني بتغطية للتأمين الصحي أحتاج إليها بشدة كما تعرف. أكره كل القواعد التي يجب أن نتبعها هنا التي تشبه قواعد تلفزيونات العالم الثالث، الذي لا يفعل شيئًا سوى مساندة الأنظمة الحاكمة ونشر الأكاذيب، لم تكن هذه الحال في السنة الأولى التي بدأت فيها العمل هنا، ولكن الأوضاع بدأت في التغير، ويومًا

t.me/qurssan

بعد يومٍ أصبحنا فقط نقول ونفعل ما يُملى علينا بلا نقاش، وأكره صوت رنين الهواتف الذي لا يتوقف في غرفة الأخبار التي لا يفكر أصحابها في خفض صوتها قليلًا حفاظًا على أعصاب شركائهم في المكان، وأكره رائحة الكمكمة التي تخرج من فتحات التكييف المسلَّطة فوق مكتبي، والحشرات الصغيرة التي تنتشر في المطبخ الذي تفوح منه رائحة العفن طوال الوقت، وأكره الرجل الخمسيني الذي يتسلى بتصوير سيقان الفتيات في المكتب، ويتصور أننا لا نراه ونحن نتناول غداءنا بينما يسلط كاميرا هاتفه المحمول من تحت الطاولة ليلتقط صورنا، هو الرجل نفسه الذي اتهم زميلي في المكتب بالإلحاد عندما رأى بعض الرسومات التي يشخبط بها الفتى الموهوب على مكتبه، قائلًا إن رسم الوجوه حتمًا سيلقي به في الجحيم لأنه حرام، وأكره عدم محاسبة أي شخص على أي شيء حتى مع تكرار الشكاوى وإرسال الرسائل الإلكترونية التي لا يستجيب لها أحد، وأكره الرسائل الإلكترونية من الأساس، وأكره أيضًا انبطاح معظم زملائي هنا للسياسات التحريرية التي يجدونها منطقية ومتوازنة، لكنها تدفعني للبكاء في دورة المياه.

أُصبت أيضًا باكتئاب شديد، عندما رفضت مديرة المكتب هنا أن توفر لي غرفة مغلقة، لمدة ثلاثة أيام بعد إحدى جلسات الإشعاع التي آخذها بانتظام، مع أن خطابًا وصلها من المستشفى يطلب منها أن توفر لي هذا الطلب العارض إلى أن يزول أثر الإشعاع. أجبرتني مديرة المكتب وقتها أن أطلب إجازة مرضية على الرغم من شرحي المستفيض لها أنني لا أحتاج إلى الإجازة يوم جلسة الإشعاع، وأن

t.me/qurssan

الآثار الجانبية تظهر فقط بعد بضعة أيام، وأنني أحتاج إلى رصيد إجازاتي ولا أستطيع أن أهدر أيامًا بهذا الشكل المستهتر. أجابت بود وصلافة أنها لا تستطيع توفير غرفة لي، وأنني من الأفضل أن أظل في البيت حتى لا أتسبب في أذًى لزملائي في المكتب. كان يومًا سيئًا، ربما من الأيام التي أدركت فيها أن الحياة لن تعود كما كانت، وأن هناك أشخاصًا سيتسببون في الأذى المجاني لمجرد قدرتهم على ذلك، وأنني مهما كنت أرى نفسي قوية وقادرة ـ كما يقولون ـ ربما لن أستطيع هذه المرة دفع الأذى، وسأضطر أن أقبل ما حدث وما سيحدث.

أكتب لك اليوم خصيصًا كي أحكي لك عن لحظاتنا الأولى، لكني أجد نفسي ـ كالعادة ـ أستفيض في حَكْي أشياء مختلفة تمامًا، أشياء سخيفة ومؤلمة على العكس تمامًا من لقائنا الأول الذي تحدثنا فيه عن كل شيء يدور في عالمي وعالمك. لم تحكِ لي بعدُ عن حبيباتك السابقات ولا عن أصدقائك المقربين، وأعرف ما أعرف بالكاد عن عملك الذي يبدو أنه أيضًا يدور في غرفة أخبار، وإن كانت في مكان أكثر لطفًا من المكان الذي أعمل به الآن.

كم نحب اللحظات الأولى بكل جوارحنا، كم تُنسينا ما مررنا به من أوجاع حتى وإن كان نسيانًا مؤقتًا، نحب صدقها ورعونتها واندفاعنا تجاهها بكل نزق الدنيا وجسارتها، ونحب اللحظات الأولى حتى ونحن نعلم أن الصوت المتحمس في أول اليوم قد يخفت بعد أيام أو أسابيع أو أشهر قليلة، ولكننا مع ذلك نجرح أحبالنا الصوتية ونحن نصرخ منتشين بالحماسة والرغبة في الحياة.

t.me/qurssan

نمسك بأيدي الأطفال الدقيقة وهم يخرجون من بطون أمهاتهم، ونحتفظ بصورهم متعشمين أن نريها لهم يومًا ما، ونحن نحكي لهم عن حلاوة اللقاء الأول، وعن أول مرة يفتحون فيها أعينهم لنراهم ويرونا بدهشة وارتباك، حتى وإن كنا نعلم أن الهزائم تنتظرهم متربصةً في عالم قاسٍ ومخيف. هذه الرقصة الحميمية، والزغروطة التي خرجت من حنجرة فرحة حتى جرحتها، واندفاعنا لكي نلتقط صورًا نعرف أنها لن تبقى بالضرورة، بل ستضيع وسط عشرات اللقطات الأخرى التي حرصنا كل الحرص على الاحتفاظ بها في أماكن أنسانا إياها الزمن، والقلب الذي أغفل خفقة وهو يشهد ولادة شيء ما كان يبدو رائعًا وساطعًا وواعدًا بحياة أفضل، وكل الأشخاص الذين ابتسمنا ابتسامات ساذجة ونحن نلقاهم للمرة الأولى، وكل التظاهرات التي مشيناها للمرة الأولى بأمل، وكل الأغاني التي اخترقت آذاننا وتعجَّبْنا لجمالها ورقتها، وكل المدن التي تجولنا فيها ونحن ننظر حولنا بانبهار خائفين أن تنفد منا الشوارع أو نتوه فيها فلا يجدنا أحد، وكل الأكلات الغريبة التي تذوقناها بحذر ثم أضعنا أيامًا نبحث عنها من جديد، وعن حلاوة المذاق الأول ونحن لا نعرف أنه لن يعود لأنه انتهى، وكل هذا وأكثر منه بعض الشيء نهديه كل الامتنان، مع وعد بأن نكفَّ يومًا ما عن محاولة استعادة اللحظات الأولى حتى لا نبتذلها وحتى تظل كما هي، تُعوِّضنا آلام غرف الأخبار القاسية وتَعِدنا ببعض السعادة حتى ولو كنا نعرف أنها زائلة مثل كل شيء آخر. بعد أيام قليلة أستقل طائرة جديدة لأعود إلى غرفة الأخبار الكريهة، بعد

t.me/qurssan

ايام تنتهي الأيام القليلة التي أسرقها كي أرى فيها الأحباب، أعرف
اني سأحاول أن أؤجل رحلة العودة إلى دبي، الحياة هنا في القاهرة
افسى بكثير ولكنها أكثر رحابة وتسامُحًا منذ أصبحت جزءًا منها.
سلامي لك ولأوقاتنا الأولى معًا.

الزمالك ـ القاهرة

سبتمبر ٢٠١٧

t.me/qurssan

عزيزي يوسف،

من جديد تركت كل شيء وجئت في إجازة قصيرة هدفها الأساسي أن نقضي معًا ليلة رأس السنة. لا أريد أن أقضي اليوم الذي أحبه بشكل خاص أشاهد من نافذة البناية التي أقيم بها الألعاب النارية، التي تتفنن دبي في إطلاقها كل سنة، ويفزعني صوتها بشدة لأنها تُذكرني بصوت الرصاص الذي اعتادته أذناي منذ يناير ٢٠١١.

أكتب لك اليوم وأنت هنا بجانبي، تبتسم لي ابتساماتك المشجعة كل بضع دقائق، لكي تطمئن لحالتي المزاجية، ولكي تتأكد أن السعادة لم تغادرنا، وأنني ما زلت في مكاني، وأن الأغنية التي شغلتها منذ فترة بسيطة لم تنتهِ بعد، وأن صوت عبد المطلب النافذ ما زال يقول: «كان قلبي وحيد وصبح فرحان»، ولكي تميل عليَّ برقة لتقول ببساطة أحبها كل الحب: «الوصل جميل»، فأبتسم لك وأرد: «جدًّا جدًّا». أكتب اليوم لأخبرك أننا هنا بعد أشهر طويلة جدًّا من الخوف والترقب والكر والفر، ولأخبرك أننا ما زلنا لا نريد الأشياء نفسها، وأن الخوف

t.me/qurssan

م بنتهِ تمامًا، وأننا ربما ما زلنا نقف على حافة كل الأشياء، ولكنْ
لى الرغم من هذا فـ«الهوى أنت كله والأماني» كما تقول الست
ي أغنيتها، التي انطلقت بالطبع الآن لتنقل لك ما أشعر به بالضبط.
اتب لك لأخبرك أنه ليس بالضرورة أننا نخطط بدقة شديدة لكل
ا يحدث، وأنه أحيانًا تصبح تصرفاتنا العشوائية هي ما ننتظره بالضبط
بلا أي نقصان، وتخبرني أنت أنك تعبت، وأنك لم تعد تحتمل
الهوى، لم تعد تحتمل «لهو الحياة بنا» كما تقول الست في اللحظة
المناسبة بالضبط، وأخبرك أن ما حدث كان لا بد أن يحدث، وأننا
انتظرنا كثيرًا جدًّا حتى نصل لهذه اللحظة المطمئنة، التي أحاول بكل
وتي أن أسجلها حتى لا أفقدها في زحام اللحظات غير المهمة،
أخبرك ـ في خطابي هذا الذي ستقرأه في اللحظة المناسبة ـ أنني
ممتنة لكل هذه السعادات التي خاطرنا معًا بالمضي قدمًا لاقتناصها،
وأنني ما زلت أرى عينيك النافذتين، وما زلت أحلم بهما وأحلم بك
وأنت بجانبي أحلامًا واضحة رائقة، تثير في قلبي الحنين والوجد.

أخبرك أيضًا أنني ما زلت أخاف أن تثير رومانسيتي الزائدة ضيقَك،
وأنني أحاول أن أستبدل بها تعليقات ساخرة وإن كنت أعرف أنها
تثير غضبك بشكل ما. أتذكر عندما قرأت خطابي الأول لك، الذي
كتبته بخرق ونزق وتهور، لا أتذكر كيف استطاع قلبي أن يتغلب به
وقتها على كل مخاوفه القديمة، أتذكر حينها عندما أرسلت لي رسالة
قصيرة جدًّا تحمل عنوانك البريدي بلا أي زيادات أو رغي لا داعي
له. بدأت وقتها أكتب رسالتي الأخرى لك وأنا أحاول أن أتمالك
قلبي الذي يخفق بنزق وتوتر محبَّب. أخبرتك في تلك الرسالة أنني

t.me/qurssan

خائفة، وأن الخوف هو الشعور الأسوأ الذي أتمنى يومًا ما أن أتخلص منه، وأخبرتك أن الطمأنينة أفضل من السعادة، وأن الحسابات تفسد كل شيء، وأننا لا نريد الأشياء نفسها ولكنْ هناك شيء رائع ومطمئن أراه على بُعد خطوات قليلة، وأنني أحلم أحلامًا جميلة أخاف أن أفقدها، وأنني أعرف أن يومًا ما سنكون معًا نحكي عن هذه اللحظة ونضحك، حتى إن لم نكن نعرف ما الذي سيحدث بعد دقائق قليلة

أخبرك بكل هذا في خطابي الذي ستضمه إلى مجموعة الخطابات التي تحتفظ بها في صندوقك الصغير، الذي يحفظ كل ذكرياتنا التي لا أعرف كيف استطعنا أن نصنعها، حتى وإن كانت بيننا مدن وعواصم كثيرة، ومسافات طويلة تستطيع قتلَ كل الحنين، وإن لم تفلح في قتل هذا الزخم المؤجل بيننا. أعرف من قبل أن نتقابل أننا سنستطيع أن نقتنص هذه اللحظات، وإن لم يفلح عقلي في توقع كل هذه الراحة وبيننا سنتيمترات معدودة، ولم أصِل بخيالي أن أرى ذراعك وهي تمتد في أريحية رائعة لتحتضني بألفة تبدو وكأنها كُتبت من أجلنا فقط. وجودنا معًا يهوِّن الكثير من الأحزان، مثل وفاة شادية منذ أيام قليلة، أرسلت لك يومها أقول: «لو القلوب يا حبيبي ارتاحوا كان يجرى إيه»، ورددت أنت: «لولا البعاد ما دق قلب»، فبرد القلب قليلًا.

يجب أن أنتهي الآن من هذا الخطاب، فأنت قد بدأت تتململ والست كادت أن تنتهي من أغنيتها وهي تتمنى بدلال أن: «يدوم للقلب صفاك»، وأتمنى معها الأمنية نفسها، حتى وأنا أستمع إلى تحذيراتك التي لا تنتهي بأن الصفا قد لا يدوم، وأنه إن انتهى يومًا فلنرحل من دون علامات دامية. وأنا أعرف أن هذا بالطبع كلام فارغ،

t.me/qurssan

، انا إن انتهينا فسننتهي على الأغلب بمعارك قاسية تليق بي وبك، ، الحن على الرغم من هذا فكفانا هذه اللحظة الرائقة، وكفانا الدفء ـا والابتسامات الصافية والراحة المطلقة والأمل البسَّام. يجب أن اهي هذا الخطاب الآن قبل أن يتملكني الحزن لأنني سأغادر كل هذا الأمان بعد يومين فقط، أستقل طائرتي من جديد حتى أستطيع ان أهرب بعد أسابيع أو أشهر قليلة لأراك ثانية. ستقرأ هذه الرسالة ـالبًا وأنا في طريقي إلى المطار، وأرجو أن تخبرك أن كل شيء أصبح احمل منذ أصبحت معي.

إلى خطاب ولقاء آخر.

محبتي، وقبلات كثيرة جدًّا.

الزمالك ـ القاهرة

ديسمبر ٢٠١٧

t.me/qurssan

أبي العزيز،

أكتب لك هذه السنة وأنا أعاني من دور برد قوي، حتى إنني لم أستطع مغادرة السرير لأكثر من يوم، وكلما اقترب هذا التاريخ فكرت أنها ربما ستكون السنة الأخيرة التي أكتب فيها إليك، اليوم تُكمل أنت أربعة عشر عامًا غائبًا وأنا بلا حيلة، فقط أكتب لك الخطابات.

لم تكن سنة سيئة جدًّا، حتى وإن كنت قضيت أيامًا طويلة منها في مستشفيات مختلفة، وحتى وإن بدت من بعيد قاسية وأحداثها صعبة، إلا إنها في الحقيقة كانت أفضل كثيرًا من السنة الماضية. سأبدأ لك بأجمل ما حدث، زرت مدينتين جديدتين وتجولت في شوارع لم أتصور أن أراها إلا في الصور الملونة الجميلة، ومشيت على خط ساحل طويل بمدينة صغيرة لم أعلم بوجودها على الخريطة، واستمتعت كما أستمتع دومًا بتخيُّل أننا معًا نضحك على أي شيء، ونتسابق في السخرية من كل شيء. في هذه السنة تخلصت من كل ما كان يشدني إلى الأرض،

t.me/qurssan

، تذكرتك في كل لحظة وأنت تنصحني بالخفة، وتعدني بأنني لن أجد السعادة إلا في التحليق عاليًا بلا أثقال ولا خيوط.

ازداد اقتحامي للحياة، وربما ازداد إحساسي بأنها زائلة ولن يبقى فيها عزيز أو ونيس، ولهذا لا أفكر كثيرًا قبل أن أقطع تذكرة غالية الثمن إلى بلد لم يكن على خريطة اهتماماتي، ولا أفكر قبل أن أضيع جنيهاتي القليلة على أشياء لا تتسم بالنضج، ولا أفكر حتى وأنا أدخل لأرقد ساعات داخل أجهزة أسطوانية باردة، بسكون تام، حتى تلتقط هذه الكاميرا المثبتة على بُعد سنتيمترات من وجهي صورًا قد تخبرهم أنني سأعيش أقل أو أكثر قليلًا من المتوقع.

أستمتع كثيرًا بإحساس العدمية المطلقة، وأشعر أن روحي خفيفة وأنني أمشي بلا أثقال على قدمي. منذ عشر سنوات لم أشعر بهذه الخفة، وكالعادة أبحث عنك لأحكي لك وأعتذر عن كل الأوقات التي لم أسمع فيها كلامك، وكل النصائح التي لم آخذها على محمل الجد، وكل النكات التي حملت داخلها عظة وحكمة لم أفهمهما في الوقت المناسب. أحاول أن أكون أهدأ وأقل عصبية، لا تساعدني في هذا محاولاتي في التوقف أو على الأقل التقليل من التدخين، وأحاول ألا أقتل أحدًا أو أعتدي على أشخاص لم يفعلوا لي شيئًا سوى الوقوف في طريقي في اللحظة الخطأ، وأحاول أيضًا أن أظل عند حسن ظنك بي، وأحاول أن أنظر إلى كل ما أفعل وأسأل نفسي طوال الوقت هل أنت فخور بي؟ ربما لا أفعل أشياء مهمة تستدعي الفخر، ولكني على الأقل أحاول أن أظل ابنتك التي كنتَ تخبر الجميع عنها بنبرة فخور: «دي أكتر واحدة شبهي».

t.me/qurssan

وحشتني جدًّا، وأنتظر لحظة اللقاء، وحشتني جدًّا جدًّا.

لم يعد إحساس الوحشة كاسحًا دراميًّا مثل السنوات الماضية، ولكنه أصبح مسيطرًا على كل لحظات الحياة، استطعت أن تستقر داخل كل التفاصيل والأشخاص والأماكن حتى تلك التي لم تعرفها في حياتك، واستطعت أن تكون البوصلة الوحيدة لكل شيء.

كل لحظاتنا وأيامنا وسنواتنا التي مضت، وكل ذكرياتنا معًا وكل لحظات المزاح والدلع والحب، وكل إفطار أعددناه معًا في مطبخ شقتنا الصغير، وكل يوم جمعة أخذتَني فيه لمشاوير لا تنتهي، وكل أيام المرض والألم والمستشفيات، وكل خفقات القلب المضطربة واختلاجة يدك في يدي، وكل الليالي الغائبة والصباحات الرائقة، وكل ما كان بيننا هو ما أعيش لأتذكره، وهو ما يعطيني بعض الطاقة كي أمضي قليلًا في الحياة، وكي أمشي بين ملايين الأشخاص وأنا أعلم أنني الأكثر تميزًا والأكثر حظًّا، فقط لأنني ابنتك.

أحضان كثيرة تأتيك برعاية الأسرة الصغيرة، جميعهم هنا يبعثون إليك بالسلام ويُطمئنونك على أحوالهم على الرغم من الظروف الملخبطة لدى الجميع، سنكون بخير ونحن نعلم أنك ترانا حيثما كنت، فقط نريدك أن تعلم ـ وأنت بالتأكيد تعلم ـ أن السنوات تزيد المحبة، وأنك دومًا هنا لم نفقد أثرك ولم يأخذك منَّا الموت، ألف بوسة وحضن طويل مطمئن.

سلام.

الزمالك ـ القاهرة

ديسمبر ٢٠١٧

t.me/qurssan

عزيزي يوسف،

للعرَّافات مواسم كما تعرف، وفي هذا الموسم تدقُّ بابي كلَّ يوم عرافة. عندما كنت صغيرة كنت أعتقد أن هذا النوع من النساء مثل المانجو أو الخوخ، يظهر في وقت محدد في السنة ويغمر السوق ثم يختفي ولا نرى ولا حَبة مانجو واحدة باقي الشهور، كانت أمي تعتقد أن العرافة لِصة، لأنه ما من مرة دخلت بيتنا عرافة إلا واختفى شيءٌ ما مهما كانت متيقظة وحذرة، لا بد أن يختفي شيء ونكتشف غيابه بعد خروج العرافة بيوم أو اثنين، منبه صغير، فستان قديم كان ملقًى هنا أو هناك، عدد من الشوك والسكاكين يكون موضوعًا من دون اهتمام في أي مكان. لا بد أن تطرف عينك وأنت جالس مع العرافة، وإن كنت ساذجًا حقًّا، ستقوم لتسقيها ماء أو تجلب لها شيئًا ما طلبته بكل براءة، ما علينا.

أتيت في إجازة سريعة جدًّا بعد أن مرضت المذيعة التي تقدم البرنامج، واضطررنا إلى إلغاء التصوير لأسبوع كامل، وبالطبع قمت

t.me/qurssan

بحجز تذكرتي إلى القاهرة فور أن أخبرَتْني المذيعة أنها لن تستطيع العمل، كنت أتظاهر بالأسف وأتقافز داخليًّا من الفرحة، وكنت أتمشى في شارع هدى شعراوي الأسبوع الماضي عندما قابلت تلك العرافة، وأصرَّت على أن تفتح لي الودع، في الحقيقة أنا لا أريد أن أعلم ما الذي سيحدث في المستقبل القريب أو البعيد، لكني لسبب ما توقفت عن المشي بخطواتي السريعة جدًّا وتمهلت حتى لحقت بي، وقفت بابتسامة متحدية في وجهي ثم افترشت الرصيف في سرعة المحترفين، ووضعت المشنة الكبيرة المغطاة بملاءة يبدو عليها القِدم أمامها على الأرض، ثم بدأت في هز محتويات المشنة في حركة سريعة ومنظمة، «وشوشي الودع يا حلوة»، قالت جملتها بلهجة آمرة وهي تعطيني كومة من الصدف الملون، أخذتُ الصدف منها وأنا لا أستطيع أن أتوقف عن التفكير في جملة: «ضربت الودع ما لقيتش صاحب جدع».

لم أعرف ما الذي يجب أن أقوله بصوت منخفض للودع، ووجدت نفسي أهمس باسمك وأكرره مرات لا أتذكر عددها، كنت أفكر فيك وأنا أتمشى بخطواتي السريعة إلى أن قابلتني العرافة اللصة، ألقيت الصدف على الرمل وأنا أنتظر نتيجة العبط الذي قمت به حالًا، ربما ستعطيني المرأة ـ إن كانت بالفعل عرافة أصيلة ـ رقم بطاقتك الشخصية أو حسابك البنكي، الدقة تستوجب هذا وإلا لا لزوم لوشوشة هذا الودع.

سألتني المرأة من دون أن تنظر إليَّ إن كنت قد كسرت طبقًا كبيرًا من حوالي شهر، قلت لها إنني لا أتذكر كل ما أقوم بكسره من أطباق،

t.me/qurssan

انسمت وهي ما زالت تنظر إلى مشنتها المليئة بالرمال والصدفات الملونة: «كنتِ بتغسلي أطباق أو مواعين، وفيه واحد جه من وراكي، حط إيده على وسطك وحضنك جامد، اتخضيتي فالطبق وقع منك على الأرض واتكسر ميت حتة، صح؟».

كنت أنت في الحمام تستعد للنزول، وأنا أحضِّر الإفطار وأغسل ما تبقَّى من صحون العشاء، عندما قررتَ أن تفاجئني بحضن رقيق أفزعني، لدرجة أنني تركت الطبق يسقط من يدي برعونة، هدَّأتَني واعتذرتُ لك عن فزعي المبالَغ فيه، وسخرتَ من مستوى التوتر الذي أعاني منه قائلًا إنني ربما أتكعبل في نفسي وأقع في بالوعة مفتوحة إن طارت فراشة بريئة أمام وجهي. نزلت أنت في هذا اليوم وجلستُ أفكر في القلق الذي يزداد كل يوم، لدرجة أنني أصبحت أكسر الأطباق عندما تفاجئني أحضانك المطمئنة، وكانت زيارتي الأولى لطبيبي النفسي في هذا اليوم نفسه.

قلت للعرافة إنني لا أتذكر، وإن عليها أن تقول شيئًا يبهرني حتى تستحق جنيهاتي الثمينة، قالت لي بثقة: «هتدفعي وإنتِ مبسوطة ما تقلقيش، قلِّبي الودع يا حلوة»، لم أخبرها كم يستفزني تعبير «يا حلوة»، دقائق قليلة ويمضي كلٌّ منا في طريقه، فلا داعي للاسترسال في الرغي والهري والكلام الكثير، قالت ببساطة مستفزة: «ما تسافريش تاني، السفر مفيهوش خير»، قلت: «طلعي السفر من دماغك، دوري على حاجة تانية»، قالت: «مفيش حاجات كتير، فيه طبق بيتكسر وقلب بيتكسر وطريق بيتكسر، ورايش كتير ممكن تتجنبيه لو عايزة، بس إنتِ مصممة تروحيله».

t.me/qurssan

تمتمت في سري أن هذه امرأة لا تعرف أي شيء، وأن أي شخص من الممكن أن يكسر أشياء، كما أننا في الشتاء وربما أكون ذاهبة إلى أسوان لأستمتع بدفء شمسها في هذا الوقت من السنة مثلًا، وبالتأكيد يوجد الكثير من الخير في أسوان، هذا بجانب أنني أسافر على الأقل مرة في الشهر، فلا بد أن تحدد بدقة مسار الرحلة وتاريخها حتى أصدق ما تقول. وضعت حقيبتي على الأرض وقمت بإخراج بعض الأشياء وأنا أقول لها إنها لا تستحق نقودي، ولكنني سأعمل بأصلي وإن كنت نادمة على الوقت الذي ضيعته مع عرافة لا تعرف أي شيء، فلا تستحق حتى مُسماها الوظيفي الذي يفترض المعرفة.

بعد أسبوع من هذا اليوم وأنا على الطائرة التي تتجه ـ كالعادة ـ إلى دبي، أكتب لك لأعلمك أن العرافة ربما كانت تعرف أشياء، وربما كانت شوَّافة بشكل ما، ربما لم يكن كل السفر خيرًا بالفعل، وبلا احتياج لذكر هذا، سأخبرك كم ينكسر قلبي في كل مرة تغادر الطائرة القاهرة إلى وجهة بعيدة أنت لست موجودًا فيها، سأكتب لك هذه التفاصيل ولكن في جواب آخر.

محبتي وأشواقي بلا أطباق مكسورة.

بين دبي والقاهرة

يناير ٢٠١٨

t.me/qurssan

عزيزي يوسف،

لا أتذكر اليوم إن كانت تلك هي سَفْرتنا العاشرة معًا أم لا، أجد نفسي جالسة في أحد المطارات ولمبات النور الأبيض تسبب لي صداعًا غير عادي، أحاول أن أحتمله وأحتمل البعد عنك في اللحظة نفسها، بينما أنا جالسة على كرسي بارد جدًّا، يسبب ألمًا يَنفذ إلى فقرات ظهري، ولكن معلش. هذا يومي السادس في هذا البلد، وكعادتي أتنقل من ولاية إلى أخرى بحثًا عن الأصدقاء الذين سرقتهم مني الحياة، شأنها شأن الكثير والكثير من الأشياء الأخرى التي لا حيلة لنا في فقدها.

أقوم بهذه الرحلة دومًا، ولكنها المرة الأولى التي أراها بهذه القسوة، فقط لأني في هذه المرة تركت جزءًا من قلبي معك قبل الرحيل، أفتقدك جدًّا منذ تركت يدي في المطار وتركتني أصعد إلى الطائرة التي لا تبدو جذَّابة مثل كل مرة، أجلس على هذا الكرسي السخيف في انتظار طائرتي المقبلة، بينما أتأمل وجوه

t.me/qurssan

الناس من حولي، وأحاول أن أتوقف عن التفكير فيك أنت فقط أفتح حقيبة ظهري وأقرر أن أكتب لك خطابي العاشر، أهو العاشر؟ لا أتذكر، فمنذ تقابلنا وأنا أكتب لك الخطابات، وفي الحقيقة لم أعد أتذكر ما الخطابات التي بعثت بها إليك، وما الخطابات التي ألقيتها في أدراجي المعدنية وكتبت عليها بثقة: «هذا خطاب لن يُرسل إلى صاحبه أبدًا». أحكي لك اليوم عن المطار والأميال والبوابات الحديدية السخيفة. لم تتوقَّف الأمطار المستمرة عن الهطول، وهناك موسيقى تنبعث من مكان ما لا أعرفه، موسيقى مملة وخاملة، وهناك الكثير من الثلج، أبيض ونظيف وجميل، لكنه بارد ويخيفني أحيانًا.

أريد أن أحكي لك عن نيويورك، على الرغم من أنني لم أعش قَطُّ هناك، فإنها من مدني المفضلة التي طالما حلمت أن نزورها معًا. دومًا أزورها في الشتاء، حالما وضعت قدميَّ في المطار الضخم للمرة الأولى تذكرت جملة جمال بخيت التي استخدمها يوسف شاهين في مشهد لا يُنسى: «نيويورك بتقتل أي حنين»، طالما ذكَّرني بها صديقي الذي يحفظ هذا الفيلم عن ظهر قلب وعلى الرغم من عدم اتفاقي مع شاهين أو مع صديقي، فإن نيويورك لا تتركك مثلما ذهبت إليها، ستفاجئك دومًا بشيء ما، الموضوع لا علاقة له بالصخب والزحام والسرعة الجنونية التي يمضي بها الجميع، الموضوع أكبر من هذا، هذه المدينة ستخترقك وتضعك في ملايين السيناريوهات التي لم تتخيل أن تكون أحد أبطالها قط المهم أنني أتجول هنا في شوارع لا تعرفني ولا تعرفك، وأرى

t.me/qurssan

الكثير من الوجوه؛ صفراء وحمراء وسوداء، وأعينًا على كل شكل ولون، تمشي أمامي مئات المعاطف والأحذية الملونة التي تتناسب مع لسعة البرد التي تقرص الأطراف، وتكاد تصل إلى خلايا المخ والأوردة وتجمدها تمامًا.

أفكر فيك وأكتب لك دومًا من أمام بوابات المطار، هناك الكثير والكثير من بطاقات الركوب والوصول والمغادرة، بطاقات خضراء وزرقاء وبيضاء، في كلٍّ منها عشرات الخانات الفارغة التي لا بد أن أملأها بمعلومات عن أجداد أجدادي، الأمتعة ثقيلة جدًّا ودائمًا تصل متأخرة، مثلي، تكاد تفتعل الأسباب كي لا تغادر. أما أنت فهناك في الدفء، بعيدًا عن كل هذا الزخم والضوضاء والبرودة، هناك في عالمك الصغير وتفاصيلك اللامتناهية وعينيك الخضراوين، لا تحب الزحام ولا تحتمل الفوضى والتوتر اللذين تسببهما المدن الكبيرة، أنت هناك، وفي كل مرة أقف عند إحدى بوابات المغادرة في أحد المطارات الكئيبة أغمض عينيَّ لحظة، أصبحت عادة مثلما ترى، وأنا عرفت الطريقة المثلى وأستخدمها طوال الوقت، أغلق عينيَّ كي أراك مبتسمًا، أو كي أراك حزينًا وأنت تغادر صالة المسافرين وأنا أمضي في الاتجاه المعاكس، أغلق عينيَّ كي أراك تصل إلى يدي تحتضنك مرة أخيرة في أملٍ ألا تنتهي اللحظة.

حكيت لك عشرات المرات عن نيويورك الصاخبة المجنونة، وعن حبي لها، وأنت تقول إنك لا تعرف إن كنت ستحبها أم لا، لكنك تعرف أنك حتمًا ستزورها يومًا ما، وحكيت لك عن شوارع بروكلين وعن المشي في سوهو وفي شوارع نيويورك الآمنة نسبيًّا، طالما

t.me/qurssan

ابتعدت عن براونزفيل التي تمتلئ بالسكان الأفارقة ـ أو «الملونين» كما يسمونهم في الأحياء التي يحتل فيها المواطن الأبيض الغالبية العظمى ـ أو عن أحياء قديمة في بروكلين، مثل بوشويك التي تقابل في شوارعها تاجر مخدرات كل خمسين مترًا، هناك يبيعون الهيروين على عينك يا تاجر، أو مثل بيد ستوي كما يدللونها واسمها الأصلي بيدفورد ستويفسانت، التي تشتهر بجرائم التحرش الجنسي سواء بالسيدات أو الأطفال، أو مثل ضواحي برونكس، حيث يقوم ضباط شرطة نيويورك بإطلاق النار على رؤوس الأشخاص بلا داعٍ، لمجرد أنهم ليسوا ذوي بشرة بيضاء. أكتب لك عن نيويورك وأنا أتمشى في مانهاتن، وأمرُّ بشارع أربعة وثلاثين الشهير لأرى المحلات العملاقة تصطف على جانبَي الطريق، وفي شوارع برودواي، أو كما يطلقون عليه «حي المسارح»، وأرى اللافتات الضخمة لمسرحية «ديزني» الشهيرة «الملك أسد»، أو قصة الحب والخيانة في رائعة «فرانك أورسون» «شيكاغو»، أو حتى مسرحية «قطط» التي ظلت تُعرض عشرات السنوات على مسارح برودواي القديمة والجديدة. أحاول أن أتفادى السائرين الذين كما يبدو يستمتعون بالاصطدام بالمارة بسبب سرعة السير غير المبررة. كل شيء يمشي بسرعة غريبة هنا، الأشخاص يمشون بخطوات سريعة جدًا كأن هناك من سيفتك بهم، والسيارات تنطلق بسرعات مجنونة حتى تلحق بالإشارة الخضراء، لا توجد أي علامة على الارتياح أو الاسترخاء، حتى اللافتات المضيئة ليلًا ونهارًا أنوارها ترتعش بتوتر. وعلى الرغم من كل هذا، فإن زيارتك لنيويورك ستكون أكثر سحرًا لو ذهبتَ إلى كل

t.me/qurssan

الأماكن التي رأيتها وأحببتها على شاشات السينما وبين صفحات رواياتك المفضلة وأنت في سنٍّ أصغر وبكل دهشة العالم، نيويورك ستصبح أجمل عندما تذهب إلى مكتبة «باجينت» الصغيرة في شارع سبعة وستين، وترى كل البطاقات التي تحمل صورًا لأجمل مناطق نيويورك التي لن تراها في دليل السفر، وكل طبعات الكتب القديمة من دار «فيبر وفيبر» ومنشورات دار «البطريق» الشهيرة بأغلفتها الأصلية، التي تصلح لأن تكون لوحات فنية تُباع بآلاف الدولارات، أو تذهب لمقهى «كارلايل» في «ماديسون أفينيو» لتستمع لموسيقى الجاز مثل «ميكي» و«هولي» في فيلم «هانا وأخواتها»، عندما تذهب لتناول شريحة البيتزا الشهيرة من «بيتزا جون» في شارع بليكر بمانهاتن، وتتذكر «أيزاك» في مشهد بديع وهو يخبر حبيبته «تراسي» التي تصغره بتسعة عشر عامًا، أنها ستصبح ممثلة رائعة عندما تذهب إلى لندن للدراسة، وعندما تسهر في شوارع المدينة حتى الصباح ثم تذهب وتجلس على دكة خشبية صغيرة، لتشاهد شروق الشمس بجانب النهر الذي يُطِل على جسر كوينزبورو، مثل «ماري» و«أيزاك» أيضًا في فيلم «مانهاتن»، أو عندما لا تتمالك نفسك من أن تتخيل «سبايدرمان» وهو يقفز من فوق جسر بروكلين، أو عندما تذهب لمطعم «كاطز» وتجلس على الكرسي نفسه الذي جلست عليه «ميج رايان»، وهي تشرح لـ«بيل كريستال» أن التظاهر بالوصول للنشوة أثناء الجنس شيء تستطيع جميع النساء القيام به، وأنه لا يوجد رجل لا يمكن خداعه.

أُجبر كارمن طوال الوقت على ترك عملها الذي لا ينتهي، لتأتي

t.me/qurssan

معي إلى الأماكن التي في الأغلب لا تهتم بها ولا تجدها بمستوى الأهمية نفسه الذي أحكي لك عنه، تضطر في النهاية أن تستسلم لي لأننا لا نمتلك سوى خطاباتنا، وهذه الأيام القليلة التي نحاول الحفاظ عليها منذ سافرت من سنوات لا أتذكر عددها. أيضًا أحكي لها الكثير والكثير عنك، وهي تتشوَّق إلى لقائك حتى إن كان يبدو هذا ضربًا من المستحيل مع الحياة المعقدة التي نعيشها جميعًا.

لا يوجد مثيل لنيويورك، فأي شيء وكل شيء من الممكن أن يحدث لك هناك، تمامًا مثل القاهرة، صاخبة وواسعة وطاردة، وسائل المواصلات قذرة، ويمكنك دومًا رؤية الفئران تمرح على قضبان المترو الذي تحدث في محطاته ليلًا أشياءُ نخاف حتى من ذكرها سرًّا.

لا يوجد مثيل لنيويورك، وعلى الرغم من أنني حزينة اليوم لأننا لسنا معًا، فإنني أحلم أن نمشي في شوارع بروكلين معًا، وندخل إلى البارات والمكتبات العشوائية في ويليامزبيرج من دون ترتيب معًا، ونحضر عروضًا لم نسمع عنها شيئًا من قبل معًا، ونلتقط الصور في ساحات مانهاتن المزدحمة معًا، ونذهب لنرقص في تشيلسي على نغمات الأغاني القديمة التي نحبها معًا، ولا مانع من أن نرتدي أفخم ملابسنا ونذهب إلى «الريتز» لنتناول العشاء معًا، وننفق كل ما نملك من نقود فقط لنحكي عن هذه الليلة ما تبقى لنا من حياة معًا.

أعدُّ الأيام حتى إجازتي المقبلة، وأحاول ألا أفرغ حسابي البنكي حتى يتبقى به ما يمكنني من حجز تذكرة سفر إلى القاهرة، وأعد

t.me/qurssan

الأيام كي أحكي لك ونحن نجلس معًا عن كل الأشياء التي فعلتها، والأماكن التي زرتها، والأشخاص الذين قابلتهم، يومًا ما سنفعل معًا كل الأشياء ولن تكفي الحكايات للحديث عنها.

سلامي لك من أكثر المدن سحرًا، من نيويورك.

كوينز - نيويورك

فبراير ٢٠١٨

t.me/qurssan

عزيزي يوسف،

صحوت اليوم في الخامسة صباحًا، لم أستطع أن أنام جيدًا ليلة البارحة، سهرت لأشاهد فيلمًا قديمًا شاهدته عشرات المرات من قبل، ولكني دومًا لا أستطيع مقاومة عيد وهو يقول لكاميليا إن «مسيرها تروق وتحلى»، ولا عندما تستيقظ هند وكاميليا في مشهد النهاية البديع لتجدَا أحلام تقف على البحر تتقافزان بفرحة وهما تحملانها، في إشارة إلى أن الحياة تنتصر ولو بعد حين، وأن دومًا هناك أملًا مهما كان كل شيء يبدو قاتمًا وباعثًا على اليأس. لم أستطع النوم جيدًا لأنني أخاف من الأطفال الحزانى، وأخاف على نور عندما انطلق هربًا في شوارع قاسية خوفًا من بطش عرابي، وإن هدأ قلبي قليلًا عندما تجده عيشة وتخبره: «الدين يتسد والعدو يتهد»، حتى وإن كنت لا أتمالك نفسي من البكاء عندما يخبرها أنه لا يزال يخاف عرابي الذي أخبرهم يومًا بثقة أن: «العالم ده مولد وصاحبه غايب، ومحدش سائل في حد»، ربما لأن جزءًا ما في عقلي يخبرني أنه على حق حتى

t.me/qurssan

وإن كان أسوأ خلق الله. أخاف جدًّا من أطفال الأفلام الحزينة لدرجة أنني ظللت أسبوعًا كاملًا أحلم بصوت نهنهات وبكاء «أليكساندر» و«فولا»، عندما ضاقت بهما الحال وهم يبحثان عن والدهما الذي لم يرياه قط. الحياة قاسية جدًّا، ولكن أطفال الأفلام يثيرون حزني ولا أستطيع السيطرة على هذا الحزن مهما فعلت.

أشاهد الكثير من الأفلام هذه الأيام، ربما أحاول أن أدفع الوقت حتى موعد لقائنا المقبل، وأشعر أن هناك بعض البرود ينتاب أحاديثنا وأحيانًا يتسلل إلى خطاباتك، أعرف أنك لم تعتد كتابة الخطابات على عكسي، وربما لا تستطيع أن تقول كل شيء على الرغم من براعتك في الكتابة، وأحاول أن أدفعك للكتابة عن أشياء تحبها ولكنك ترسل خطابات مختصرة مثل رسائل الواتساب، ولا أعرف إن كان هذا بسبب زحام الحياة عندك وانشغالك في عملك الصحفي الذي لا ينتهي، أم إنك فقط مللت لقاءاتنا الخاطفة. أخاف من الجليد الذي بدأ في الانتشار بيني وبينك، وألوم نفسي كثيرًا لأني ربما لا أبذل الجهد الكافي كي أحافظ على الدفء بيننا، وأعرف أن الدفء يذهب مع الأيام خصوصًا مع عدم وجودنا معًا، ربما كنت متفائلة أكثر من اللازم، وربما أصابني الأمل في لحظة لم أتصور أنني سأكون ضحية له مرة جديدة.

أشاهد الكثير من الأفلام حتى تلهيني عن التفكير في أي شيء، شاهدت منذ أيام «أوليف» وهي ترقص رقصتها غير المناسبة إطلاقًا في الفيلم الأمريكي خفيف الظل، الرقصة التي علَّمها لها جدها قبل أن يموت، وجعلتها تبدو حمقاء أمام الجمهور إلى أن انضمت لها

t.me/qurssan

عائلتها غير المتجانسة بالكامل، في لقطة تشجيعية محبة للحياة، حتى إن لم تكن أفضل حياة ممكنة. أرشح لك بشدة فيلمًا فرنسيًا قاتمًا للغاية وإن كان يحتفل بالحب ـ وهو اسم الفيلم أيضًا ـ بطريقه العاشق الخاصة، الذي يقرر أن ينهي حياة حبيبته كي يحررها من إصابتها بالشلل، لكنه ظل يحضر لها الورد، حتى يومها الأخير. أنت تعرف يا عزيزي كم أحب الورد، وخصوصًا أزهار الليليان التي تختلف كثيرًا عن الورد التي كانت تشتريها «كلاريسا دالواي» لنفسها كل يوم، قبل أن تذهب للقاء صديقها «ريتشارد» الذي أنهكه المرض، قبل أن يعترف لها أنه كان يعيش فقط كي يجعلها سعيدة وحتى لا تغضب منه، ثم يلقي بنفسه من النافذة. أحب كل الأفلام ولم أخبرك من قبل أنني مشيت حتى تكسرت قدميَّ وأنا أجرُّ حقائبي الثقيلة خلفي، لأقضي ساعة أخيرة في مقهى «طاحونتي الهواء» بباريس، الذي قضت «إيميلي» أوقاتًا طويلة فيه وفي مونمارتر الساحرة. لا أستطيع أن أقاوم الأفلام الجميلة ولا أعرف لماذا لا تحكي لي أبدًا عن أفلامك المفضلة، وتتركني دومًا لأحكي عن أشياء بدأت أفكر أنها ربما لا تكون مهمة بالنسبة لك، مثلًا، لا أعرف إن كنت تحب فيلم «الغواصة الصفراء»، سبق وأن قطعت تذكرة بمبلغ هائل لأرى المجسم الخاص بها في متحف «البيتلز» في ليفربول، ولا أعرف إن كنت تحب منتصر وهو يقول لسالم بلهجة غلب عليها الاستعطاف والتهديد: «أمي يا سالم»، أم تفضل خطاب الانتحار الذي تركته «فيرجينيا» لزوجها «ليونارد»، وهي تقول له بيأس إنها لا تعتقد أن هناك أي شخصين كانا بإمكانهما أن يكونا أسعد منهما. هل تفضل

t.me/qurssan

, وبة العالمة وهي ترقص لياسين وهو يخرط الملوخية، أم تحب , جس وهي تحاول إغواء محسب وصوت محمد قنديل يغني بأسى بعلفه بعض الأمل: «وتلاقي ع البر حبيب مستني يقولك سلامات»؟ أنحب الراقصات مثلي أم تجدهن مبتذلات مثل الآخرين؟ وإن كنت بحبهن، أتفضل نعمت مختار ورقصها اللولبي في «ابن حميدو»، أم زينات علوي في «الزوجة رقم تلتاشر» بعد أن تخبر مراد: «مش عيب بنت خالته تبقى رقاصة؟».

هناك الكثير الذي لا أعرفه عنك، في الحقيقة مللتُ أحاديثي عن غرف الأخبار المقبضة والأموات واللاجئين والانتخابات الأمريكية، التي لا نعرف حتى الآن إن كانت نزيهة أم لا، مللت الكتابة عن ذاكرتي التي تخدعني طوال الوقت وعن خوفي من كل الأشياء التي ستحدث وقد تسبِّب لنا الألم، ومللت من أن خطاباتك مقتضبة ولا يظهر فيها أنك تفكر فيَّ مثلما أفكر فيك، ومللت الطائرات التي أركبها كل بضعة أسابيع، ومللت الألم الذي أشعر به وأنا أغادرك كل مرة، ولا أريد أن أغادر ولكنني لا أعرف إن كنت فعلًا أريد أن أبقى، ربما نكون فقدنا لطف البدايات الذي كان يدفعنا دفعًا للقاء، ويعطينا هذا الإحساس ـ الذي بدأ يزول ـ بأننا وصلنا لقمة هرم السعادة ونحن معًا، ربما أتحدث كثيرًا عن أشياء ثقيلة، ولكنني على الأقل أقول لك أشياء تحدث الآن وحدثت بالأمس، وأشياء أخرى أخشى أن تحدث غدًا، في حين لا تقول أنت إلا القليل، وتكاد خطاباتك أن تكون فقرات ترد بها على ما أكتبه لك.

أصبحت أخشى أن أحكي لك عن تلك الأشياء التي تؤرِّقني،

t.me/qurssan

وما زلت أحاول وأحاول حتى لا ينتهي الكلام نهائيًا بيننا، مثلًا، أشعر منذ فترة طويلة أني قد تغيرت، وأشعر أن دبي قد حولتني إلى هذا الشخص الاستهلاكي الذي أكرهه، فبعد أن كنت لا أرغب في شيء ولا أشتهي أي ممتلكات من أي نوع أصبحت أرغب في شراء الأشياء التي لا أحتاج إليها على الإطلاق، ما زال الجميع يرى أنني لا أصلح للحياة في بذخ دبي المبالغ فيه، فأنا في نهاية الأمر لا أشتري الأشياء الثمينة ولا أقف في طابور الاستعراض الذي تقوم به زميلاتي هنا، وهنَّ يرين بعضهن البعض الخواتم الماسية والساعات الـ«رولكس»، ويتحدثن عن عمليات تجميلية كلفتهم آلاف الدراهم. في النهاية لم أرغب قَطُّ في امتلاك هذه الأشياء، وكنت أضيع أموالي القليلة على أشياء يراها الجميع تافهة، مثل بوسترات نادرة لأفلامي المفضلة، وتماثيل صغيرة الحجم لأبطال المسلسلات التي أحبها، وكل منتجات «الكوميكس» التي يطلقها «استوديو مارفل» الشهير كل بضعة أشهر، بالمناسبة أنا لا أعرف حتى الآن إن كنت تحب عالم «مارفل» الذي أحفظ عن ظهر قلب كل ما خرج منه من أفلام، أم تفضل «دي سي كوميكس» التي أفضل شخصياتها الشريرة أكثر؟ من هو بطلك الخارق المفضل؟ مثلًا، أتحب «كابتن أمريكا» أم «ستيف روجرز» الضابط الأمريكي المثالي صاحب القيم والمبادئ؟ أتحب «الرجل الحديدي» أم «توني ستارك» المليونير الساخر الذي لا يحترم أي شيء؟ أتفضل أنصاف الآلهة مثل «ثور» إله الرعد، أم إنك مثلي لا تفضل المثالية التامة وتحب «لوكي» المشاغب المتمرد؟ أرأيت؟ لا أعرف عنك

t.me/qurssan

أشياء غاية في الأهمية وربما تتهمني بالتفاهة لمجرد أنني أحب أفلام «عالم مارفل» التي يفضلها الأطفال والمراهقون.

تذكرت الآن «كليمنتاين» وهي تقول لـ«جويل»: «أنت لا تخبرني بأي شيء وأنا أخبرك بكل شيء، كل الأشياء المحرجة اللعينة»، هل أنت لا تثق بي مثل «جويل» الذي لم يثق بـ«كليمنتاين»؟ ألا تثق بي لأنني صبغت شعري باللون الأزرق مثلها في يوم من الأيام، أم لأنك تعتقد أن السرطان قد يكون أثَّر على حالتي النفسية فلم أعد أصلح لمشاركتك أشياءك؟ ألأنك تراني أقوم بأشياء من دون تفكير، أم ربما لأنني أفكر أكثر من اللازم، أم هي الشكوى من غرفة الأخبار اللعينة؟

أنا محبطة بسببك للغاية، محبطة وقد لا أستمر في إرسال الخطابات لك مثل العادة، ربما أنت لا تقدِّر أنني محبوسة هنا، أو على الأكثر محبوسة داخل الطائرات التي تأخذني إلى أماكن لا أثق بها وتعود بي إلى أماكن أخرى لا أطيقها، ولا تقدِّر أنني أجلس كل يوم أفكر إن كان صمتك واقتضابك بسبب طبيعتك الهادئة، أم إنني لست مثيرة للإعجاب بالقدر الكافي، أم إن اهتمامك يتوقف عند باب الطائرة التي تغادر القاهرة لأن هناك أشياء أكثر أهمية وأكثر إثارة للإعجاب ولا تعيش على بُعد آلاف الأميال؟

ربما كانت العرافة التي قابلتها منذ أشهر تعرف أشياء، وربما قتل السفر ما بيننا من محبة، وربما إن تقابلنا يذوب الجليد، وربما يجب أن أعود وربما يجب أن ترحل أنت، وربما لم نستطع أن نفعل كل الأشياء التي كان لا بد أن نفعلها، وربما فعلت أخطاء كثيرة وربما لم تهتم أنت بكتابة خطابات تخبرني فيها أنك تحبني بالقدر الكافي،

t.me/qurssan

وربما تحدثنا عن الأشياء ولم نفعلها، لا يوجد أكثر من الاحتمالات ولكنني الآن لا أستطيع سوى التفكير في أنني غاضبة وأنني أفتقدك ولا أثق إطلاقًا إن كنت تفتقدني بالقدر نفسه.

يجب أن أتوقف الآن عن الكتابة، فبكري يقول لهاني في إشارة إلى أنني يجب أن أتوقف عن الكتابة: «لما تبقى الدنيا سودا افتكر الأبيض عشان تقدر تعيش لبُكرة»، لا أعرف حتى إن كنت تحب هذا الفيلم الذي يعد ببدايات أفضل ونهايات سعيدة.

اكتب لي فقط إن قررت أن تخبرني عن أبطالك المفضلين، وأن تخبرني إن كنت ما زلت تهتم بمعرفة موعد رحلتي المقبلة، أم إن هناك ما هو أفضل وأكثر لطفًا من خطاباتي التي أظن أنها أصبحت ثقيلة ومملة.

دبي ـ الإمارات
أبريل ٢٠١٨

t.me/qurssan

عزيزتي كارمن،

أنت تعرفين عاداتنا السيئة في إعطاء الأشخاص ـ كل الأشخاص ـ فرصًا ثانية، أخبرتكِ في خطابي الأخير أنني تعيسة لأنني لم أستطع أن أحتفل معكِ بتخلصك من كارثة محققة كادت تقضي على جزء كبير من حياتنا، إن لم يكن هذا قد حدث بالفعل. ما زلت أشعر بالكثير من الغضب لأنني لم أستطع خداع نفسي بالشكل الكافي، وإقناع عقلي بأنني قادرة على إعطاء العالم فرصة ثانية كي يصحِّح فيها ما حدث. أتصور أنني أحاول أن أكون شخصًا أفضل، أقول لنفسي طوال الوقت إن العالم كان كريمًا معي بما يكفي كي يعطيني مجموعة من الأصدقاء، يتسببون في أن أطوِّر من نفسي وأحسِّن من عاداتي السيئة، وأن أقوم بالمراجعات في الأوقات التي تستلزم وقفات مع النفس. وأنتِ دومًا هنا ـ حتى وأنتِ هناك ـ لتشجيعي أحيانًا بقسوة، فتُذكريني بفرط البشاعة التي كنت أتعامل بها مع الجميع، وتُذكريني كيف كنت أقوم برفص الجميع من حولي، وبتأكيد أنني

t.me/qurssan

لا أحتاج لأي شخص لدرجة التخلص من أي فرصة للقرب من أي إنسان، وأحيانًا تشجعينني بادعائك أنكِ حتى لا تتذكرين كمَّ القسوة التي كنت أمارسها يوميًا، ربما عليكِ أنت شخصيًا، أنت تعرفين أنني أحيانًا أحتاج لمن يُذكرني بكل هذا، وأحيانًا أفضِّل أن أقنع نفسي أن ما حدث يمكن نسيانه. اليوم، وبعد الكثير من زياراتك لطبيبتك النفسية، والكثير من جهدك معي، ومحادثات شبه أسبوعية أستطيع أن أقول بثقة إنها كانت كإشارات التنبيه والتحذير ومحاضرات تطوير الذات، كان يجب أن أكتب لكِ بعد مرور هذا الوقت كي أشكرك على كل شيء، ولكي أحدثك عن موضوع الفرص الثانية الذي يلتهم أذهاننا منذ فترة طويلة.

نحن نؤمن بالفرص الثانية، ونؤمن أن الجميع يستحقون فرصة ثانية كي يصححوا أخطاءهم، ولكن لا يبدو أن الجميع يستطيعون الاستفادة منها، كما استطعنا نحن أن نضبط بها الميزان، وأنتِ أفضل العارفين بالفرصة الثانية التي أعطتها لي الحياة.

منذ سنتين تقريبًا، وعندما ظهرت هذه الكرة الصغيرة خلف أذنيّ لم أفزع، هذه أمور تحدث أحيانًا ويحلها الجسم بطريقته، بعد ثلاثة أسابيع كنت أجلس على مكتبي في غرفة الأخبار الكبيرة أقضم قلم رصاص كعادتي منذ الطفولة، وأنا أفكر في مواضيع جديدة لحلقات البرنامج، تململت قليلًا في مجلسي بينما أُعدل من وضع السماعات على أذنيَّ، عندما خبطت يدي بالكرة نفسها، لأجدها قد أصبحت أكبر وأكثر وضوحًا. أرسلت لأخي، طبيب الأسنان، رسالة أسأله إن كان يجب أن يقلقني وجود هذه الكرة، وردَّ بلا اهتمام

t.me/qurssan

ير بأنها في الأغلب إحدى العقد الليمفاوية التي ستختفي فور
اولي لبعض أقراص المضاد الحيوي، لم أتناول المضاد الحيوي
لأنني ببساطة نسيت الأمر، وبعد أسبوعين قررت الذهاب للطبيب
عندما أصبحت الكرة تزعج استقرار سماعات الأذن على رأسي.

لم يُقصِّر الطبيب المصري، الذي يعمل في المستشفى الضخمة
التي تشبه الفنادق الفاخرة، في بثِّ الطمأنينة في قلبي قائلًا إنها
نسبة ٩٩٪ غدة ليمفاوية تورمت بسبب استمراري في صبغ شعري
بالألوان العجيبة، مثل الأزرق والأرجواني، وأحيانًا الأخضر الفاتح،
قال ضاحكًا وهو يشير إلى شعري على الأغلب تسللت بعض المواد
الكيميائية إلى خلايا رأسي أثناء عملية الصبغة وأن لا داعي للقلق،
وأملى الممرضة اسم أحد المضادات الحيوية ونصحني بتناوله لمدة
أسبوع، على وعد بأنها ستختفي تمامًا. لم يبالِ الطبيب بنظراتي
المتشككة التي حاولتُ السيطرة عليها، كنت أفكر أنني أقوم بتغيير
لون شعري على الأقل مرة كل شهرين، ولم يحدث من قبلُ أن تورمت
غددي الليمفاوية لهذا السبب، ولكني قررت أن أصمت وأتناول
المضاد الحيوي باستسلام لم يكن يومًا من طباعي. استمرت الكرة
التي لم تصبح صغيرة الآن في النمو، وأصبحت السماعات تنزلق من
على رأسي بسبب انثناء أذنيَّ إلى الأمام، وأصبح خُلقي أكثر ضيقًا
بسبب اضطراري لسماع جميع الأحاديث التي تدور في غرفة الأخبار
التي كانت تصدها عني سماعاتي الحبيبة. أخذت موعدًا جديدًا عند
الطبيب، وذهبت والضيق ظاهر على وجهي. ابتسم الطبيب المصري
اللطيف من جديد وقال مازحًا: «إنتِ شكلك من العيانين اللي بيخافوا

t.me/qurssan

على نفسهم بزيادة، خلاص، أنا هاعملك «ألترا ساوند» مع إن شايف إن ده إجراء مبالغ فيه لواحدة صابغة شعرها جديد وغدده الليمفاوية وارمة، بس مش مشكلة، نعمل «الألترا ساوند» عشان تهدي، اصبري يومين بس على ما موافقة التأمين تطلع». لم أعلق على وصفي بالمريضة المزعجة ولم أحاول الدفاع عن نفسي، من حسن حظي أن موافقة التأمين أتت في اليوم التالي.

دخلت إلى الغرفة المظلمة، لا تنيرها سوى الإضاءة الخارجة من شاشة الكمبيوتر الخاصة بجهاز الموجات فوق الصوتية، التي من المفترض أن يرى الطبيب عليها خلايا الغدة الليمفاوية المزعجة التي تُصر على التورم وإزعاج أيامي الرتيبة في غرفة الأخبار. أتى الطبيب الهندي مبتسمًا وهو يخبرني أنه إجراء بسيط، وأنه بنسبة كبيرة لن تخرج النتائج عن كونها «عقدًا ليمفاوية غير محددة»، بمعنى أنها لا تستدعي أي قلق. رفعت رأسي إلى الأعلى وأنا أتمدد على السرير غير المريح بالمرة، واقشعر جسدي قليلًا عندما وضع الطبيب المادة الهلامية الباردة على رقبتي حتى تساعد على انزلاق جهاز الموجات فوق الصوتية بسهولة حول رقبتي حيث تستقر الغدة المتورمة. بعد ثوانٍ قال الطبيب ضاحكًا وهو مستمر في التجول بالجهاز المحمول باليد على رقبتي، إن كل شيء يبدو جيدًا، وإن هذا التورم ليس إلا غدة عادية متورمة، وقد يكون سببه الإصابة بدور برد أو قرصة ناموسة أو أي شيء غير معلوم، وإن الجسم سوف يتخلص منها بلا تدخل. سألته بينما أحاول أن أتنفس من دون أن أزعجه لماذا إذن لا يزال يعبث في رقبتي بجهازه البارد، ردَّ وهو يحاول أن يطمئنني أن هذه

t.me/qurssan

هي الإجراءات التي يتبعونها في كتب الطب، لا بد من المرور على الرقبة بالكامل، والتأكد من عدم وجود أي أورام أخرى. استمررت في النظر إلى السقف مرغمة وأنا أفكر في تأخري على العمل على الرغم من عدم إلزامي بمواعيد ثابتة، ثم تذكرت «جريجور سامسا» بطل «كافكا» العبثي الذي سيطرت عليه فكرة ذهابه إلى العمل بعد أن تحول إلى صرصار، كتمت ضحكة كادت تفلت مني عندما تخيلت نفسي وقد تحولت إلى صرصار يحاول الذهاب إلى العمل. أدركت في لحظة ما أن الطبيب قد استقر على منتصف رقبتي لمدة قد تزيد على عشر دقائق، وأنه لم يعد يحرك الجهاز بالحركة الروتينية نفسها. سألته إن كان قد وجد شيئًا يستدعي القلق، فردَّ في آلية أنه وجد بؤرة متورمة فوق الغدة الدرقية، وأنه يجب أن يكتب مقاسات هذه الكتلة ومواصفاتها في التقرير المصاحب للإجراء الطبي. نظرت له بجانب عيني وأنا أسأله بأبسط إنجليزية استطعت استخدامها إن كان يجب أن أقلق، فردَّ بالآلية نفسها أن لا مجال للقلق وأن هذا التورم يحدث لمعظم السيدات، وأنه يشبه بُثور حَب الشباب التي تحتاج إلى قليل من العلاج حتى تختفي، بعد حوالي أربعين دقيقة أفرج الطبيب عني، وأخبرني أن المستشفى ستتصل بي لتحديد موعد جديد مع الطبيب الخاص بي، بعد ساعتين اتصلت بي الممرضة لتخبرني بالموعد.

جلست من جديد أمام طبيبي المصري وأنا أكاد أموت من الحرج من أن صبغة شعري قد تسببت في تضييع هذا الكم الهائل من الوقت، لدى الطبيب الذي ينتظره العشرات في صالة الانتظار. «شُفتي؟ قلتلك مفيش حاجة، الكورة طلعت غدة ليمفاوية بريئة والموضوع

t.me/qurssan

طلع مفيهوش حاجة زي ما قلتلك»، قلت بلهجة اعتذارية إنني أشعر بالخجل والذنب بسبب ضيق خُلقي الذي أدى إلى تضييع كل هذا الوقت والمال، ردَّ ببساطة: «لا ولا يهمك. فيه بس حاجة تانية، إحنا لقينا تكتل صغير أوي على الغدة الدرقية، وباين جدًّا من صور «الألترا ساوند» إن مفيهاش حاجة، بس القواعد الإرشادية بتقول إننا لما نلاقي حاجة كده لازم نطمن عليها. لو عايزة ما تعمليش الموضوع ده براحتك، هوَّ مش مهم غير بس عشان نبقى ماشيين على القواعد»، سألت بحذر: «هوَّ بيوجع؟»، رد ضاحكًا: «إطلاقًا. الموضوع بسيط جدًّا، ده حتى بنسميه عينة بإبرة دقيقة ورفيعة جدًّا، مش هتحسي بحاجة». أخبرته أن لا مانع لديَّ من القيام بالإجراء بعد موافقة التأمين الصحي عليه، في اليوم التالي اتصلت بي المستشفى كالمعتاد، دخنت سيجارة على باب المستشفى ثم دخلت حتى وصلت إلى الغرفة، خلعت كل ملابسي حسب إرشادات الممرضة البشوش، ورفعت شعري القصير إلى الخلف بقليل من بنس الشعر حسب تعليماتها، وارتديت الثوب الأزرق المعقَّم ورقدت على السرير في انتظار الطبيب. جاء طبيب جديد هذه المرة، يبدو واثقًا جدًّا من نفسه ويتحدث العربية بلهجة شامية، سألته في محاولة لكسر آلية الأجواء عن جنسيته، فقال في اقتضاب وهو يُحضر أشياء تبدو مخيفة: «سوريا»، قلت له في حماس إنني قد عشت ما يقرب من سنة في سوريا وتحديدًا في حلب، وبدأت أحكي له عن بعض ذكرياتي في المدينة وأنا أحاول بقدر الإمكان ألا يتطرق الحديث إلى أي جانب سياسي. توقفت عن الحديث عندما رأيت للمرة الأولى الإبرة الطويلة

t.me/qurssan

التي يحملها، وهو يطلب مني بلهجة آمرة أن أثبِّت رأسي إلى الخلف حتى يستطيع الحصول على العينات بسلاسة، سألته في لهجة فزِعة إن كان سيُدخل هذه الإبرة الطويلة في عنقي بلا تخدير، فأجاب أنها غير مؤلمة لهذه الدرجة، وأن ألمها محتمل بدرجة كبيرة، استسلمت حتى لا أبدو وكأني أتدلع، رفعت رأسي وأنا أثبت عينيَّ في النيون الأبيض الذي يرتعش مثل مستشفيات التأمين الصحي، متناسية أنها مستشفى أقرب للفنادق ذات الخمس نجوم، ولا يصح أن ترتعش بها الإضاءة بهذا الشكل الرديء. ضغطت على أسناني بقوة بينما أشعر بالإبرة تخترق رقبتي حتى العمق، تستقر لثوانٍ ثم يخرجها الطبيب بحركة بطيئة ثم يكرر العملية لثلاث أو أربع مرات. أغلقت عينيَّ بقوة وأنا ألعن اللحظة التي وافقت بلامبالاة على القيام بهذا الإجراء على الرغم من منحي الاختيار، حاولت أن أخبر الطبيب بصوت خافت أن لديَّ فوبيا حقيقية من الحقن والإبر، وأنني أستطيع احتمال رؤية مشاهد عنيفة جدًّا ولكني قد أفقد الوعي إن رأيت الإبرة بعينيَّ وهي تخترق أنسجة الجسم، لم يعطني الطبيب السوري الفرصة وأخرسني بصرامة فور أن حاولت الكلام حتى يستطيع التركيز فيما يفعله.

بعد حوالي نصف الساعة أخبرني الطبيب وهو يلملم العدة الطبية التي استخدمها، ويلصق لاصقات صغيرة تحمل أرقامًا وتوصيفات لم أفهم منها شيئًا على أنابيب المعمل، التي وضع فيها كل شيء استخلصه من رقبتي في حرص، أن الممرضة ستتصل بي بعد أيام لتحديد موعد. سألته وأنا ألمُّ الثوب المعقَّم حتى لا ينزلق من فوق كتفيَّ عن رأيه في حالتي، فردَّ بثقة أنه يمارس هذه المهنة منذ ثلاثين

t.me/qurssan

سنة، وأنني يجب أن أطمئن تمامًا لأن كل شيء يبدو على ما يرام، فلا داعي للقلق. ارتديت ملابسي في الغرفة المجاورة وأنا أشعر برغبة عنيفة في البكاء بسبب إحساسي القوي أن هناك من غفَّلني وأدخل هذه الحقنة المشابهة لسيف الساموراي في رقبتي، ولكنني تمالكت نفسي وخرجت من المستشفى بخطوات مسرعة، وقفزت في تاكسي ذاهبة إلى مقر عملي كي أبدأ يومًا جديدًا.

استيقظت في اليوم التالي على مكالمة من طبيبي المصري مباشرة، توقعت أن تتصل بي الممرضة ولكنني وجدت صوته آتيًا عبر الهاتف، يسألني إن كنت أستطيع المرور على عيادته قبل الذهاب إلى العمل، سألته عن سبب العجلة فقال إنه سيخبرني بكل شيء عندما يراني، ارتديت ملابسي سريعًا ونزلت لأجد الجو خانقًا لدرجة لا يصدقها عقل، هجم عليَّ قيظ أغسطس الخليجي المليء بالرطوبة حتى شبَّر بخار الماء المنتشر في الجو عدسات نظارتي الشمسية، ولم أعد أرى شيئًا، شعرت كأن الحرارة قفزت ١٠ درجات مئوية منذ اليوم الماضي.

أخبرني الطبيب بلهجة آسفة وصوت خفيض أنني مصابة بالسرطان، أخذ يعتذر لدقائق طويلة عن عدم استطاعته تشخيص الورم الذي يبلغ حجمه خمسة سنتيمترات، ويرقد بثقة فوق الغدة الدرقية. لا أتذكر معظم ما قال الطبيب، كل ما أتذكره أنني كنت مبتسمة في بلاهة وأنا أشعر أنه يوجه الكلام إلى شخص آخر، وأتذكر أنه اصطحبني بعدها كي أجلس مع رئيس قسم جراحة الأورام في المستشفى، ذهبت معه مثل الروبوت لأقابل طبيبًا عراقيًا يبدو واثقًا لدرجة مخيفة جدًا من نفسه، وهو يخبرني أنني مصابة بالسرطان

t.me/qurssan

الجيد أو «Good cancer» كما يسمونه في كتب الطب، وهذا لأن احتمالات الشفاء منه تصل إلى نسبة عالية جدًّا، وأن التشخيص العرضي أو الذي يحدث بالصدفة هو أفضل أنواع التشخيصات، لأن الورم يكون أقل شراسة من أن يتسبب في ظهور أعراض تؤدي إلى البحث عنه. أخبرني الطبيب العراقي ـ من دون أن أسأل ـ أنه على استعداد أن يقوم بالعملية بعد ثلاثة أسابيع، وبعد الجراحة سيتحدد نوع العلاج، ولكنه بالتأكيد لن يكون علاجًا كيماويًّا لأن هذا النوع من السرطان يتجاوب أكثر مع الإشعاع النووي. هززت برأسي وأنا أفكر فقط في حاجتي الماسة إلى تدخين سيجارة، والذهاب إلى العمل فورًا، لأن الوقت قد تأخر جدًّا، ولديَّ عشرات الأشياء التي يجب أن أنجزها اليوم. خرجت من المستشفى وذهبت إلى العمل لكي أبدأ يومًا عاديًّا جدًّا في أجواء طبيعية لم يتخللها أي شيء غريب، سوى استقرار السماعات على أذنيَّ بثبات بعد أن اختفت الكتلة المتورمة من خلف أذنيَّ تمامًا.

عندما غربت الشمس وأصبح الطقس أكثر احتمالًا ذهبت إلى أحد المقاهي المجاورة للعمل، ومع قدح من القهوة بدأت البحث عن تذكرة طيران إلى مصر خلال الأيام القليلة المقبلة، قمت بحجز تذكرة بالجنيهات القليلة الباقية في بطاقة الائتمان بسبب انتصاف الشهر وارتفاع أسعار التذاكر، ثم بدأت رحلة البحث عن الجرَّاح الذي سيقوم بفتح رقبتي وإزالة التكتلات الخبيثة منها. أفزعني إخوتي لأنهم لم يستطيعوا الحفاظ على ثبات أعصابهم بعدما علموا بالخبر، أخبرتهم بصوت حاولت قدر الإمكان أن يكون عاديًّا وغير عابئ،

t.me/qurssan

ذهبت إلى المنزل في آلية شديدة لأنام نومًا عميقًا يشبه الغيبوبة حتى صباح اليوم التالي.

حزمت أمتعتي بعد يومين واتجهت إلى القاهرة التي لم أشك لحظة أنها المدينة الوحيدة التي أريد أن أقوم فيها بهذه الجراحة، التي أخبرني الجميع أنها بسيطة ولا تستدعي القلق إطلاقًا. كنت قد توصلت إلى اثنين من الجراحين في القاهرة، الأول هو الجراح الأشهر وصاحب السمعة الممتازة، أفضل من يزيل الأورام بلا أثر، يقسم الجميع إن أصابعه هي الأكثر ثباتًا ومهارة مع أنه في السبعين من عمره. أما الآخر فهو طبيب شاب رشحه لي أحد الأصدقاء، قابله مصادفة ثم أجرى له جراحة تصحيحية لخطأ جراحي سابق. لم يحتج الأمر إلى الكثير من التفكير كي أختار الجَراح الشاب، عرفت منه أنه يعمل مساعدًا أحيانًا للجَراح الهرِم الذي تسبَّب تقدمه في العمر في ضيق خُلقه الشديد، وعدم رغبته في الإجابة عن أسئلتي الكثيرة ونفاد صبره الواضح، على العكس من الآخر الذي أجاب عن كل الأسئلة بصبر وابتسامة مشجعة، حدَّثني عن المخاطر المعروفة عن الجراحة المزمع تنفيذها، ورغى قليلًا عن الوشم الذي رآه على ذراعي، ورفع حاجبيه بدهشة وأنا أخبره عن أغنية أم كلثوم التي اخترتها كي أتخذ من كلماتها وشمًا يعيش للأبد على ذراعي، حكى لي بلهجة مرحة عن إصابة أم كلثوم بهذا الورم نفسه، وعن خشية الأطباء وقتها من استئصاله خشية أن يفسدوا صوتها لاقتراب موضع الورم من أحبالها الصوتية، ورددت مازحة أن هذا يفسر إصابتي بصداع أم كلثوم. قبل أن أغادر عيادة الطبيب الشاب، قام بفكِّ الزر الأول لقميصه وأشار إلى

t.me/qurssan

ندبة طويلة على رقبته، وقال إنه لا يفضل الدخول في أمور شخصية ولكنه أراد أن يخبرني أن الجراحة نفسها أجريت له منذ عشر سنوات بسبب إصابته بالورم نفسه، وأنه كان في عمري نفسه بالضبط عند تشخيصه بالإصابة بالسرطان. هززت رأسي بصمت وخرجت وأنا لا أشعر بأي شيء سوى أنني أريد أن أنتهي من كل هذا في أسرع وقت ممكن.

كنت في هذه الأيام وقبل سفري مباشرة أُحضر لحلقة جديدة عن الاختفاء القسري في العالم العربي، ولكن بسبب الإجازة الطويلة نسبيًّا، التي اضطررت أن أطلبها من العمل، لم أكن قد كتبت الحلقة قبل سفري. تلقيت اتصالًا من الزميلة التي استلمت مشكورةً مهامي أثناء غيابي تسألني عن المحاور التي أريد أن أتناولها في هذه الحلقة، وتلقيت هذا الاتصال وأنا أجلس وحدي تمامًا على سرير العمليات في غرفتي بالمستشفى، في انتظار اكتمال حضور فريق الأطباء الذين سيقومون بفتح رقبتي في خلال الدقائق القليلة المقبلة، وإلى أن تأتي الممرضة كي تصطحبني إلى غرفة العمليات في خلال نصف ساعة تقريبًا. أنهيت المكالمة مع زميلتي التي غلب فيها الاعتذار على طلب الانتهاء من الحلقة من موقعي في القاهرة. أعترف الآن أنني فعلت هذا بكامل إرادتي، وأنني ربما أكون قد ألححت على زميلتي أن تنتظرني لنصف الساعة حتى أرسل لها بنَص الحلقة. عندما جاء مساعد طبيب التخدير إلى غرفتي أثناء كتابتي للنَّص حتى يعطيني الجرعة الأولى من المخدر، طلبت منه أن ينتظر حتى أُنهي شيئًا مهمًّا لا بد أن أنتهي منه قبل دخولي لإجراء الجراحة، ويبدو أن الطبيب

t.me/qurssan

صغير السن قد شعر ببعض الإهانة وأنا آخذ منه عجلة السيطرة، وأحدد اللحظة التي سأسمح له فيها بتركيب الكانيولا في يدي كي أتلقى المخدر، فخرج غاضبًا من الغرفة بعد أن زاد غضبه بسبب عدم اكتراثي بالأمر وانشغالي الكامل بكتابة الحلقة. انتهيت من الكتابة وأرسلت النَّص الذي حمل أسماء عشرات المختفين قسريًّا ـ في أيام كان يُسمح لنا فيها بالحديث عن هذه الأمور ـ وعلى رأسهم أحد الأصدقاء المقربين، الذي استمرت رحلة بحثنا عنه وقتها سنة كاملة، وما زالت رحلة البحث مستمرة على الرغم من يأس معظمنا من العثور عليه بعد أن ذهب في ليلة كي يشتري العشاء ولم يعد من وقتها. عاد طبيب التخدير بعد أن طلبت من الممرضة أن تخبره أنني جاهزة الآن، لاحظت عبوس وجهه، وفي محاولة لكسر التوتر طلبت منه رشفة من المياه، فرد في حدة شديدة أن هذا غير مسموح به إطلاقًا قبل التخدير بلحظات. أخبرته أنني سأقوم فقط ببل شفتَي بالماء لأنني أشعر بانزعاج حقيقي من العطش، فقال في لهجة تشبه التشفي إن هذا قد يتسبب في إصابتي بارتجاع أثناء الجراحة ومن ثَم قد يؤدي إلى الموت. شعرت بدهشة حقيقية عند ذكر كلمة الموت قبل دخولي إلى غرفة العمليات مباشرة، وتمتمت ببعض الجمل التي تقول إنه شخص لا يطاق، وإنه لولا ضيق الوقت لكنت طلبت تغييره، ولكن بالطبع كان كل هذا بعد أن بدأ المخدر في غزو عروقي، وبعد لحظات غبت تمامًا عن الوعي كي أفيق بعد ما ظننته ثواني بسيطة، لأجد نفسي في غرفتي بالمستشفى محاطة بإخوتي.

قال طبيبي إني أفزعت الفريق الطبي بالكامل وهم يقومون بإفاقتي

t.me/qurssan

من التخدير، قال أيضًا إنني تفوهت بأقذع الألفاظ في تلك اللحظات، لدرجة أن بعض الممرضات تركن الغرفة من فرط خجلهن، لم يستطعن أن يتحملن سماع تلك الألفاظ في وجود رجال في الغرفة، وسألني بفضول عن السبب الذي يجعل «فتاة رقيقة مثلي» لديها هذا الكم من الغضب. ابتسمت وقلت له بنبرة اعتذار إنني لا أتذكر أي شيء سوى إغلاقي عينيَّ وفتحهما بعد لحظات في غرفة المستشفى. أما الطبيب فلم يعجبه إصراري المستميت على التدخين في غرفتي، فحذَّر الممرضات من عقاب قاسٍ إن علم أنني أدخن في الغرفة، ما اضطرني إلى جرِّ عمود المحاليل المرتبط بذراعي والنزول به إلى حديقة المستشفى حتى لا أتسبب في أذى الممرضات المسكينات، فأصبح عليَّ فقط أن أتعامل مع حدة وغضب طبيبي عندما يأتي بالصدفة ليراني أدخن مع عمود المحاليل في الحديقة: «عايزة إيه أكتر من إن يجيلك سرطان عشان تبطلي سجاير؟».

ظللت لأشهر طويلة أتلقى التشجيع من الأقارب، تلقيت أيضًا الكثير من الحب، والكثير من الجمل الطبية التي تقول إنني يجب أن أكون ممتنة أنني أُصبت بنوع من السرطان قابل للعلاج، أو «السرطان الطيب» كما يصرون هم على تسميته، بينما أصر أنه لا يوجد سرطان طيب، وأن الأفضل من الإصابة بالنوع اللطيف هو ألا أصاب به من الأساس. كنت أستقبل كل شيء بجمود وبساطة تَصوَّر الجميع معها أنني أخفي انهيارًا متوقَّعًا، أو أنني أتظاهر بصلابة غير حقيقية، ولم يدرك أحد إطلاقًا أنني فعلًا لم أكن أشعر بأي شيء، ربما باستثناء نوبة الغضب العنيفة التي حكى لي عنها الطبيب على استحياء ولا أتذكر

t.me/qurssan

منها أي شيء. ربما تسبب كل ما حدث من قبل إلى وصولي لهذه المرحلة من التبلُّد، الذي يجعلني أتقبل أخبارًا مميتة ببرود وتلامة لا أعرف الآن ـ وأنا أعيش على الحافة ـ إن كنت ما زلت أتمتع بالقدر نفسه من القسوة على نفسي قبل أن أمارسها حتى على الآخرين، لا أعرف إن كنت ناقمة أو غاضبة بسبب هذه القشة الأخيرة التي ربما لم تكن بالدرجة نفسها من القوة والعنف إن قارنَّاها بما سبقها، أراك تطقطقين بفمك وتقولين إن هذا الجزء من الحياة كان أقسى مما قبله، ولا أعرف كيف سأستطيع أن أقنعك أن الأمر لم يكن بهذا السوء.

قام طبيبي بإرسال رسالة قصيرة على هاتفي المحمول. كان هذا بعد شهر من العملية؟ أكثر قليلًا؟ لا أتذكر. كل ما أتذكره هو زياراتي الأسبوعية لعيادته بأشهَر شارع في حي المعادي بالقاهرة، وأنا أحمل الكثير من الأوراق التي تحوي نتائج تحاليل تبدو مفزعة، بينما تملأ الابتسامة وجهي وأنا أجلس أمامه بكامل طاقتي. في إحدى هذه المرات، قال لي بحذر: «إنتِ عملتِ التحاليل دي إمتى؟»، رددت بلهجة عادية: «إمبارح، ليه؟»، رد بدهشة: «عشان لو دي تحاليلك فعلًا، المفروض تكوني مش قادرة تقعدي قدامي كده، التحاليل بتقول إنك المفروض تكوني نايمة في السرير وده الطبيعي اللي بنجهزله الجسم قبل جرعة الإشعاع، فيه حاجة غلط». رددت عليه مجددًا بملل: «أنا نزلت النهارده اشتريت كنافة بالكريمة وكلتها، وبعدين رحت السوبرماركت اشتريت طلبات للبيت، وطلعت شقتي غسلت المواعين، ونزلت تاني اتمشيت نص ساعة، وبعدين قابلت صحابي، وبعدها ركبت تاكسي وجيتلك. مش تعبانة يعني خالص ويمكن إنتو

t.me/qurssan

الطب بتاعكم ده هو اللي فيه حاجة غلط». ابتسم الطبيب في تشجيعٍ وقال: «طيب واضح إنك بتقاومي فكرة النوم في السرير، بس خدي بالك عشان ده عرض هيحصل هيحصل، كويس إنك بتقاومي بس برضه ما تعانديش جسمك». تركت العيادة يومها لأجده أرسل لي رسالته القصيرة التي أحتفظ بها حتى الآن: «مش عيب إننا نرتاح شوية، ومش صح إننا نفضل نخبط في الحيطة طوال الوقت. كل الناس اللي في العالم يستحقوا ياخدوا استراحة محارب، ارتاحي واعتبريها أجازة وبطلي عِند». قرأت الرسالة باستهتار وقلت لنفسي إنني لن أتحول أبدًا إلى «دراما كوين» مهما حدث.

عندما انهار جسمي بسبب الأدوية لم أحكِ لأي شخص ما حدث. كنت أشعر بالهزيمة في أسوأ صورها، وكلما قرأت رسالة طبيبي اللعين شعرت بالهزيمة، وأن ثقتي في قدرتي على الاستمرار في المعركة كانت خادعة. لحسن الحظ، وكما تعرفين، لم يرَني أي شخص في الأسبوع الأول بسبب المادة المشعة التي حقنوني بها، التي قالوا ببساطة مستفزة إن تأثيرها مضر على الآخرين. كانت فترة مريحة نسبيًا، لا أفضِّل أن يراني الجميع وأنا في مرحلة الانهيار الكامل. كنت تقريبًا أزحف إلى الحمام كي أفرغ معدتي من عصارتها ثم أعود لأستلقي أمام التلفزيون بثبات، لأستكمل مشاهدة عم غمراوي وهو يتحدث عن أيام الحزن الكثيرة مقارنة بأيام الفرح، أستمع إليه وهو يتحدث في لحظاته الأخيرة عن كل لحظاته الحلوة، المولد وزينات وأم زينات وهو يمسك بأيدي اثنين من الغرباء اللذين أصبحا فجأة كل ما يملك من عائلة، في لحظة عجيبة أهداها إليه ملك الموت قبل

t.me/qurssan

أن يقبض روحه. أستكمل الفيلم الكئيب الذي لا يحبه الكثيرون ثم أعاود رحلتي السخيفة لأتكئ على ركبتيَّ على بلاط دورة المياه البارد، أرى دوائر على سطح الماء تتحرك أمامي، أغيب عن الوعي لحظات قليلة ثم أزحف عائدة إلى التلفزيون من جديد. أما المادة المشعة فكانت تنطلق مرحة في عروقي، تقتل ما تقتل من خلايا خبيثة وتؤذي ما تؤذي من خلايا سليمة، كل شيء له ثمن، العلاج له ثمن، وأمام كل خلية خبيثة تموت، يخبرني الأطباء أن أخرى سليمة تعطب.

حال الدنيا، هنعمل إيه.

لن أنكر بالطبع أن الجزء الخاص بليالي المستشفيات فيما بعد كان سيئًا جدًّا، وأن الاستلقاء داخل الأسطوانات الحديدية بلا أي حركة لساعات طويلة، كان مملًّا جدًّا، وإن منحني فرصة للهروب من صخب العالم، فكل شيء ـ كما تعرفين ـ يحمل بين طياته مقدارًا من الإيجابية، والكوب فيه جزء ممتلئ دومًا، حتى وإن أصر صديقنا أن هناك من طفح الجزء الممتلئ وحده وترك لنا الكوب فارغًا تمامًا. الجزء الممتلئ بالنسبة لي هو قدرتي على استرجاع أغاني أم كلثوم كاملة أثناء جلوسي داخل تلك الأسطوانات، واستطاعتي أن أستمع ـ داخل رأسي ـ إليها وهي تقول بخفة: «لكن فؤادك يهواني، وأعرف هواك من وجداني، هوَّ إنت تقدر تسلاني»، وارتباط كلمات هذه الغنوة تحديدًا بالعجوز صاحب الصوت العذب الذي أخذ يدندن يومًا ما في دأب: «ده اللي يحب يبان في عينيه»، وهو يجلس مستريحًا راحة يحسد عليها أمام ضريح السيدة نفيسة بالقاهرة، كنت أراه أثناء زياراتي المتكررة للضريح، أطلب من السيدة قائمة طلبات محددة،

t.me/qurssan

مثل مبلغ محدد من المال أو وظيفة معينة، ولم تخذلني يومًا السيدة «حبيبة المصريين» كما يسمونها داخل الضريح وخارجه.

أخجل من نفسي كثيرًا عندما أعتبر أن أسوأ ما حدث هو محاولات الممرضات المستميتة لإدخال الكانيولا في عروقي «الضعيفة» جدًّا (حسب تعبيرهن)، أضغط على أسناني بقوة حتى لا أبدو ضعيفة، ثم أسحب ذراعي عندما أدرك أنني لا يجب أن أتحلى بكل هذا الأدب، خصوصًا مع تحذيراتي لهم قبل غرس الإبرة في ذراعي أنهم لن يجدوا العروق بهذه السهولة، ونصائحي الخبيرة أن العروق «السهلة» (حسب تعبيرهن أيضًا) توجد فقط في ذراعي وليس في ظهر يدي، وينتهي الأمر كل مرة بمعركة أقوم فيها بالصراخ في وجوه الممرضات وببقعة زرقاء أو أكثر تظل تزين يدي، وتذكرني بكراهيتي للحقن والممرضات والكانيولا والسرطان لأسبوع أو أكثر، ولكن وعلى الرغم من سخافة الأدوية وعدائيتها الشديدة، فإنني احتفظت بشعري ـ بشكل ما من دون أن يسقط كله ـ واعتبرت هذا انتصارًا ما يُحسب لي في تلك المعركة، حتى وإن كان انتصارًا صغيرًا. أيضًا تم عزلي لفترات ليست قصيرة حتى لا أؤذي الأشخاص المحيطين بي بالإشعاع النووي الذي تناولت منه جرعات كبيرة، حتى أصبحت «راديو أكتيف»، لم يكن العزل سيئًا لهذه الدرجة، فقد أتاح فرصة لا بأس بها لمراجعة النفس والامتنان للفرص الثانية التي تعطيها لنا الحياة أحيانًا.

يخبرني الأطباء أنني أحمل الجين الذي يجعلني عرضة للإصابة بالسرطان، وأن الأورام حتمًا ولا بد أن تعود يومًا ما، وأنني لا بد

t.me/qurssan

أن أظل في دائرة التحاليل والأشعة طوال العمر، وأنني في الأغلب سأبدأ علاجًا أقسى من الذي تلقيته قبل أن أصل إلى الأربعين. وأنا أرد بابتسامات متفائلة وأقول لهم: «إحنا فين والأربعين فين»، وأن الموضوع ليس بهذا السوء وأن هناك من يولد بأمراض أسوأ ويبدأ معركته الخاصة في سن الطفولة. ما زلت أرى أن هناك فرصًا ثانية حتى وإن كانت مؤقتة، ويفرحني هذا أحيانًا لأنه يشعرني أنني استحققت هذه الفرصة، لأني حتمًا فعلت شيئًا جيدًا يومًا ما، لا أعرف بالضبط ما هو، ولكنني بالتأكيد فعلته كي تغطي شركات التأمين جزءًا كبيرًا من نفقات العمليات والإجراءات الطبية الكثيرة، في اللحظة التاريخية الوحيدة حين غطى التأمين الصحي ـ بترتيبات عشوائية ـ تكاليف احتياجاتي الصحية. ما زلت أرى أنني استحققت فرصي بالكامل، حتى وأنا أدخل بعد أشهر معدودة من جديد لغرفة عمليات جديدة، في مدينة ليست القاهرة هذه المرة، لأستأصل جزءًا من الرحم بسبب تكاثر الخلايا النشطة مرة ثانية، لتكتب هذه الجراحة ختام مرحلة التفكير في الإنجاب الذي لا أعرف حتى الآن إن كنت أردته يومًا أم لا، ولتتركني عاجزة عن تحديد موقفي من الفرص الثانية هذه المرة، ولأقرر بعدها أن أخفي هذا الأمر عن أقرب الأقرباء حتى لا يصابوا بالإحباط من الهزائم التي أتلقاها كل فترة، وحتى لا أشعر أن الجراحات المستمرة التي أقوم بها أصبحت عبئًا على الآخرين، أضطر بسببه أن أقضي وقتًا طويلًا أهدئ فيه من روع أصدقائي، وأقنعهم أن الموضوع بسيط ولا يستحق الفزع ونظرات الحزن والتعاطف.

يقول أصدقائي المتشائمون إن الفرص الثانية هي وهمُ المتفائلين،

t.me/qurssan

وإنها وُجدت فقط لتثبت أن مفيش فايدة وأننا سنكرر أخطاءنا مهما أعطتنا الحياة منها، وأن الموت هو الحتمية الوحيدة التي سنصل إليها آجلًا أو عاجلًا، وأن هذه الفرص فقط ستزيد من محاولاتنا اليائسة لتصحيح أوضاع كُتِب عليها الفشل، وفقط ستزيد من آلامنا وتعاستنا لأنها تؤكد حقيقة الدائرة التي ندور فيها، غير واعين أننا مهما مضينا فسنعود إلى النقطة نفسها من جديد. لن أعارض وجهة النظر هذه لأنني على مدار أشهر قليلة أجد نفسي أدور في الدائرة نفسها، تكرار الأشياء نفسها من دون تغيير، هذه المرة لم أختَر أن أدور فيها، ولكن كما تعلمين، كَسْر الدائرة الآن يعني التوقف عن المكاركة، والتوقف عن المكاركة لا يؤدي بالضرورة إلى الموت، ولكنه سيؤدي إلى بهدلة نحن في غنًى عنها، وأنا أتصور أنني سأظل أكارك حتى أحاول على الأقل أن أتفادى الوضع، حيث يلتف حولي أشخاص يساعدونني على التبول في زجاجات، أو يغيرون ملاءات الفراش المبللة بعد أن أفقد القدرة على التحكم في عضلاتي، أو يعدلون وضعي على سريري حتى لا أصاب بقرح الفراش. أتصور أنني سأفعل كل شيء كي أستغل هذه الفرصة الثانية التي أعتقد أن الحياة قد أعطتها لي كي تكون البهدلة أقل ولو نسبيًّا، ولأننا تعودنا على المكاركة فحتى وإن كان يبدو أن كل ما نبتغيه من هذه الحياة هو أن نبقى بجانب الحائط، فلنبقَ بجانبه أقوياء لا نتحول إلى عالة على كل من يهمهم أمرنا. نحن أفضل كثيرًا من غيرنا، فقد أعطتنا الحياة الفرص الثانية واستخدمناها، عكس كل من ألقى بها في القمامة وأصر على تكرار أخطائه بالضبط، بالتأكيد نحن أفضل بكثير منهم، حتى وإن كنا في انتظار أخبار الإصابة

t.me/qurssan

بأمراض مميتة يراها العالم وكأنها عقاب لكل ما فعلناه يومًا، حتى وإن كنا نرى أنفسنا أبرياء ولا نستحق كل هذا العبث، لن يحولنا هذا إلى ملوك دراما مهما حدث، وإن شاورتنا عقولنا سنستمع إلى الست وهي تقول بحنين: «يا اللي تشكي م الهوى هوِّن عليك».

دبي ـ الإمارات

مايو ٢٠١٨

t.me/qurssan

عزيزي يوسف،

كانت الليلة كالكابوس، ولكنك كنتَ جميلًا ورقيقًا وبريئًا وملائكيًّا عندما طلبتَ مني هامسًا أن أبقى بجانبك ولا أذهب حتى الصباح.

كم وددتُ أن أبقى عندما أصرَّت شياطيني على الذهاب، وضعتُ يدي على رأسك واستنشقت رائحة شعرك التي تفتح مسامَّ رئتي المصمتة بسبب الدخان والسواد الكوني، أمسكتَ يدي وأغمضت عينيك، ورائحةُ أنفاسك تجعلني أبتسم تلقائيًّا، لا أريد أن أفقد هذه اللحظة أبدًا، أو ربما أريد أن أنساها تمامًا، خرج صديقنا من الحجرة المجاورة ليراني أحتضنك في سَكِينة تامَّة، فسأل بسخرية: «هوَّ حد فيكم هيموت ولَّا إيه؟». كل العوالم الموازية تدور خلف الأبواب المغلقة، وأغلق أنا الباب الأخير لأذهب إلى حياة موازية أخرى وأتركك وحدك، ولا أعرف إن كان يجب عليَّ أن أبقى بعد كل ما حدث أم ربما كان يجب أن تذهب أنت.

أغلقتُ الباب وتركتُك وحيدًا وأنا أعرف كم هذا قاسٍ ومُوجِع

t.me/qurssan

لك ولي بعد كل ما كان بيننا، هذا الباب يجعلنا غرباء من جديد، وأنا لا أتخيلك غريبًا عني حتى بعد كل هذا. شعرتُ بالشلل وأنا أعرف أنك تنظر إلى السقف وحيدًا، بلا وجوه، وحتى كأس النبيذ الأخير، كانت قد فرغت.

كنت أتمنى ألا أفكر كثيرًا، وأن أترك الأمور تمضي في سلاسة ومن دون أن نصبح أبطال العالم في سوء التنظيم وسوء اتخاذ القرار، حتى إن رأى الجميع أن قرار استمرارنا معًا يتصف بالحماقة. لم أستطع أن أترك اللحظة تأخذ مجراها، من دون تفكير في كل الأشياء والحيثيات والأشخاص والترتيبات العشوائية والمواعيد المؤجَّلة، والمواعيد الأخرى التي لا تحتمل التأجيل. لا أريد أن أخلِّد اللحظة مثلما كنت أفعل طوال حياتي، كم من لحظة فقدتُها في وقت تصورت فيه أنني قد حبستها في صندوق مغلق، فقدت الكثير في الطريق حتى وصلت إليك على هذه الكنبة التي كانت يومًا ما مُرِيحة، وأصبحت تصيب ظهري بألم غريب، وكانت نظيفة وجميلة وأصبحت مليئة بالبقع التي لا أتذكر حتى كيف أصابتها، مثلها مثل أرواحنا التي امتلأت بالثقوب والبقع التي لا تنجح المنظفات في محوها. فقدت أشياءَ لا أستطيع حصرها، ليس من بينها حبي لصوت أم كلثوم وهي تقول: «يا ريت يدوم للقلب صفاك»، وكما كنت أقولها لك بدلال دومًا حتى ونحن نعلم يقينًا أنه لن يدوم، وفقدتُ أشياءَ أكثر وأكثر، وفقدتُ كل الكلام الذي قيل في رحلات بالسيارة على طرق سفر طويلة، والأحاديث التي دارت في رحلات أخرى بالقطار ولم يتبقَّ منها سوى أصوات المحرك والعربات، وشاب صغير منكوش الشعر يلصق وجهه في

t.me/qurssan

النافذة بلا أي تعبير على وجهه، ورجال في منتصف العمر يدخنون بين فواصل العربات، وفقدت حتى غضبي من الشأن العامّ فأصبح الأموات أرقامًا، والمحبوسون مجرد شريط أخبار يمرُّ ببرود كل يوم في غرفتي، ولافتات الانتخابات التي تروِّج للمرشَّح الواحد خاوية على الرغم من كل ما تمتلئ به من هراء، وفقدتُ شغفي وحماسي، وفقدَت الكنبة رونقها وهيبتها، وأصبحتُ أغلق الأبواب التي كانت ـ يومًا ما ـ مفتوحةً بلا تَحفُّظ ولا تفكير.

منذ أيام تركت عملي أخيرًا في أكثر غرفة أخبار أكرهها في حياتي، تركت كل شيء في لحظة لا أعرف إن كانت صائبة أم لا، وربما لن أعرف أبدًا. نحن لا نعرف الكثير عن أنفسنا إلا في لحظات حاسمة وكاشفة لم نتوقع قَطُّ أن تفعل بنا ما تفعله، حكيت لك كثيرًا عن كراهيتي لكل ما يدور في هذا المكان الطارد، وحكيت لك أيضًا أنني لم تربطني صلات قوية مع معظم زملاء العمل، وربما لم أكن صادقة للنهاية. منذ أيام قمت بتصوير الحلقة الأخيرة من البرنامج الذي أعددته من بدايته، أحب البدايات كما تعرف، ولهذا أتذكر أنني كنت متحمسة وسعيدة عندما بدأت التحضير، وبالطبع مع مرور الشهور والسنوات أصبح الموضوع روتينيًّا ثقيلًا، أفعله بلا حماس وبلا أي مشاعر إلا فيما ندر. اجتمع الزملاء بالمكتب لتوديعي أنا ومجموعة أخرى من الراحلين، ولسبب ما تذكرت البروفة الأولى للبرنامج نفسه التي جمعتني بمجموعة غير متجانسة من الأشخاص في غرفة التحكم، كنت أتنقل بينها وبين الاستوديو لأتأكد أن كل شيء يدور بشكل صحيح، وأتذكر اليوم زميلي الجزائري عندما هاتفني للمرة

t.me/qurssan

الأولى فظننته يتحدث لغة غريبة، وأخبرته بالإنجليزية أنني لا أفهم حرفًا مما يقول، وأغلقت الهاتف وأنا أظنه يتحدث السواحيلية، لم أعلم حينها أنني سأستأنس لسنوات مقبلة بتحيته الشهيرة «يا هلا»، التي ظل يقولها لي كل صباح بصفتي أول من يحضر إلى العمل، أتصور أنني لم أخبرك من قبل عن الزميل اللطيف نفسه الذي التقط لنا صورة ووضعها على مواقع التواصل الاجتماعي، مع رسالة مؤثرة أنهاها بأن محرز سيظل أفضل من مو صلاح، وهو يُذكرني بشجارنا الدائم حول الكرة وبإرهابي له أثناء مباريات كأس العالم، حتى لا يبدأ في السخرية من مستوى المنتخب المصري المتخاذل. لم أحكِ لك أيضًا عن صديقتي الإريترية التي أزعجتني طوال سنوات عملي في غرفة الأخبار بمحاولاتها الغنائية المستمرة، تُجرب طبقات صوت غير متجانسة ومزعجة لدرجة إثارة ضيقي، أنا «ذات الفتيل القصير» كما يطلقون عليَّ طوال الوقت، ولم أخبرك أيضًا عن رقتها عندما تسأل عني طوال الوقت، وعن دعمها المستمر لي وعن طلاقة لهجتها المصرية على الرغم من فزعي عندما أسمعها تُحدث أمها باللغة التجرينية، ولم أخبرك عن الصديقة الفلسطينية التي ابتعدت عني بإصرار وأنا أحاول أن أحتضنها، وهي تقول إن هذا ليس لقاءنا الأخير، وإن هذا ليس وداعًا حقيقيًّا، ولم أحكِ لك عن زميلي المصري الذي يعمل في الدعم الفني، الذي أصر بعض الخبثاء في أيامي الأولى في العمل أن يُحذروني من توجهاته الإسلامية، كان الداعم الأول لي عندما قررت التوقف عن التدخين، أحضر خمسة كيلوجرامات من اللب السوري هاتفًا بحماس أن تناوُله كان الطريقة المثالية التي

t.me/qurssan

جعلته يتوقف بدوره عن التدخين، ولا عن تأثره الشديد وهو يلتقط لنا صورة معًا لتُذكره بالسنوات التي تَشاركنا فيها مكان العمل، لم أخبرك بكل هذا، ولكني أريد أن أخبرك اليوم عن عشرات الرسائل المؤثرة التي تلقيتها من زملاءَ نسيتُ في خضم معاركي مع الإدارة السخيفة أننا تقاسمنا السخافات نفسها، ونسيت في خضم كل هذا أن أخبرك عن زميلتي التونسية التي شاركتني قصة حبها البائسة مع حبيبها المصري، وصديقتي المغربية التي طالما شربنا معًا أقداح القهوة ونحن نحكي عن الرباط والقاهرة بلا توقف، والثالثة العراقية التي بكت بشدة وهي تُحلفني بكل عزيز وغالٍ أن أذهب لأزورها في بغداد، وأن رسالة واحدة مني وأنا في الطائرة كافية كي تقوم بكل الاستعدادات اللازمة، لم أحكِ لك عن كل هذا، وفقط أريد أن أقول لك اليوم إنني لا أعرف إن كانت هناك بدايات جديدة وذكريات جديدة بعد هذه النهاية، أم فقط ستخلف أصدقاء يبهتون يومًا بعد يوم، مثلما بُهت آخرون فقدناهم في الطريق.

اليوم، أكتب لك هذا الخطاب وأنا في غرفتي، وأنت تنام على الكنبة التي تؤلم الظهر بالخارج، أشعر أنني فقدتُ كل ما لم أودَّ أن أفقده، وتبقَّى لي كل ما حاربتُ أشباحي حتى أهزمه في الطريق، وكنت قد ظننت أنني انتصرت، لا أتذكَّر شيئًا الآن، ربما أتذكر بعض اللمحات القديمة جدًّا التي لا أتصور أنها تعني لي أي شيء، وربما هو القدر يعطيني صفعة سخيفة ساخرة حتى ينتقم من رغبتي الدائمة في حفظ الأشياء، فيُذكِّرني بأتفه الأيام ويحرمني أهمَّها وأحلاها، أو ربما كانت في هذا حكمةٌ ما خفية، لا أعرف فعلًا. فقط تُذكرني

t.me/qurssan

خطاباتنا بلحظاتنا معًا، تلك اللحظات التي حرصت بلهفة شديدة على تدوينها ولو حتى في كلمات مختصرة خوفًا من أن أفقدها هي الأخرى، وتُذكرني رسائل الزملاء الذين رحلتُ وتركتهم أنني ربما لم أكن بهذا السوء على الرغم من كل شيء.

قال لي صديقي بعصبية شديدة: «لا أفهم لماذا تحتفظين بكل هذه الصور والجوابات. هناك أشياء لن تمر إلا إن تَخلَّصتِ من كل هذا الهراء. أين تجدين مكانًا لحفظ كل هذه الأشياء؟ أشياؤكِ لن تجلب لكِ سوى البؤس، وذكرياتكِ من الأفضل لكِ أن تتجاوزيها. لن تَجدِي مكانًا أبدًا لذكرى جديدة في وسط كل هذا الزحام». وأنا في الحقيقة لا أعرف إن كان معه حقٌّ أم لا، ولكنني أعرف يقينًا أنني لست بهذه الشجاعة، ولا أمتلك الجرأة لألقي بأيامنا في القمامة وإن كنتُ أنظر إلي بعض هذه الأوراق وأحيانًا لا أتذكر متى حدثَت أحداثها، فقد تظلُّ هي الخيط الوحيد الذي يربطني بكل ما مضى، قد تعُود إليَّ الذاكرة يومًا، وربما إن بدأنا من جديد نستطيع أن نتجاوز ونصنع ذكريات لا تستطيع الذاكرة أن تمحوها بهذه البساطة، ربما. ولكن على الرغم من كل شيء، فالأكيد أنه «يا ريت يدوم للقلب صفاك».

الزمالك ـ القاهرة

يونيو ٢٠١٨

t.me/qurssan

عزيزتي كارمن،

ذهبت منذ حوالي أسبوع لمشاهدة مباراة مصر والسعودية في فعاليات كأس العالم التي تدور في روسيا، التي كما تعلمين ويعلم الجميع تشهد المباريات الأولى لمصر في كأس العالم منذ حوالي ثلاثين عامًا. في الحقيقة تأتي هذه الرسالة بعد أشهر طويلة من الانقطاع عن كتابة الخطابات، ولدواعي التوثيق هي الرسالة الأولى التي أرسلها لكِ في الولاية الجديدة التي انتقلتِ إليها، بالمناسبة، هل أعجبك المكان الجديد؟ هل نقلتِ كل أشيائكِ؟ هل انتظمت في العمل؟ هل الجو أبرد ـ كما تقول صفحات الطقس على الإنترنت ـ من نيويورك؟ أتمنى أن تكوني أكثر استقرارًا وسعادة بعد أن ابتعدتِ عن زحام وصخب نيويورك الذي كنتِ تكرهينه.

حكيت لكِ في مرة سابقة عن الكسرة التي أُصِبنا بها فجأة، لا أعرف حقيقة ما الذي كنت أفكر فيه عندما بعثت إليكِ بهذا الخطاب، ولا أعرف لماذا أُرسل إليكِ خطابًا به هذا الكم من الانهزامية والانكسار،

t.me/qurssan

وما الذي كنت أفكر فيه عندما حكيت لكِ عن مشاكلنا التافهة وقتها! أعرف أننا انكسرنا في السنوات الماضية شرَّ كسرة، وأعرف أننا كنا نتمنى أن يعاملنا العالم كما نستحق، ولكننا ما زلنا أحياء، ولا أعرف فعلًا إن كان هذا أمرًا نحتفي به أم نحزن بسببه. سنواتٌ مضت ولا يدور في رأسي سوى هذه الجملة من أغنية عدوية الشهيرة: «يا ريت ما جينا ويا ريت ما رحنا»، ذهبنا في مشاوير طويلة يا عزيزتي، وكسر عشراتٌ قلوبنا، ومررنا بكل مراحل الحزن حتى وصلنا في النهاية إلى التقبُّل الصامت اليائس، الذي فقدَ الأمل في كل ما يحدث من شأن عام أو خاص، لم نعُد نريد أي شيء الآن، ولا نريد أن يحبنا أشخاص، وبالتأكيد لا نأمل أن يحبنا العالم، لم ننجح في أي شيء يا صديقتي العزيزة، رأينا كل الهزائم مجتمعةً وذهبنا بأقدامنا إلى كل الفشل مجتمعًا في بقعة يكرهها الجميع، كل ما أحببناه ذهب بلا رجعة، وكل ما أمَّلنا أن ينجح فشل بكل الطرق الممكنة، «وتعبنا والله وغلبنا والله» كما يقول الكبير جدًّا عدوية، وأصبحنا جميعًا نشبه الشخصية الكارتونية المعروفة بلونها الأزرق التي تجسد الحزن في فيلم «ديزني» الشهير.

في العام التعيس الذي استطعنا فيه تدريب أنفسنا على تقبل أي شيء وكل شيء، تقبَّلنا كل ما فعلوه بنا، حولوا الحياة إلى جحيم على جميع الأصعدة، لم نعد نستطيع حتى الاحتفاظ بالفقاعة التي طالما حمتنا من العالم المتوحش بالخارج، واللهِ كنا نعيش بأمان داخلها، ولكن كما تعلمين الفقاقيع لا تصمد طويلًا، خصوصًا في بلاد مثل بلادنا، أصبحنا نرضى بأقل القليل، ونعيش حرفيًّا داخل ظل

t.me/qurssan

الحائط، واكتفينا بأننا نتنفس وندعو يوميًّا ألا يلاحظنا أحد، ولم نعد نتكلم إلا في محادثات حذرة خاصة بيننا وبين القلائل الذين نعرف أنهم يشاركوننا البؤس والمرار الطافح الذي نتوغل داخله كل يوم، وبعد كل هذا يأتي اليوم الذي نجد أنفسنا نلبس تي شيرتات كرة القدم، بل ويتحمس بعضنا للذهاب إلى بلاد في آخر الدنيا للفرجة على بضع مباريات، نعرف سابقًا أنها ستحرق دمنا وتصيبنا بالعلل، وإحنا مش ناقصين.

بكى بعضنا من الفرحة عندما تأهلنا لكأس العالم وغنينا أغاني المو صلاح، وانطلقنا نجري في دوائر مجنونة من الفرحة ونحن نقوم بطيارة أبو تريكة الشهيرة، حتى وإن لم يكن يلعب هذه المرة ويطل فقط علينا من الشاشة وهو يرتدي بذلات أنيقة ويبتسم ابتسامات مطمئنة، تجعلنا نشعر أن كل شيء ـ حتمًا وبالتأكيد ـ سيكون على ما يرام، وظللنا نحتفل هذا اليوم حتى ساعات الصباح الباكر، وانشغلنا بالدخول على الفور إلى صفحات موقع الفيفا لنعرف أسعار تذاكر مباريات مصر في كأس العالم، وتصفحنا مواقع شركات الطيران لنعرف أسعار تذاكر السفر، وحاولنا فكَّ طلاسم الخرائط لنستكشف المسافات بين المدن التي تقام فيها المباريات، وبالطبع تعامل كلٌّ منا على أنه خبير في مثل هذه الأمور وبدأ في إعطاء النصائح للباقين.

لم أسافر إلى روسيا، كان المبلغ الباقي في حسابي البنكي مخزيًا، كنت أيضًا استنفدت معظم الإجازات في رحلات العلاج التي قضت على أي أحلام للسفر، ولذا انقسمت المجموعة غير المتجانسة التي

t.me/qurssan

تابعت مباراة التأهل بين من سيذهب إلى روسيا ومن سيبقى في دبي، وكنت بالطبع في المجموعة التي بقيت.

أصيبت كتف المو صلاح ـ المعروف بـ«ابننا» نحن عموم المصريين ـ وأصيب الملايين بأوجاع حادة في أكتافهم، وبدأنا نرى سفينة كأس العالم تغرق حاملة حلم الفوز ولو بماتش واحد، وأخذ أصدقائي الذين حجزوا تذاكر السفر إلى إيكاترينبرج، المدينة التي لم يسمع عنها أيٌّ منا قبل التأهل، يدرسون احتمال إرجاع تذاكر المباراة الأولى، في الأغلب لن يشترك فيها ابننا بسبب إصابة كتفه العنيفة. أعرف أنكِ كنتِ تتابعين الأخبار من شقتك الجديدة في تلك الولاية التي نُقلتِ إليها مؤخرًا، وأنكِ ـ في الأغلب ـ كنتِ تعانين من صوت العواصف الذي يتميز به صيف هذه الولاية، ولكن لم يمنعك هذا من إرسال رسائل مطمئنة، لتخبريني أن ابننا سيتغلب على هذه الإصابة وسيعود أفضل مما كان.

كما تعرفين، بعد أن أرسلتِ لي رسالتك المليئة بالمرارة الأولى وأنتِ تقولين: «خسرنا برضه»، فأردُّ عليك بثقة: «بس هنكسب ماتش روسيا»، شاهدت المباراة مع عدد ضخم من الأصدقاء في مقهى قريب من بيتي، وكانت صديقتي الإريترية والأخرى التونسية هما أكثر الحاضرين حماسًا، لدرجة أنهما أثارتا دهشة الجميع وهما تحملان علم مصر وتضعان صورًا على مواقع التواصل الاجتماعي، وتتأثران بشدة حتى دمعت أعينهما عندما وقف اللاعبون للنشيد الوطني وأنشدتاه معهم بينما قبضتاهما على صدريهما بتأثر غير مفهوم، كنت أجلس بجانبهما كالبومة بلا حركة، إلا عندما تقرران

t.me/qurssan

ملابي بحماسة غير مبرَّرة لألتقط معهما الصور. خسرنا المباراة كما تعرفين، وتلقينا ثلاثة أهداف في مرمانا، أولها عن طريق أحد لاعبينا، قرر أن يشوط الكرة بحماسة مبالغ فيها فدخلت مرمى الشناوي الذي لم يتوقع النيران الصديقة، وأحرز صلاح أيضًا هدفًا عن طريق ضربة جزاء لتستمر نكتة انتهاء أسطورة مجدي عبد الغني الماسخة في اللف في جميع الدوائر، نكاد نشنق أنفسنا من الملل والتكرار.

كما تعرفين، أغلقت هاتفي لثلاثة أيام كاملة، لم أحتمل فيها أن يتحدث معي أي شخص أو أرى فيها أي أحد، وتجنبني الجميع عندما شعروا أنني قنبلة موقوتة، حتى هذا الزميل الجزائري كاره المنتخبات العربية جميعًا لم ينطق بكلمة عندما شعر بالإعصار الذي من الوارد جدًّا أن يأخذ الأخضر واليابس في طريقه. صمت الجميع ومنعهم تعكُّر مزاجي من إلقاء النكات السخيفة أو نكشي بأي شكل، ساد الصمت غرفة الأخبار التي أعمل بها وكان التوتر هو سيد الموقف، حتى قررت أنا في اليوم الثالث من الحداد الذي فرضته عنوة على الجميع أن أكسر الصمت الذي لازم المكتب لفترة أطول من اللازم، قمت بخلع سلك السماعات الذي يتصل بالكمبيوتر الخاص بي، وتركت أغنية عدوية تنطلق بحزنها المعروف من جهاز الكمبيوتر: «وجينا نبعد قالولنا نقعد، وجينا نقعد شدوا الكراسي»، في إعلان خفي عن انتهاء فترة الحداد، وإن كان الحزن سيستمر حتى التصفيات المقبلة إن أحيانًا الله ولم يأخذنا شفقة بحالنا التعيسة.

يسألني أصدقائي عن سبب غضبي الشديد من موقعة كأس العالم،

t.me/qurssan

ويسألني زملائي في العمل بدهشة عن سرِّ وجومي وقلبة وجهي كما يسمُّونها ـ لأكثر من يوم، على الرغم من توقُّع الجميع النتيجه، وعن سرِّ تمتمتي بصوت ليس منخفضًا بالقدر الكافي فيسمعه كل من حولي من زملاء وأنا جالسة على مكتبي أمارس مهامي اليوميه «لعيبة وسخة يا ولاد الوسخة». أكتب لكِ هذا الخطاب لأقول لك إنه ليس سرًّا ولا حاجة، وإن الموضوع لم يخرج عن أنني زهقت من الفشل، وخصوصًا الفشل الذي يأتي بعد عشم، هذا الفشل الذي ينغزك بسكين صلبة حتى قرارة قلبك، فيكون الألم نافذًا وحاضرًا، لا تستطيعين تجاهله أو إلهاء نفسك عنه بأي شكل.

أنا زعلانة أوي يا كارمن، زعلانة زعل مُر وحقيقي، ولا أستطيع أن أذهب منه في أي مكان، لا أجد في نفسي أي مساحة لأنْ أصفح عن الأقذار الذين خذلونا، عن كل من تسببوا في كسرة نفسنا هكذا، ولا أستطيع سوى أن أرى سكان قرية صلاح وهم يعلقون الكهارب يوم نهائي دوري الأبطال، ثم وهم يفكونها بحسرة وانكسار يقطع القلوب يوم مباراة السعودية، ولا أستطيع سوى أن أرى دموع أبو تريكة وهو يحاول أن يظل متماسكًا مقابل جلاخة وسماكة كل أصحاب المناصب.

لم نعد نشعر أن صلاح «ابننا» مثل زمان، وعاد الأصدقاء من روسيا حزانى يحملون هزيمة جديدة وحسابات بنكية أكثر فقرًا، وعاد الفريق بفضائح جديدة وفصل جديد من الفشل يُضاف إلى رصيد فشلنا الضخم في كل شيء، واعتمدنا أغنية عدوية كنشيد كأس العالم الرسمي، إلى أن فتحت الراديو بعد مباراة مصر والسعودية ـ

t.me/qurssan

المباراة الأخيرة قبل عودتنا بثلاث هزائم بالتمام والكمال ـ لأجد الست تقول بأسى: «وكفاية بقى، تعذيب وشقا، ودموع في فراق ، ودموع في لُقا».

إلى خطاب آخر أقل بؤسًا.

دبي ـ الإمارات

يوليو ٢٠١٨

t.me/qurssan

عزيزتي كارمن،

منذ عشر سنوات وبضعة أشهر ذهبنا معًا إلى برج القاهرة، هل تذكرين ذلك اليوم؟ يوم استلمتِ خطاب فصلك من الجامعة بعد انقطاعكِ المتعمد عنها لعدة أشهر، لم تحصلي وقتها على مباركتي لقرار رحيلكِ الذي أعرف وتعرفين أنه كان قرارًا محسومًا منذ سنوات لا أتذكر عددها، كان من المنطقي أن تذهبي في رحلتكِ الطويلة التي ذقتِ فيها المرار، هذا المرار كان يبدو وقتها أفضل للرائي مما يحدث في بلادنا التعِسة الآن، التي لم تكن لتستوعب أحلامكِ وطموحاتكِ التي فاقت السماء منذ كنا في العاشرة من عمرنا، لهذا ذهبنا معًا لزيارة البرج، تعمدنا أن نظل ناظرين إلى القاهرة من تحت السحب الرمادية التي تحجب الرؤية، وببعض الجهد استطعنا أن نخترق هذه السحب، فرأيتِ أنتِ كل الأسباب التي تدعوكِ إلى الهروب، ورأيتُ أنا طبقات من الحنين غامق اللون تمنعني من الرحيل. تعمدنا أيضًا أن نلتقط الكثير من الصور، حتى تظل الذكرى لتخبرنا أننا اخترنا

t.me/qurssan

الخازوق الأكبر في بلادنا ليكون المكان الأخير الذي يجمعنا معًا قبل نفاذكِ بجلدكِ.

عشر سنوات مرت على هذا اليوم، ثمانٍ وعشرون سنة مرت منذ رأيتكِ للمرة الأولى طفلةً مجعدة الشعر تُمسك بيد أمها في يومها الأول للمدرسة، لتقابل أخرى تُخفي ذعرها فتتلاقى نظراتنا ونبتسم، وتتركنا أمهاتنا براحة من ارتاح من همٍّ ثقيل، ثمانٍ وعشرون سنة مضت ونحن في الفقاعة نفسها معًا، وإن كانت المسافات تعافر بشدة كي نُبقينا في القارات البعيدة عن بعضها البعض، ثمانية وعشرون عامًا مضت منذ أن عرفنا بعضنا، منهم عشر سنوات منذ سافرتِ، سرقَتْ منا الذكريات المشتركة والحماسة وأطفأت أعيننا، ونحن نفعل ما نفعل معًا.

عندما قررتِ أنتِ أن تقضي السنة الأولى في هذا المعمل البارد في ولاية صغيرة وفقيرة أخذَتْ منكِ أكثر مما أعطتكِ، كنتُ أنا قد حزمتُ أمتعتي وذهبتُ إلى مدينة حارة تأخذ أيضًا أكثر بكثير مما تعطي، وكان اتفاقنا مثلما كان دومًا، أسبوعين على الأقل كل سنة، أسبوعين نقضيهما معًا عِندًا في الزمن وفي بلادنا القاسية وفي ظروفنا التي لا حيلة لنا فيها، أسبوعين من الأمان نسرقهما سرقة بجنيهاتنا القليلة في غفلة من الجميع، نتجول في الشوارع الغريبة ونتراقص في الحانات ونقابل الغرباء ونحن نطير من فوق الأرض، ونحايل الأيام حتى لا تمر بسرعة فنضطر إلى الفراق من جديد. سنة وراء سنة، معمل وراء معمل، مستشفيات كثيرة وأشهر بلا عمل، ونحن نعافر الجميع ونعاند ونكارك، حتى نكاد أن نفقد أنفاسنا في معركة لسنا متأكدين

t.me/qurssan

أساسًا إن كانت المعركة التي اخترناها بإرادتنا، أم دُفعنا إليها دفعًا
جنيهات قليلة تدخل حساباتنا البنكية وفساتين ملونة نشتريها معا
وجلسات فيها بعض البكاء والكثير من الضحكات، وديون نتحملها
راضخين للجميع، حتى وإن كنا لم نأخذ قَطُّ شيئًا من أحد. تعلّمنا
معًا ونحن أطفال ألا نمتلك شيئًا، وأن الممتلكات ستعوق حركتنا
وستمنعنا من الطيران فوق السحب الرمادية التي تركناها طواعية،
وأن نترك أي شيء وأي شخص بكل تصالُح العالم، فلا شيء باقٍ
سوى تلك الأحلام التي كادت أن تنطفئ بفضل كل هذا الظلم
من حولنا. لم تذهبي إلى تلك المناطق الخطرة التي حلمتِ طوال
عمركِ بإنقاذ البائسين التي دفعَتْ بهم الحياة للوجود فيها، ما زلت
تتصلين بي في منتصف الليالي الكئيبة لتبكي عبر الهاتف، وتخبريني
أن الأطفال الجرحى يطاردونكِ في أحلامكِ، وأن ضميركِ يقتلك
قتلًا بينما أنتِ آمنة على فراش مريح والآلاف يحتاجونكِ في أماكن
قفرة حزينة، ما زلتُ أتصل بكِ في ليالٍ مشابهة لأخبركِ عن رحلاتي
المكوكية إلى دورة المياه التي اتخذتها كآمن مكان للبكاء، حتى لا
تهتز صورتي في أعين مَن أترأسهم من شباب لا يزالون يخطون
خطواتهم الأولى في عالمنا المؤلم، وما زلتُ أخبركِ عن أن جزءًا
مني يفرح في كل مرة أبكي فيها عند مشاهدتي للأخبار التي تحيط
بي من أربع شاشات تلفزيونية مختلفة، تبثُّ رعبًا متنوع الأحداث
والتفاصيل، فربما عندما أكفُّ عن البكاء أكون أيضًا قد توقَّفت عن
كوني الشخص نفسه الذي عرفتِه منذ أكثر من ثلاثين عامًا.

قابلنا الكثيرين في رحلتنا الطويلة، قابلنا رجالًا حمقى، وجلسنا

t.me/qurssan

في مقاهٍ بعيدة جدًّا عن الجميع نسأل بعضنا البعض إن كان هذا ما
.حث عنه، وأجبنا الإجابات نفسها، لا نبحث عن شيء وما زلنا
لا نمتلك شيئًا، وبالطبع لم يكن هذا ما نريده ولم نختره بكامل
الأذهان الصافية. حذَّرنا بعضنا البعض، مرارًا وتكرارًا، وفعلنا الكثير
لشدَّ أكمام فساتيننا قبل الوقوع في الحفر المظلمة ونحن نعرف أننا
.تجه بخطوات ثابتة تجاه اختيارات تعيسة لا تليق بنا، وارتكبنا كل
الحماقات ـ عن طيب خاطر وبكل الحب ـ مع أنها كانت تبدو في
.نتهى الحكمة.

أما الآن، وبعد كل هذه السنوات، ومع كل أسبوعين نقضيهما معًا
في كل سنة، أُخبركِ أنني لم أعد أحتمل كل هذا الألم، بل ولم أعد
أحتمل حتى الأسبوعين اللذين نسرقهما سرقة من الجميع، ولم أعد
أحتمل تلك الحرب التي نخوضها واعيتين حتى لا نفقد أنفسنا في
المعركة التي نعيشها كل يوم، ولم أعد أحتمل الفقاعات التي جاهدنا
عبر كل هذه المسافات كي نساعد بعضًا على بنائها حتى وإن فَصَلتنا
ملايين الكيلومترات والمجالات الجوية، وأقول لكِ بكل صدق إنني
أرى أننا لا نستحق هذا. نحن لا نستحق أن ننام في شوارع لا تعرفنا،
ولا نستحق أن نتألم في مستشفيات باردة ونحن نختنق بظلم العالم
الذي أصرَّ على تفريقنا في قارات مختلفة، نحن لا نستحق أن نفقد
حماستنا، ولا نستحق أن نفقد حبنا للعالم ولا نستحق من أخذوا منا
سنوات لا حقَّ لهم فيها، ولا نستحق البلاد الباردة جدًّا والحارة جدًّا،
ونستحق أن نعيش في مناخات معقولة لا تقتلنا حتى نستطيع احتمالها،
ولا نستحق أن نظل على الحافة نشاهد كل الأحلام التي حلمناها معًا

t.me/qurssan

وهي تختفي ببرود ودأب كلَّ يوم وكل ساعة، ولا نستحق أن نظل على بُعد كل هذه المسافات، ونحن لم نطمح يومًا إلا في حياة ا.. بسيطة نتمشى فيها إلى بيوتنا ونجلس في شرفاتها، نُطمئن بعضنا البعض أننا حين نموت سنكون في الغرفة نفسها لنبتسم ابتسامة وداعٍ تليق بما رأيناه معًا.

يجب أيضًا أن أخبركِ أنني ناقمة على كل ما فعلته بنا الحياة، وأنني، على الرغم من كلماتي المطمئنة التي تسمعينها عندما تتصلين بي وأنتِ قلقة، على الأغلب لا أكون بخير، قلقكِ في محله في كل مرة، أكون غاضبة وخائفة وغير راضية بما حدث. لا بد أيضًا أن أخبركِ أنني ما زلتُ أتخيَّلنا معًا بعد أن تنتهي كل هذه الأحداث الدرامية الخرقاء، وبعد أن تنتهي سنوات التنكيل بنا بكل الأشكال، وبعد أن تنقذي الأطفال وأكتب الروايات، بعد أن تتخلصي من أعباء المواعيد وغرف الطوارئ والصباحات المنهكة، وبعد أن تحقق بعض شخصياتي أحلامها وتنتهي تعاستها، ما زلتُ أحلم أننا حينها سنجلس بسكون وطمأنينة لنقول إن كل شيء سيصبح بخير وربما تَصدق وعودنا، وربما نصل إلى هذه اللحظة المنتظَرة من السلام بعد أن ينتهي كل شيء.

دبي ـ القاهرة
أغسطس ٢٠١٨

t.me/qurssan

عزيزي يوسف،

هذا أحد الخطابات التي أثق أنني لن أرسلها لك أبدًا، هذا خطاب به الكثير من الغضب والحزن والمشاعر المختلطة، لا أريد أن أظهر أبدًا كهذه المرأة التي لا تستطيع أن تعرف ـ وبكل دقة ـ كيف تشعر تجاه شيء ما، لهذا لن أستطيع أن أرسل لك هذا الخطاب أبدًا.

المهم، تَقابلنا مرة أُخرى في سياق عادي للغاية، سياق خالٍ من الألم النافذ وشَدة الأعصاب التي يعرفها كلانا، تَقابلنا بلا دراما على الإطلاق لنُدرك أننا بعد كل هذه التفاصيل ما زال لدينا الجديد لنكتشفه.

أنا وأنت نرى الأشياء بأعين مختلفة تمامًا، ننظر للحياة ونأخذ منها ما نأخذ وكل واحد منا في طريق مختلف كل الاختلاف عن الآخر. وكالعادة، وفجأة في لحظة غير محسوبة أبدًا، يذهب عنا الصمت ونتكلم في كل الأشياء المسكوت عنها منذ زمن، لا توجد بيننا تلك العاطفة التي كانت تكتسح كل شيء في طريقها، بيننا الآن

t.me/qurssan

الطمأنينة والمساحات الآمنة، وبيننا حميمية وثقة وراحة بال أننا لن نستيقظ صباحًا في صمت أو في ذعر أو في خوف يدفعنا للاختفاء من دوائر بعضنا البعض. لست متأكدة إن كنت قد وجدت إجابات عن بعض الأسئلة التي كانت تؤرقني وتطارد أحلامي، أعتقد أن هناك أسئلة من الأفضل أن تظل دومًا بلا إجابات وبلا نتائج يقينية كفيلة أن تزعجنا وتسرق بعض الأحلام المشروعة، حتى إن ظلت أحلامًا بلا أي طموحات في تحويلها إلى حقائق قد تكون مزعجة.

كان بيننا كل شيء منذ زمن، والآن بيننا أشياء جديدة، أنت تقول إن كل المشاعر قد ذهبت بلا رجعة وبلا رواسب أو شوائب أو لحظات حنين أراها أنا مشروعة، ولن أخفي عليك أن هذا يشعرني بكثير من الغضب، لم أتوقع أن تتغير مشاعرك بهذه السرعة، ولكن كل شيء حدث أصلًا بمنتهى السرعة، سرعة غير متأنية، سرعة مخيفة تمتلئ بمشاعر بِكر صغيرة السن. لم نكن في غاية النضج عندما قررنا أن نتقابل بعد أشهر معدودة من حديثنا، ولم نكن في غاية الذكاء عندما تصوَّرنا أننا نتحكم في كل المسارات، ربما لم أكن بهذا الذكاء واستطعت أنت أن تتحكم في كل شيء وتغلق حنفية المشاعر التي فتحناها لآخرها في لحظة غير محسوبة، لا أعرف كيف استطعت أن تفعل هذا. أكان هذا في اللحظة التي أغلقت فيها باب غرفتي وتركتك في الخارج؟ أحدث كل هذا بالتدريج بعد كل مرة تركت فيها يدك في المطار؟ أكان هذا عندما وقعتَ في حب أخرى من دون أن تقصد؟ أكان كل هذا سهلًا بدرجة سهولة وقوعنا في الحب؟

على الرغم من كل شيء، لا أستطيع أن أسيطر على نظرة الحنين

t.me/qurssan

التي أرمقك بها وأنت تنظر للأرض، تلمحها أنت في جزء من الثانية فلا أجد الوقت أو الثبات كي أمحوها قبل أن تراها، ولا أستطيع أن أنسى أننا فعلنا معًا الكثير من الأشياء للمرة الأولى، والمرات الأولى نظل محفورة بشكل أو بآخر بداخلنا، المرات الأولى لا تمحوها المرات التالية حتى وإن كانت أفضل وأهم، حتى إن كانت تجعلنا أكثر تحققًا وهدوءًا وأكثر نضجًا، المرات الأولى تبقى حتى يوم الممات، لا تمحوها التجارب ولا يُذهبها الأشخاص.

اجتزت هذه الأميال من قبل ولم أكن أفكر في أحد سواك، اجتزتها ويدي مطبوع عليها آثار أصابعك الحانية تحتضنني قبل السفر بثوانٍ وترجوني ألا أطيل الرحيل، واجتزت آلاف الأميال وجلست في عشرات المطارات، ولكني أعرف هذه الأميال الأخيرة تحديدًا. في المرة الأخيرة، كنتُ أجلس على المقعد الحديدي نفسه بالمطار، أنتظر الطائرة، وأمسك ورقة وقلمًا، وأكتُب لك وعنك، أكتُب عن اشتياقي وأخبرك أنني أُغلق عينيَّ دومًا كي أراك، وأخبرك أنني لم أرَ شيئًا في أسفاري الكثيرة فقد كانت عيناي مغلقتين، أُغلقهما كل يوم كي أمنع نفسي أن أرى أي شيء سواك.

أُغلق عينيَّ كي لا أراني أخطو في الشوارع نفسها وبين المحالِّ نفسها، تجولت هناك ساعات طويلة وعيناي مغلقتان كأنني أتتبع خطواتك، كنتُ هناك أراك وعيناي مغلقتان، واليوم أحاول الهرب من كل شيء حدث بيننا أو لم يحدث، لا مفرَّ يا عزيزي، لا مفرَّ.

أُغلق عينيَّ اليوم كي لا أراني جالسة في الأماكن نفسها أرتشف مشروبات دافئة وأفكر فيما تفعله، كي لا أراك كالغريب، لا تعرفني

t.me/qurssan

ولا أعرفك ولا يجمعنا شيء، فأنا حذرتك وحذرت نفسي عشرات المرات من أن نفيق يومًا من نومنا كي نجد أنفسنا لا نعرف بعضنا البعض، مثل أشخاص تقابلَا في محطة عابرة وفقدَا كل ما بينهما في غفلة لا يمكن أن أسامح عليها أحدًا.

أُغلق عينيَّ حتى لا تدرك نفسي أنني سأجتاز هذه الأميال نفسها عشرات المرات، وأنني سأعود بعد أيام قليلة لأجدك غريبًا لا أعرفه ولا يعرفني، أغلق عينيَّ بشدة وأتمنى أن أنسى كل شيء وتأبى ذاكرتي إلا على استبقائك في أوضح جزء منها، أحثُّ كل أنفاسي على التجاوز وعلى المرور العابر أمام ذكرانا، وأنا أخشى النسيان وأخشى ذاكرتي الضعيفة، وأخاف أن أتذكرك وأخاف أكثر أن أنسى كل شيء فعلناه معًا. ولكن هذه الجلسة القصيرة على الكرسي الحديدي البارد تخبرني بثقة أن النسيان قد يكون أفضل من أن أعود لأهزَّ رأسي لك بحياد مثل الغرباء، لا نعرف بعضنا البعض، وأقول لنفسي كما تقول الست مرة في الأسبوع على الأقل: «فإذا مضى كلٌّ إلى غايته وتلاقينا لقاء الغرباء، لا تقل شئنا، فإن الحظ شاء».

وإلى هذا الحين، إليك حبي وقبلاتي وحضن آمن طويل من الأيام الجميلة.

دبي ـ الإمارات
أغسطس ٢٠١٨

t.me/qurssan

أنت لا تحتاج أن تعرف لغات كل من يتحدثون في هذا المكان الضيق كي تدرك أنهم يتحدثون عنك بشكل ما، ولا تحتاج أن تتناول عقاقيرَ تحميك من جنون الاضطهاد كي تسد آذانك عن كل من يتداولون سيرتك التي تغيرت عما كانت منذ سنوات طويلة، وكي تتظاهر بالتعقل وبأنك لا تكترث أبدًا لكل ما يقال، أنت لا تهتم أنهم لا يرون ما حدث لك في السنوات الماضية، وتظل تقول لنفسك إن الطيبة هي أكثر ما تحب في الإنسان، إن حب الحياة والرقص وشعراتك المفضلين ورواياتك المحببة وجلسات أصدقائك الحميمة، وربما قُبلة دافئة أو لحظة صمت وابتسامة متفهمة، هي كل ما يهمك الآن، إنك لا تهتم بالانتقام ولا تهتم بالشرور التي تملأ الفضاءات من حولك، إنه ليس من الضروري أبدًا أن انطلاقك في رقصة مرحة تحاول بها محايلة اليوم كي يمضي من دون انهزامات جديدة، لا يعني بالضرورة إيذاء شخص آخر أو إثارة ضيقه بأي شكل، تقول كل الأشياء ولا يصدقها أحد لأنهم ما زالوا هناك،

t.me/qurssan

يرونك أصغر وأصبى وأعند وأقوى وأعنف، ولا يعرفون أنك فقدت كل شيء في الطريق.

أنت لا تحتاج لأن تدور على كل هؤلاء الأشخاص لتشرح لهم أنك لست الشخص نفسه، وأنك لم تعد بالعنف نفسه، وأنك تستخدم كل قوتك فقط للبقاء واقفًا على قدميك، ناهيك عن البقاء على قيد الحياة من الأساس، ولتتجاوز خيبات الأمل التي تَسبب فيها هؤلاء الذين خذلوك، وكنت تنتظر أن يظلوا بجانبك حتى وإن لم يفعلوا أي شيء على الإطلاق، ربما تحتاج أن يفهم بعضهم ما الذي حدث من دون أن تضطر للشرح، أنت تظن أن كل شيء أوضح من اللازم ولا يحتاج لكل هذه الحكايات التي تبرر موقفك وتفتح أعين أصدقائك على السنوات الماضية وما فعلته بك، لأنك تظن أنك تعرف ما حدث لهم وتحاول أن تكون خفيفًا، حتى وأنت غير موجود من الأساس، ثم تدرك أن هذا صعب فتحاول فقط أن تكفَّ عن التفكير، وتدرك أيضًا في لحظة ما أن كل شعاراتك التي تتداولها بقوة، حتى أصبحَتْ جزءًا منك، قد لا تنطبق على الجميع، وأن احتفاءك بعيوبك ووضعها مثل حزمة الثوم في وجه مصاصي الدماء لن يحمي قلبك من الوجع، عندما يظل من يظل يردد أشياء كانت تليق بك منذ سنوات وسنوات من دون أن يعرفوا أنك صرت شخصًا آخر، وأن الوحدة قد تمسَّك أحيانًا، وأنك أدركت أخيرًا أنك لست بهذه القوة التي تعامل العالم بها كأنها جزء لا يتجزأ منك، وأن عنفك السابق قد بُهت تحت جبال من الآلام التي حرصتَ كل الحرص على إخفائها في ثنايا الأيام لسبب غير معلوم، وأن حرصك الزائد على عدم البكاء يتهاوى

t.me/qurssan

أحيانًا في المكان الخطأ مثل غرفة الأخبار التي تعمل بها، حيث لا يعبأ أحد بالآخر، وأن دخولك لبعض غرف العمليات وحيدًا لأنك تعتقد أنك بالقوة الكافية لأن تتحمل هذا الحِمل وحدك قد لا يكون الخيار الأفضل بعد كل شيء، وأن الآلام عندما تداهمك فجأة من دون إنذار في مكان صاخب تضطر أن تدفعها بعيدًا كي لا تفزع من يخاف الألم، حتى وإن كنت تعلم أنك لن تستطيع أن تفعل هذا للأبد، وأنك ستنهار في لحظة ما، ولا شيء يضمن لك على الإطلاق إن كنت ستواجه هذه اللحظة وحيدًا أم لا. أنت لا تحتاج إلى الكثير من الذكاء لتدرك أنك دفعت وما زلت تدفع عشرات الفواتير لكل العنف الذي مارسته يومًا ما، وإن كنت في لحظة ما تفتقد هذا العنف، وتشعر أنه كان الاختيار الأمثل في لحظة تاريخية مرتبكة، لم تضبطها سوى طريقتك الوحيدة لحماية نفسك من كل الجنون الذي كان.

أنت لا تحتاج الآن أن ترسل رسائل غاضبة طويلة تخبر فيها أشخاصًا أنهم خذلوك، وأنك فقط كنت خائفًا أن تخبرهم بشكل صريح أنك تحتاج إليهم حتى قرروا أن يذهبوا، لأنهم تصوروا أنك ستحتمل كل هذه القسوة لأنك تعودت فِعل كل الأشياء وحيدًا باختيارك، تظن أنك لا تحتاج أن يظل لديك بعض الأمل في عودة من ذهب، وأن على الرغم من تصوُّرك أنك لا تتألم وأنك قد استغنيت بالكامل، فإن جزءًا منك ينتظر عودة الراحلين، ويتمنى أن يتبقى في القلب طِيبة كي يسامحهم مهما مرت الأيام، وأنت لا تحتاج الكثير والكثير، ولكنك بالتأكيد تحتاج أن يرسل لك الكون بعض الإشارات التي تقول ببساطة مثيرة للدهشة إن هناك من الأشخاص من يستطيعون بثَّ بعض الطمأنينة والراحة

t.me/qurssan

في قلبك، لأنهم لا يعرفون أي شيء سوى ما يرونه منك اليوم، هؤلاء الذين يأتون من حيث لا تدري كي يطبعوا قُبلة منعشة على جبينك ويتقافزوا حولك بمرح ليساعدوك على دفع الأيام برفق، من دون أن تنكسر أو تجرفك الدراما التي لا تخلو حياتك منها أبدًا، وأنت لا تريد الآن سوى أن ترى أشياء جميلة تمنعك من البكاء في الأماكن الخطأ، وأشياء تُثبت أقدامك في الأرض وتحاول أن تلهي بها عقلك عما سيحدث في الأغلب بعد أشهر قليلة، وأشياء رحبة تحتفي بقدرتك على المكاركة، وتفسح لك المكان كي تفعل أشياءك المفضلة، من دون أن ينظر لك الناظرون نظرات تستدعي تاريخًا لم يكن أساسًا بكل هذا السوء، ومن دون أن يدفعوا يدك بعنف غير مبرَّر، ولأسباب مرَّت عليها سنوات لم تستطع مَسْح المرارة من حلوقهم، على الرغم من أنهم بالفعل قد كسبوا المعارك التي اختلقوها من اللاشيء، وتحتاج على الرغم من كل هذا فقط أن تشعر أنك شخص محظوظ جدًّا، لأنه كان من الممكن دومًا أن يصير الوضع أسوأ، وأن تستطيع أن تقنع نفسك كل ليلة قبل أن تنام أنك يجب أن تكون شاكرًا وممتنًّا وسعيدًا بحق وحقيقي، من دون ادعاء ومن كل قلبك، حتى وإن كانت تلك أصعب الاختيارات المتاحة، وحتى وإن كنت تشعر بقليل من الظلم في قلبك، وحتى إن كنت تستدعي الماضي بلا حيلة، وحتى إن كانت احتماليات النهايات الوحيدة هي الاحتماليات الأكبر، وحتى إن لم تكن متأكدًا تمامًا أنك تستحق كل ما حدث.

دبي ـ الإمارات

سبتمبر ٢٠١٨

t.me/qurssan

إلى أبي،

اليوم تمر خمس عشرة سنة ونحن لسنا معًا، اليوم هو السبت، الخامس عشر من ديسمبر عام ٢٠١٨، وربما تكون هي المرة الأخيرة التي أكتب لك فيها في ذكرى هذا اليوم، خمس عشرة سنة ليست مدة قصيرة للحفاظ على فعل حاولت طوال الوقت أن يظل حاضرًا، حتى وإن كانت هناك سنوات ترددت فيها عن الكتابة، حتى إن كانت خطاباتي لك تبدو للبعض مكررة ولا تقول إلا «وحشتني» بأكثر من طريقة، وحتى إن كانت تُذكرني أن ليست هناك فائدة من الانتظار، خمس عشرة سنة مدة كافية للتجاوز والتعود والنسيان، وأيضًا للتوقف عن كتابة هذه الجوابات.

أفكر هذه المرة أنني ربما يجب أن أتوقف عن كتابة هذا الخطاب السنوي، وأن تكرار الأشياء قد يجعلها تبدو كالكليشيه، وأن لملمة السنة بأكملها في جواب واحد ربما يكون نوعًا من الاختزال قد لا يصح أساسًا، وأن الأحداث أكبر من اختصارها وإن كانت أقل من أن أشغل بالك بها.

t.me/qurssan

نمت ليلة أمس خمس عشرة ساعة، لم أقصد أن أضبط عدد الساعات كي يتصادف مع عدد سنوات رحيلك، ولكن هذا ما حدث، نمت وفي الأغلب اختار عقلي أن يغرق في ساعات نوم ليست طبيعية حتى أتجنب التفكير في هذا اليوم.

لا أريد أن أحكي لك هذه المرة عن أحداث بعينها، ولا أريد أن أشكو لك قسوة الأشخاص الذين لا يتركون فرصةً كي يقولوا بمناسبة وبغير مناسبة أن لا فارق بين وجودنا وعدمه، ولا أريد أن أشكو من الراحلين، فقد دربت نفسي لسنوات طويلة حتى لا ينكسر قلبي عند فراق جديد، ويبدو أن التدريبات لم تفِد كثيرًا، ولا أريد أن أقول من جديد إن كل شيء الآن ومنذ سنوات أصعب بكثير، ويحتاج إلى قدرة خرافية على الاحتمال حتى يمر من دون وجودك.

أعتقد أنني أبدو اليوم أكثر ضعفًا من السنوات السابقة، وأعتقد أن كل المعارك التي خضتها بإرادتي وبغير إرادتي قد أخذت معها قطعًا لا بأس بها من قدرتي على الاستمرار، كل الراحلين، وكل المدن والبلاد التي نزلت بها ضيفة بلا غرفة واحدة أستطيع أن أشعر بها أنني في مكاني، كل من فقدت من أحباب وصداقات تصورتُ في لحظات الرعونة أنها قد تعوض كل هذا الألم إلى أن انتهت، كل هذا لا يُقارَن ولو من بعيد بالمعركة الأكبر التي بذلتُ فيها كل ما أملك كي أتعود عدم وجودك.

لا أريد أن أخيب ظنك فيَّ من جديد وأنت تراني من مكانك بكل هذه الهشاشة التي ربما لا يعلمها عني أحد، ولا أريد أن يعرف كلُّ من ذهبوا عن نوبات الخوف التي تهاجمني، ولا عن استمراري في تشتيت أفكاري كلما تذكرت أن كل الأشياء وكل الأشخاص إلى

t.me/qurssan

زوال، ولا أريدهم أن يعرفوا أنني قابلة للكسر بهذه البساطة، وأنني لا أكف عن انتظار عودتهم في يوم من الأيام.

أتذكَّر أنني بعد رحيلك بسنة أو اثنتين كنت أقول لنفسي إنني لن أتعلق بأي شيء أو بأي شخص، ولن أترك قلبي ينكسر من جديد وأنا أرى أحبابًا يأخذهم الموت أو تأخذهم الحياة أو ما بينهما، وأرى اليوم أنني فشلت بكل الطرق، ما زلت أتعلق بكل ما يتركني وما زلت أجري في الطرق نفسها لألتقط القطع الصغيرة الباقية وأحاول أن أجمعها مثل قطع الليجو، ربما أستطيع أن أكوِّن منها شخصًا يشبهني ولو من بعيد.

أقول لك للمرة الأخيرة وفي جواب أخير إنك وحشتني، وإنني فعلت كل ما في وسعي كي أظل الفتاة نفسها التي تعرفها، وإنني تعبت من كل الحسرة وأنا أشاهد نفسي في دوامة متصلة من سيناريوهات الـ«ماذا لو» التي لا تنتهي مع كل شيء، رائعًا كان أو مخيبًا للأمل. لن أكف أبدًا عن أن أقول لك إنك وحشتني، حتى وإن مرت بدلًا من الخمسة عشر عامًا خمسون، ولن أكف عن أن أتذكر كلماتك وصوتك ورائحتك وكل ذكرياتنا معًا، كل الراحلين رحلوا وخيباتنا فيهم فادحة، أما أنت وعلى الرغم من مرور السنوات ما زلت هنا، يومًا بيوم، تعرف كل شيء، تنعى حظنا السيئ ووقتنا القصير معًا، وتواسيني بلطف كي أكمل ما بدأت.

هذا خطاب أخير، ولكن الود موصول والقلب به ما به من محبة، ما دام به ما به من حياة.

دبي ـ الإمارات

ديسمبر ٢٠١٨

t.me/qurssan

الأعزاء جميعًا،

قررت اليوم أن أكتب أربع نسخ من الخطاب نفسه، ربما يدفعني كل شيء اليوم أن أقول لكم بعض ما في خاطري من ارتباك حاولت أن أخفي قدرًا منه في السنوات السابقة، بكل ما فيها من خطابات غاضبة أو يائسة أو خائفة أو حزينة، ربما يكون هذا الخطاب الأخير، وربما أعود يومًا إلى كتابة الخطابات، وبالطبع، ربما أرسل منها ما أرسل، وربما أحتفظ بها في أدراج مظلمة لا ترى النور.

كتبت لكم كثيرًا عن الخوف وعن الموت وعن أشياء أربكتني، بينما أحاول بكل قوتي أن أظل على القدر نفسه من المكاركة التي زادت أو نقصت أحيانًا، بسبب كل ما حدث من أشياء أكبر مني ومنكم، حتى إن تَصورنا يومًا أننا جميعًا أكبر من الحياة نفسها. يقولون إن الموت نهائي أكثر من اللازم، أما الحياة فهي مليئة بالاحتمالات، ونحن دومًا نعيش بين الحياة والموت، مررنا جميعًا بهذه اللحظة التي اقتربنا فيها من الموت أكثر من اللازم، عندما مات أحد الأحباب؟

t.me/qurssan

عندما قال الأطباء إن احتمالات الحياة ليست كبيرة؟ عندما وجدنا أنفسنا بلا أحد يدفعنا ولو قليلًا للمضي في الطريق نفسه؟ عندما اضطررنا أن نمشي في الطريق نفسه، وتورطنا في تلك الحياة يوميًّا حتى استنفدَتْ كل ما نملك؟ عندما كنا نفيق كل يوم من الحلم نفسه، ونحن لسنا متأكدين إن كان حلمًا أَفَقنا منه أم هو اليوم نفسه الذي نقطعه دومًا وأبدًا؟ عندما أضعنا المحفظة التي تحتوي على كل ما يُثبت أهليتنا وجنيهاتنا القليلة، وظننا أننا لن نجد طريقنا إلى البيت من دونها، وأننا قد فقدنا الطريق للأبد عندما فقدناها؟ عندما شاهدنا رفاقنا يسقطون أمامنا في معارك خاسرة؟ عندما قال الكثيرون إننا خونة ويجب أن نرحل؟

أريد أن أخبركم اليوم أنني استطعت أن أقطع تذكرة إلى مدينة ساحلية أجمل من القاهرة ـ ولا يوجد ما هو أجمل من القاهرة ـ وجلست في مكان عشوائي تمامًا أستمع إلى فيروز وهي تغني مسرحية قديمة جدًّا، تحكي عن عراك ما بين وردة وحبيبها السابق الذي يذوب قلبه عندما يراها، على الرغم من أنه توعد الجميع بالرحيل عندما تحضر. المهم، كان هذا قبل أن يخبرني صديقي اللبناني أنه اعتاد قديمًا أن يغني هذه الأغنية مع رفاقه، وهم عائدون من سهرة حلوة في بيروت الجميلة التي تعوم فوق بحر من القمامة، لا تنافسها فيه سوى القاهرة الأجمل.

بعد حوالي ست ساعات اكتشفت أنني قضيت نصف يوم من إجازتي ـ التي لم تتعدَّ الثلاثة أيام ـ جالسة في مكاني أُحدق في المارة وأفكر في الفروق بين المدينتين.

t.me/qurssan

ذهبت ليلة وصولي ـ كان هذا حوالي الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ـ مع صديقي إلى بار صغير بشارع الحمرا، لنجده خاليًا إلا من مجموعة من خمسة أشخاص، يمسك أحدهم عودًا قديمًا ويغني الآخر على أنغامه: «تملأ كأس العمر كف القدر، لا تشغل البال بماضي الزمان». كانت المفارقة طريفة لدرجة أننا شعرنا أننا دخلنا المكان في وقت غير مناسب، ولكنه استمر في الغناء بحماس شديد: «عندي كلام وكلام وحاجات»، فاضطررنا أن نجلس وكان قرارًا حكيمًا تلته ليلة أخرى من السهر في بيت واحد من المجموعة، بعد أن دعانا إلى أن نسهر معهم قبل رحيلنا من المدينة. كانت صدفة جميلة، أن أجد نفسي في بيت على سطح عمارة قديمة بحي الأشرفية، أستمع إلى هذا الغريب وهو يقول مُغمِضًا عينيه: «سوف تلهو بنا الحياة وتسخر، فتعالَ أحبك الآن أكثر». هذه صدف تجعلنا نشعر أن الحياة قد تُعاملنا ببعض من اللطف أحيانًا. تركت صديقي في مجلسه اللطيف وهو يبدو مستمتعًا أشد الاستمتاع، وأخبرته بصوت خافت أنني سأتمشى قليلًا ثم أعود. خرجت إلى سطح العمارة لأرى جبال لبنان تطل من بعيد، وبالأسفل تمضي السيارات في حركة أشبه بالتصوير البطيء إن قارنَّاها بجنون القاهرة. أفكر في كل شيء والمدينة الشابة تتحرك في الأسفل، الجنائن والشجر والميادين والسيارات والفتيات المتأنقات والفتيان وكبار السن، وأتذكَّر القاهرة وأنا أنظر من فوق السور. سألني صديقي اللبناني الذي يعرف ما يدور في عقلي قبل أن أفكر فيه: «هل فعلًا تريدين العودة أم إنه فقط أي كلام؟»، أردُّ وأنا أشعر أنني على وشك البكاء: «أخاف أن تمر كل السنين المهمة

t.me/qurssan

وأنا هنا، وأخاف ألا أجد لنفسي مكانًا، وأخاف أن ينساني الجميع، وأخاف أن أندم أنني أضعت كل هذه السنوات من دون فائدة»، يردُّ بشيء من الاستهزاء: «كلنا خايفين بس بدنا نعيش».

أرى الكثير من الأشياء في أحلامي، أرى شوارع وبنايات محبَّبة إلى قلبي، وأحاول أن أدخل تلك البنايات ولكنها تتحول إلى سراب فور أن أقترب منها، وأتذكَّر كل الأشياء التي تخيفني من القاهرة وكل الأشياء التي أفتقدها، وأجبر نفسي أن أفكر في كل الذين فقدتهم حتى أعتاد ما أمرُّ به هنا، وحتى أعتاد أنه لا يوجد أحدٌ وأن الحياة ذات وتيرة واحدة وأننا لا نكاد نفعل أي شيء، اللهم إلا مقابلات متخبطة، نحكي فيها لبعضنا البعض عن كل ما فقدناه حتى استقر الأمر بنا هنا، لسنا سعداء، ولسنا مطمئنين، ولسنا نشعر بأي شيء في الحقيقة.

أقف على حافة الشرفة، بيروت أسفل مني، ودبي في منتصف الطريق، والقاهرة أبعد ما يكون، وما زال صوت هذا الشخص الذي قابلناه في صدفة غريبة يأتي من بعيد وهو يقول بحزن شديد: «يا ليالي طويلة أحلامها جميلة محال تنعاد»، أطفئ سيجارتي الأولى بعد أشهر من الانقطاع، وأدخل إلى الغرفة الصغيرة من جديد في انتظار طائرة الصباح.

الأشرفية ـ بيروت

ديسمبر ٢٠١٨

t.me/qurssan

t.me/qurssan

شكر واجب وإهداء

إلى داليا كمال، الحياة أفضل بكثير بسببك على جميع المستويات.

إلى داليا عبد الحميد، شكرًا على وجودك والأمان الذي يسببه.

إلى شيرين التي يزيد مستوى ذكائي درجةً كل مرة أتحدث معها، وتزيد سعة قلبي للعالم درجتين كل مرة أراها تتحدث مع الآخرين، إلى سنوات أكثر من الرحابة والمحبة.

أدهم ومحمود كمال، الكثير من الحب والامتنان لوجودكما في الحياة.

مي، الوحيدة التي مهما غابت لا تغيب، وتفهم كل شيء من دون محاولات.

هلال، بطل العالم في تحمُّل كل تقلبات الحياة، لم أكن لأكمل هذه الخطابات إن لم تكن تجلس بجانبي في السنوات الماضية وتدفعني دفعًا لذلك.

إلى سمية وأنور وعلاء ومحمد عبد الله (مادو)، كل شيء إلى زوال سوى المحبة الخالصة.

t.me/qurssan

إلى القاهرة التي أحلم بالعودة إليها ولكني أخاف أن تكسرني من جديد، مثلما تفعل في كل مرة حتى وهي ترد لي الروح.

وأخيرًا، إلى أمي التي ورثت عنها نصف القوة الموجودة في العالم، شكرًا على صفاتك الوراثية المتطورة، التي جعلت كل المعارك أسهل بكثير.

t.me/qurssan

t.me/qurssan

عزيزي يوسف،

الحب كلمة مخيفة، ربما مبتذلة كذلك؟ لا أعرف، ولكنني كنت أحكي لصديقنا المشترك الصغير أنني أشعر بكثير من الامتنان لأنني تعرّفت إلى الحب من قبل، بل وأمضيت ثمانية أشهر أرتع في خباياه ولحظاته الذهبية التي هي ليست من هذا العالم. أنا شخص محظوظ جدًا، ففي يوم ما وقفت أمام المرآة، وقلت لنفسي ها هي ذي السعادة، لا تبحثي عنها لأنها هنا، هذا هو الحب يتجلى واقفًا واضحًا مبتسمًا يلوّح بيده ويقول لي: «استمتعي، فلن أظل هنا كثيرًا».

أصحو من النوم وأحاول أن أستحضر تفاصيل الحلم، ولكن لا يبقى منه في ذاكرتي سوى ابتسامة صافية على وجهك، وآثار حضن قوي على كتفي، وإحساس عام بالسعادة، وببعض الجهد أستطيع استحضار رائحة لا أعرف من أين أتيت بها، لا أعرف أصلًا إن كنا نستطيع تمييز الروائح في الأحلام، أم أنه العقل الباطن يلعب ألعابه من جديد؟

№ 1708

1512

دنيا كمال، كاتبة مصرية، حاصلة على ليسانس آداب قسم لغة إنجليزية من جامعة عين شمس، وتعمل في مجال الإنتاج التلفزيوني. صدرت لها روايتان: «هي وضحى»، و«سيجارة سابعة» وهي الرواية الحاصلة على جائزة ساويرس لشباب الكتّاب عام ٢٠١٤ وصدرت ترجمتها الإنجليزية عام ٢٠١٧.

018

الكرمة

t.me/qurssan